جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية
قسم الدراسات القرآنية والفقه

النسق القيمي في القرآن الكريم - دراسة تفسيرية

رسالة تقدمت بها الطالبة

أنوار عباس فاضل

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة كربلاء

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

بإشراف الأستاذ الدكتور

ضرغام كريم كاظم الموسوي

1443هـ 2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة النساء، الآية: 82

ترشيح رسالة للطبع

نظرا لإنجاز فصول ومباحث (الرسالة) الموسومة بـ (النسق القيمي في القرآن الكريم (دراسة تفسيرية)) لطالب الماجستير **(أنوار عباس فاضل)** فاني أرشحها للطبع

التوقيع:

المشرف: أ.م.د. رشا عبد الله

مكان العمل: جامعة كربلاء

التأريخ: ٢٠٢١/ ٨ /٣١

إقرار المشرف

أشـــهد ان الرســـالة الموســـومة بـــ (النســـق القيمـــي فـــي القـــرآن الكـــريم (دراســـة تفسـيرية)) للطالبـة (**أنـوار عبـاس فاضـل**) قـد تـم اعـدادها تحـت إشـرافي فـي جامعـة كـربلاء/ كليـة العلـوم الإسـلامية وهـي جـزء مـن متطلبـات نيـل شـهادة الماجسـتير فـي العلوم الاسلامية.

التوقيع:

المرتبة العلمية : استاذ

الاسم : حيدر كريم كاظم

مكان العمل : جامعة كربلاء

التأريخ: 2021/9/16

بناء على توصية المشرفين والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة:

التوقيع:

الاسم : أ.د. محمد هاشم كمال

التأريخ: 2021/9/26

شهادة الخبير اللغوي

اطلعت على رسالة الطالبـ/ـه (أنوار عباس فاضل) الموسومة

بـ (**النسق القيمي في القرآن الكريم – دراسة تفسيرية**)

وقومتها لغوياً واجد انها صالحة للمناقشة .

التوقيع:

المرتبة العلمية : مدرس دكتور

الاسم : مريام يوسف ناصر

مكان العمل : كلية العلوم الاسلامية / قسم الدراسات القرآنية

التأريخ: ٣ / ٦ / ٢٠٢١

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة بأننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة (**النسق القيمي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية**) وناقشنا الطالبة (**أنوار عباس فاضل**) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (امتياز) لنيل درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية .

التوقيع :

الاسم : **أ.م.د محمد إدريس كزهور**

المنصب في اللجنة: **عضواً**

التاريخ : / / **2021**

التوقيع :

الاسم: **أ.د أمل سهيل عبد**

المنصب في اللجنة : **رئيساً**

التاريخ : / / **2021**

التوقيع :

الاسم : **أ.م.د هدى عباس محسن**

المنصب في اللجنة : **عضواً**

التاريخ : / / **2021**

التوقيع :

الاسم : **أ.د ضرغام كريم كاظم**

المنصب في اللجنة : **عضواً ومشرفاً**

التاريخ : / / **2021**

صُدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية .

التوقيع :

أ. د ضرغام كريم كاظم

عميد كلية العلوم الإسلامية وكالةً / جامعة كربلاء

التاريخ : 23 / 1 / 2021

إهداء

إلى النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله . . .

إلى أئمتي الإثني عشر حجج الله على خلقه . . .

إلى أم أبيها حجة الله على الأئمة . . .

ابنة النبي المختار . . . وزوجة على الكرار . . . وأم الأئمة الأطهار

الدرّة البيضاء . . . سيدة النساء . . . الإنسية الحوراء . . . زهرة السماء

المحدثة العليمة . . . التقية النقية . . . الراضية المرضية . . . الصدّيقة العلّية

فاطمة الزهراء البتول . . . بضعة الرسول

والدة السبطين . . . الغرّاء المحتشمة . . . أمينة الوحي . . . القانتة العفيفة . . . المتهجدة

الشريفة

أهدي ثمرة جهدي المتواضع هذا

شكر وعرفان

أشكر الله العليّ القدير وأحمده حمداً كثيراً لما وفقني إليه من إتمام هذه الدراسة والتي أرجو منه سبحانه وتعالى أن يتقبلها مني بفضله وكرمه .

كما أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأساتذة الكرام - أنوّه إلى أنني لا أقصد من الترتيب التفضيل فكلهم فضلاء وأنا مدينة لهم بالشكر والتقدير - وهم كل من :-

- الأستاذ الدكتور ضرغام كريم كاظم الموسوي عميد كلية العلوم الإسلامية لتفضله بالإشراف على هذه الدراسة وتكرّمه عليّ بالتوجيهات القيمة والنصائح المهمة التي ساعدتني في الوصول إلى هذه المرحلة .

- الأستاذ الدكتور محمد حسين الطائي الذي اكتنفني برعايته وسددني بإرشاداته وتوجيهاته فكان نعم المعلم والمرشد والناصح، وله عليّ الفضل الكبير .

- الأستاذ الدكتور حسين كاظم عزيز الذي لا أنسى أفضاله عليّ ومعاملته الأبوية وأخلاقه الطيبة فجزاه الله خيراً .

- آية الله الشيخ فاضل الصفار والأستاذ الدكتور حكمت عبيد الخفاجي والأستاذ الدكتور فاضل مدب متعب ، والأستاذ الدكتور مسلم مالك الأسدي ، والدكتور محمد ناظم المفرجي، والأستاذ المحترم خالد الأسدي لتفضلهم عليّ بالملاحظات المهمة والتوجيهات السديدة .

- كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كليتي المعطاء كلية العلوم الإسلامية بعماداتها المتعاقبة ورؤساء أقسامها وأساتذتها عامة وموظفيها وجميع كادر الكلية بما فيهم موظفي الخدمة .

- والشكر موصول إلى كل من ساعدني وساندني وقدم لي يد العون من الأهل والأصدقاء والزملاء .

وأخيراً وليس آخراً أتقدم بالشكر الجزيل للجنة المناقشة لتجشمهم عناء السفر ، ولما سيقدموه من هدايا تقوم الرسالة وتظهرها بحلتها الأخيرة .

أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والصلاح، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
قائمة المحتويات	د-هـ
المستخلص	و
مقدمة	1- 5
الفصل الأول : تحديد المصطلحات ضمن حدود العنوان	6- 46
المبحث الأول : التعريف بمفردات العنوان	6- 23
المطلب الأول : مفهوم النسق والقيم لغةً واصطلاحاً	6- 12
المطلب الثاني : مصطلحات ذات صلة	13 - 15
المطلب الثالث : النسق عند الفلاسفة والبلاغيين والمفسرين	16 - 23
المبحث الثاني : القيم الإسلامية والإتمام القيمي	24 - 46
المطلب الأول : مصادر القيم الإسلامية	24 - 30
المطلب الثاني : خصائص القيم الإسلامية	30- 39
المطلب الثالث : إتمام القيم	40- 46
الفصل الثاني : المنهج القيمي في القرآن الكريم	47 - 94
المبحث الأول : المنظومة القيمية في القرآن الكريم	48 - 74
المطلب الأول : تصنيف القيم في القرآن الكريم	49 - 56
المطلب الثاني : معايير النسق القيمي في القرآن الكريم	56 - 60
المطلب الثالث : خصائص النسق القيمي في القرآن الكريم	61- 70
المطلب الرابع : فوائد النسق القيمي في القرآن الكريم	71- 74
المبحث الثاني :أساليب القرآن الكريم في عرض القيم وتعزيزها	75 - 94
المطلب الأول : أسلوب القصة	75 - 78

المطلب الثاني : أسلوب الأمثال	78 - 81
المطلب الثالث : أسلوب الأسوة الحسنة	82 - 86
المطلب الرابع : أسلوب الترغيب والترهيب	86 - 94
الفصل الثالث : مستويات النسق القيمي في القرآن الكريم وآثاره	95 - 152
المبحث الأول : النسق القيمي الإيماني	96 - 116
المطلب الأول : النسق القيمي العقدي	96 - 101
المطلب الثاني : النسق القيمي في العبادات	102- 110
المطلب الثالث : النسق القيمي في المعاملات	110 - 116
المبحث الثاني : النسق القيمي الأخلاقي	117 - 138
المطلب الأول : النسق القيمي الفردي	117 - 125
المطلب الثاني : النسق القيمي الأسري	125 - 131
المطلب الثالث : النسق القيمي الاجتماعي	131 - 138
المبحث الثالث : الآثار الايجابية والسلبية في حال التمسك بالنسق القيمي أو العزوف عنه	139 - 152
المطلب الأول : الآثار الإيجابية للتمسك بالنسق القيمي	139 - 147
المطلب الثاني : الآثار السلبية للعزوف عن النسق القيمي	147 - 152
الخاتمة	153- 155
قائمة المصادر والمراجع	156 - 173
المستخلص باللغة الانكليزية	

المستخلص

يُشير البحث إلى أن للإنسان نسق قيمي متكون من خلال تجاربه في الحياة، وهذا النسق بحاجه إلى إعادة ضبط وتوجيه ، كون الإنسان بمقتضى محدودياته الذاتية ليس بمقدوره أن يُنظم لنفسه برنامجاً جامعاً وشاملاً لحياته ، فضلاً عن عدم إحاطته بأسرار حياته وتفاصيلها ، والقرآن الكريم قد تكفّل بذلك، فكانت فرضية الرسالة تنطلق من إن القرآن الكريم كتاب سماوي معجز، ولا يمكن تصور عرضه للقيم ونسقها خالٍ عن الهدف والغاية، فالنسق جاء مقصوداً وتترتب عليه آثارٌ دنيوية وآخروية ، كون القرآن الكريم قائم ومبني على القصدية ، وإن القيم داخل النسق جاءت مرتبة بحسب الأولوية والأهمية، كما وتربطها علاقة وثيقة فيما بينها ، إذ لا تنفك عن بعضها البعض ، وإن فقدان آية قيمة من هذه القيم أو سلبها مكانها من الترتيب يؤدي إلى خللٍ داخل النسق بأكمله، فلا يتحقق الغرض المقصود من ترتيب هذه القيم وفق النسق الإلهي الذي أراده الله تعالى ، وبدوره ينعكس سلباً على حياة الفرد والمجتمع على حدٍ سواء .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين .

أما بعد :

إن القرآن الكريم هو دستور المسلمين الذي يُنظم حياتهم ، فهو يرسم للإنسان خارطة حياتية يسير عليها تسهل عليه عناء البحث والتجربة ، فالقرآن الكريم يشتمل على منظومة قيمية متكاملة تجمع بين الجانبين المادي والمعنوي ، وبهذا يُحدث التوازن في حياة الإنسان ، لذلك كانت القيم في القرآن الكريم محط اهتمام كثير من العلماء والباحثين ، فالقيم والأخلاق الفاضلة أكد عليها القرآن الكريم وذلك بمدحه للرسول ﷺ : " **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** " ، وكذلك تظهر أهمية القيم في قوله ﷺ : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ، فقد حصر الرسالة بالإتمام القيمي ، ولما كان للقيم كل هذه الأهمية فقد جعل منها مادة دسمة للبحث في جميع المجالات الحياتية كالمجال الديني والاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والسياسي والقضائي وغيرها من المجالات ، إلا أن القيم في هذه المجالات تفتقر إلى التوحيد والضبط وهي عرضة للتغيير والتبدل مما يجعل من الصعب الوصول إلى حلول لأبسط المشاكل التي تواجه البشرية من أول خلقها وإلى الآن ، مما دعا البحث إلى **اختيار ذلك العنوان** ، وهو إيجاد طريقة جديدة لم يسبقه أحد في طرحها ألا وهي النسق القيمي للقرآن الكريم ، وكانت الدراسة تفسيرية ؛ وذلك لأن البحث عن طريقة جديدة للقيم في القرآن الكريم يتطلب الكشف عن معنى مفردات الآيات ، وبما أن التفسير هو البحث والكشف عن مراد الله سبحانه وتعالى من آياته المباركة، إذ كان بالإمكان الوصول إلى سبب ترتيب القيم داخل النسق ، والكشف عن العلاقة بينها، فقد كان **هدف الرسالة** كشف طريقة جديدة للبحث عن حلول لمشاكل تواجه المسلمين بشكل خاص والإنسان بشكل عام، فالإنسان بمقتضى محدودياته الذاتية ليس بمقدوره أن ينظم لنفسه برنامجاً جامعاً وشاملاً لحياته

، فضلاً عن عدم إحاطته بأسرار وتفاصيلها ، وتكمن **أهمية موضوع الرسالة** في إيجاد الحلول لهذه المشكلات ، فالمشكلة التي تواجه الباحثين عن القيم في القرآن الكريم ، ليس في القيم نفسها وإنما في طريقتهم لطرح القيم ، فالطريقة التي اتبعها العلماء والباحثون هو استخراج القيم من القرآن الكريم بصورة مجزأة ، والبحث عنها من خلال ورودها في الآيات القرآنية بغية الوصول إلى حلول تعالج مشكلات الإنسان ، إلا أن هذه الطريقة لا تعد ناجحة ولو لأبسط المشكلات ، فالإنسان لديه نسق قيمي متكون من خلال تجاربه في الحياة ، وهذا النسق بحاجه إلى إعادة ضبط وتوجيه ، والقرآن الكريم قد تكفل بذلك، ومن أهميته أيضاً كونه يتصدى لجميع التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية ، إذ هي تحديات لا يمكن مواجهتها بقيم مبعثرة ولا بنسق قيمي غير مدروس ، وإنما بنسق قيمي قرآني والامتثال له بالتطبيق ، وعليه فالغاية من البحث هو إثبات إن القرآن الكريم معجز بوجود نسق قيمي فيه يضاف إلى إعجازه.

فكانت **فرضية الرسالة** تنطلق من إن القرآن الكريم كتاب سماوي معجز، ولا يمكن تصور عرضه للقيم ونسقها خالٍ عن الهدف والغاية، فالنسق للقيم جاء مقصوداً وتترتب عليه آثار دنيوية وآخروية، كون القرآن الكريم قائم ومبني على القصدية .

وأما التساؤلات التي تجيب عليها الرسالة فهي :

1- ما هو النسق القيمي في القرآن الكريم ؟ .

2- من هي أعظم شخصية في التاريخ انتفضت لأجل التمسك بالنسق القيمي ؟ .

3- هل لهذا النسق معايير أو ضوابط تساعد في الكشف عنه ؟ .

4- ما هي خصائص هذا النسق القيمي ؟ .

5- وما هي فوائدة ؟ .

6- وما هي المستويات التي عالجها النسق القيمي في القرآن الكريم ؟ .

وأما فيما يخص **الدراسات السابقة** ، فلم يجد الباحث دراسة أكاديمية تناولت مثل هكذا عنوان (النسق القيمي في القرآن الكريم دراسة تفسيرية) فكل ما توصل إليه هو كُتيب يحمل عنوان (النسق القرآني ومشروع الإنسان قراءة قيمية راشدة) لمؤلفه د. جاسم سلطان ، وإن الفرق بين مضمون هذا الكُتيب والدراسة الحالية أن الكُتيب يبحث عن النسق الموضوعي للقيم ، وإن الدراسة الحالية تبحث عن نسق القيم بما هي قيم حسب أولويتها وأهميتها في القرآن الكريم لا موضوعها ، كما أن هذا الكُتيب لم يتناول معايير النسق القيمي ولا خصائصه ولا فوائده ، كما أن طريقة التطبيق للآيات القرآنية مختلفة تماماً ، فهو يجمع الآيات التي تتناول قيمة معينة حول موضوع معين ، أما هذه الدراسة فتتناول القيم في جزء من آية أو في آية أو أكثر حسب الأولوية والأهمية ، وتؤكد على العلاقة الوثيقة بين القيم ، كما اختلفت أيضاً بكونها دراسة تفسيرية، أما الدراسات التي تناولت القيم فهي كثيرة وفي شتى المجالات كالدينية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية ، وقد استفاد منها الباحث في تصنيفه للقيم ، ومن هذه الدراسات (نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) للباحث علاء صاحب عسكر .

أما الصعوبات التي واجهت الباحث فهي لا تختلف كثيراً عن الصعوبات التي يواجهها كل باحث ،ولاسّيما في جدة الموضوع ، ومن الصعوبات التي واجهت الباحث هو عدم وصوله إلى المكتبات بسبب الجائحة التي يمر بها العالم بأجمعه ، والحظر الذي فرض نتيجةً لذلك، والصعوبة الأهم هي التعامل مع القرآن الكريم بحذر لاستخراج القيم والكشف عن نسقها في آياته ،خشية التقصير وهو واقع لا محالة .

وأما **المنهجية** التي اتبعها الباحث هي المنهج الاستقرائي وذلك في استقراء الآيات القرآنية للكشف عن نسقها القيمي وكذلك استقراء كتب التفسير للبحث عن إشارات أو دلالات تكشف عن وجود نسق قيمي في القرآن الكريم ، وكذلك المنهج الاستنباطي، إذ تتبع الباحث كلمات المفسرين حول تلك الأنساق للقيم، محاولاً استظهار واستجلاء كل ما قاله المفسرون حول القيم التي لها نسق، ولو أن بعضهم لا يتعرض إلى النسق

ولكن بالملازمة والاستنتاج توصل الباحث إلى ما يريده من نسق، والمنهج الوصفي وذلك في عرض آراء العلماء والباحثين في تصنيف القيم القرآنية .

وأما **هيكلية الرسالة** فكانت على مقدمة وفصول ثلاثة ، فكان الفصل الأول في بيان تحديد المصطلحات ضمن حدود العنوان ، وكان على مبحثين ، جاء في الأول بالتعريف بمفردات العنوان ، إذ بين معنى النسق والقيم في اللغة والاصطلاح ، وبين المصطلحات ذات الصلة بالنسق ، ومن ثم بين معنى النسق عند الفلاسفة والبلاغيين والمفسرين ، وجاء المبحث الثاني في بيان القيم الإسلامية والإتمام القيمي ، إذ بين مصادر القيم الإسلامية وخصائصها ، كما بين الإتمام القيمي ، إذ تحدّث عن القيم في الرسالات السابقة وإتمامها بالقيم الإسلامية ، كما تحدث عن أعظم شخصية في التاريخ الإسلامي ثارت من أجل الإتمام القيمي ونسقه القرآني .

أما الفصل الثاني فكان في بيان المنهج القيمي في القرآن الكريم ، وكان على مبحثين ، جاء الأول في بيان المنظومة القيمية في القرآن الكريم ، وتضمنت تصنيف القيم القرآنية ، إذ قام بعرض تصنيفات العلماء والباحثين ثم التصنيف المقترح للباحث ، كما بين معايير النسق القيمي في القرآن الكريم وخصائصه وفوائده ، وكان المبحث الثاني في بيان أهم الأساليب القرآنية في عرض القيم وتعزيزها ، إذ تناول أسلوب القصة والأمثال والأسوة الحسنة وأسلوبي الترغيب والترهيب .

وأما الفصل الثالث فقد كان في بيان مستويات النسق القيمي في القرآن الكريم ، وهو عبارة عن تطبيقات لبعض الشواهد القرآنية للنسق القيمي في مستوياته الثلاثة والآثار المترتبة في حال التمسك بالنسق القيمي القرآني أو العزوف عنه ، وقد انتظم في ثلاث مباحث ، كان الأول في بيان النسق القيمي الإيماني في القرآن الكريم ، وقد تضمن النسق القيمي العقدي ، والنسق القيمي في العبادات والمعاملات ، أما المبحث الثاني فكان في بيان المستوى الأخلاقي للنسق القيمي في القرآن الكريم ، وقد تضمن المستوى الفردي والأسري والاجتماعي للنسق القيمي في القرآن الكريم ، أما المبحث الثالث فقد كان في بيان الآثار الإيجابية والسلبية في حال التمسك بالنسق القيمي أو العزوف عنه .

ومن الجدير بالذكر إن الشواهد القرآنية للنسق القيمي كثيرة لا تستوعبها الرسالة بالشرح والتفصيل ، لذلك اقتصر الباحث على ذكر بعض الشواهد لا حصرها .

كما تضمنت هيكلية الرسالة على خاتمة بأهم النتائج وبعض التوصيات للمسلمين بشكل عام وللقائمين على المراكز الدينية وأهل الاختصاص بشكل خاص .

وفي الختام أحمدُ الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنجاز هذه الرسالة بما يتناسب مع الخطة ، ولا يسعني إلا أن أقول إنني لا أدعي الكمال فيما تناولت ؛لأن ذلك مُحال ، فالكمال كله لرب العزة والجلال تبارك وتعالى ، وكُلي أمل أن أكون قد وُفقتُ في تسليط الضوء ولو بشيء يسير على هذا الموضوع المهم ، فإن لم أكن قد نلت التوفيق فلا يسعني إلا أن أقدم إعتذاري والعذر عند كرام الناس مقبولُ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

" تحديد المصطلحات ضمن حدود العنوان "

وفيه مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول : مفهوم النسق والقيم لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني : مصطلحات ذات صلة

المطلب الثالث : النسق عند الفلاسفة والبلاغيين والمفسرين

المبحث الثاني : القيم الإسلامية والإتمام القيمي

المطلب الأول : مصادر القيم الإسلامية

المطلب الثاني : خصائص القيم الإسلامية

المطلب الثالث :إتمام القيم

الفصل الأول : تحديد المصطلحات ضمن حدود العنوان

المبحث الأول : التعريف بمفردات العنوان .

المطلب الأول : مفهوم النسق والقيم في اللغة والاصطلاح :

أولاً : مفهوم النسق في اللغة والاصطلاح :

النسق في اللغة:

إن المتتبع لتعريف النسق عند اللغويين يجد أنهم اتفقوا على معنى واحد :

فقد جاء في كتاب العين : (نسق : النسق من كل شيء : ما كان على نظام واحد عام في الأشياء ، ونسقته نسقا ونسقته تنسيقا ، ونقول : انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تنسقت) [1] .

وجاء في الصحاح : (ثغر نسق ، إذا كانت الأسنان مستوية ، وخرز نسق : منظم ، والنسق : ما جاء من الكلام على نظام واحد ، والنسق بالتسكين : مصدر نسقت الكلام ، إذا عطفت بعضه على بعض ، والتنسيق : التنظيم) [2] .

وكذلك ما جاء في معجم مقاييس اللغة : (نسق النون والسين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء ، وكلام نسق جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض ، وأصله قولهم ثغر نسق إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية ، وخرز نسق منظم قال أبو زبيد :

بجيد ريم كريم زانه نسق يكاد يلهبه الياقوت إلهابا)[3] .

([1]) العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، ط2 ، 1410هـ ، مؤسسة دار الهجرة ، 5 / 81 .

([2]) الصحاح : الجوهري ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، ط4 ، 1407هـ - 1987م ، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان ، 4 / 1558.

([3]) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، بلا .ط ، 1404هـ ، مكتبة الإعلام الإسلامي - قم - إيران ، 5 / 420 .

ومع إن صاحب لسان العرب [1] قد توسع في تعريف النسق إلا أنه وافقهم في معناه : (النَّسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نِظامٍ واحد، عامٌّ في الأشياء، وقد نَسقْتُه تَنْسِيقاً؛ ويخفف ابن سيده: نَسَقَ الشيء يَنْسُقهُ نَسْقاً ونَسَّقه نظَّمه على السواء، وانْتَسَق هو وتَناسَق، والاسم النَّسَقُ، وقد انْتَسَقت هذه الأَشياء بعضُها إلى بعض أَي تَنَسَّقَتْ. والنحويون يسمون حروف العطف حروف النَّسَقِ لأَن الشيء إذا عطفْت عليه شيئاً بعده جَرى مجْرًى واحداً. وروي عن عمر، رضي الله عنه، أَنه قال: ناسِقوا بين الحج والعمرة؛ قال شمر: معنى ناسِقوا وواتِرُوا. يقال: ناسَقَ بين الأَمرين أي تابع بينهما. وثَغْر نَسَق إذا كانت الأَسنان مستوية. ونَسَقُ الأَسنان: انتظامها في النِّبْتةِ وحسن تركيبها. والنَّسْق: العطف على الأول، والفعل كالفعل. وثغر نَسَق وخَرزَ نَسَق أَي منتظم؛ والتَّنْسِيقُ: التنظيم. والنَّسَق: ما جاء من الكلام على نِظام واحد،والعرب تقول لطَوار الحبْل إذا امتد مستوياً: خذ على هذا النَّسَق أي على هذا الطَّوارِ؛ والكلام إذا كان مسجَّعاً، قيل: له نَسق حسن. ابن الأَعرابي: أَنسَقَ الرجلُ إذا تكلم سجعاً. والنَّسَقُ: كواكب مصطفة خلف الثريا، يقال لها الفُرود. ويقال: رأَيت نَسَقاً من الرجال والمتاع أَي بعضُها إلى جنب بعض؛ قال الشاعر: مُسْتَوْسِقات عَصَباً ونَسَقا والنَّسْق، بالتسكين: مصدر نَسَقْتُ الكلام إذا عطفت بعضه على بعض؛ ويقال: نَسَقْتُ بين الشيئين وناسَقْتُ) [2] .

وكذلك جاء تعريف النسق في مختار الصحاح : (نسق ثغر نسق بفتحتين إذا كانت أسنانه مستوية وخرز نسق منظم والنسق أيضا ما جاء من الكلام على نظام واحد والنسق بالتسكين مصدر نسق الكلام إذا عطف بعضه على بعض وبابه نصر والتنسيق التنظيم) [3] .

([1]) ابن منظور : (هو أديب ومؤرّخ وعالم في الفقه الإسلامي واللغة العربية. من أشهر مؤلّفاته معجم لسان العرب ، هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، ولد في شهر محرم عام630 هـ ، أصيب بالعمى في آواخر سنوات حياته وتوفي في مصر في شهر شعبان عام 711)هـ) . https://ar.wikipedia.org/wiki تم الإطلاع عليه بتاريخ 10 / 3 / 2020 .

([2]) لسان العرب : ابن منظور ، بلا. ط ، 1405هـ ، منشورات أدب الحوزة ـ قم ـ إيران ، 10 / 353 .

([3]) مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي ، تحقيق : ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، ط1 ، 1994م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان ، 336 .

وأيضاً كما في القاموس المحيط : (نسق الكلام : عطف بعضه على بعض . والنسق ، محركة : ما جاء من الكلام على نظام واحد ومن الثغور : المستوية ، ومن الخرز : المنظم ، وكواكب الجوزاء ، أو هي بضمتين ، ومن كل شئ : ما كان على طريقة نظام عام . والنسقان : كوكبان يبتدئان من قرب الفكة ، أحدهما يمان والآخر شآم وأنسق : تكلم سجعا . والتنسيق : التنظيم . وناسق بينهما : تابع . وتناسقت الأشياء ، وانتسقت وتنسقت بعضها إلى بعض) [1] .

من خلال التعريفات أعلاه يُلاحظ إنهم اتفقوا على أن المراد من النسق هو النظام ، عطف الشيء على الشيء ، التتابع ، التنظيم .

النسق في الاصطلاح :

ورد في الدراسات الأدبية ما يقارب هذا المعنى إذ عُرف النسق بأنه (هو ذلك الكل المتكامل المنظم والمركب الذي يربط بين عناصر وأجزاء ذات خصائص معينة ، هذه العناصر والأجزاء تتداخل مع بعضها البعض في علاقات تبادلية مستمرة بالصورة التي لا يمكن بها عزل أحد هذه العناصر أو الأجزاء عن بعضها ، مكونة في مجموعها ذلك النسق الذي يوجه بدوره ضمن مجموعة من العلاقات التبادلية مع مجموعة أخرى من الأنساق المتصلة به ، والتي تكون مجتمعة ما يطلق عليه النسق الأشمل أو الأوسع ، ومعنى ذلك أن النسق يتكون من أجزاء ذات علاقات فيما بينها ، لذا فإن دراسة أي جزء من أجزاء النسق لا يمكن أن يتم بشكل مستقل عن الأجزاء الأخرى) [2] .

والنسق (هو نظام مكون من أجزاء ، وتضبطه آليات تحكم) [3] ، فالنسق (هو كل تتفاعل أجزاؤه ويدعم بعضها بعضاً، ليقوم بوظيفة معينة واختلال أي جزء منه يؤثر

([1]) القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي ،تحقيق : مكتب تحقيق التراث في المؤسسة ، ط8 ، 2005م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ، 925 .

([2]) النسق الشعري وبنياته منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي ، ط1 ، 2018م ، مركز الكتاب الأكاديمي ـ عمان ـ الأردن ، 19 .

([3]) النسق القرآني ومشروع الإنسان قراءة قيمية راشدة : جاسم سلطان ، ط1 ، 2018م ، مركز الوجدان الحضاري ـ بيروت ـ لبنان ، 15 .

على بقية الأجزاء فهو كل متكامل، فللنسق مدخلات تأصيلية، وله عمليات تفعيل في الواقع، وله مخرجات ونتائج، وهي وظيفته، وله كذلك نظام تحكم يسمح لها بالتعديل والضبط والسيطرة عند المأسسة لهذه القيم) [1].

المستفاد من هذه التعريفات بأن النسق عبارة عن مجموعة أجزاء مرتبطة بعضها ببعض بعلاقات متبادلة بحيث لو اختل أي جزء من هذه الأجزاء تأثرت الأجزاء الأخرى .

ثانياً ـ مفهوم القيم في اللغة والاصطلاح :

القيم في اللغة :

القيمة هي: (واحدة القيم ، وأصله الواو ؛ لأنه يقوم مقام الشيء يقال : قومت السلعة ، وأهل مكة يقولون : استقمت السلعة ، وهما بمعنى، والاستقامة : الاعتدال . يقال : استقام له الأمر وقوله تعالى : ﴿ فاستقيموا إليه ﴾ أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقومت الشيء فهو قويم ، أي مستقيم ، وقولهم : ما أقومه ، شاذ ، وقوله تعالى :﴿ وذلك دين القيمة ﴾ إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية) [2] . والقيمة هي : (واحدة القيم . وما له قيمة : إذا لم يدم على شيء ، وقومت السلعة واستقمته : ثمنته ، واستقام : اعتدل ، وقومته : عدلته فهو قويم ومستقيم) [3] .

يستفاد من هذين التعريفين إن مفهوم القيم في اللغة بمعنى الثبات والاعتدال والثمن .

القيم في الاصطلاح :

إنّ القيم بصورة عامة والقيم الإسلامية خاصة مجال اهتمام كثير من العلماء والباحثين ؛ لأن الإنسان هو المحور الأساس لجميع القيم الإسلامية وغير الإسلامية، وبما أن الثروة البشرية هي من أهم الثروات في هذا الوجود كان لابد من البحث عن القيم التي تنظم حياة الفرد وتربطه بباقي جنسه سواء كان في حدود الأسرة أو

([1]) النسق القرآني ومشروع الإنسان قراءة قيمية راشدة : جاسم سلطان ، 73 .

([2]) الصحاح : الجوهري ، 5 / 2017 .

([3]) القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، 1152 .

خارجها من المجتمع الذي يحيط به من مجتمعات صغيرة وحتى على مستوى العلاقات بين الدول، كما إن آراء العلماء والباحثين تباينت حول مفهوم القيم ومصادرها وخصائصها ، وسبب هذا التباين يُعزى إلى اختلاف اختصاصاتهم ومجالات علومهم ، ولم يتوقف هذا التباين في الآراء على اختلاف الاختصاصات وحسب بل وحتى في الاختصاص الواحد ، فبعض العلوم مثل الفلسفة قد اختلفت آراء الفلاسفة حول مفهوم القيم فكل فيلسوف له رؤيته الخاصة وبالنهاية ينظر إلى القيم من زاوية فلسفية مثل ماهية القيم وأسباب وجودها وما شاكل ذلك [1] .

وعلماء الاجتماع ينظرون إلى القيم من زاوية اجتماعية مثل البحث عن القيم الاجتماعية وتأثيرها على حياة الفرد والمجتمع [2] .

وعلماء الاقتصاد ينظرون إلى القيم من زاوية اقتصادية مثل قيمة العمل والإنتاج وثمن السلعة [3] ، وهكذا باقي العلوم كالسياسية والتربوية والنفسية .

أما مفهوم القيم الإسلامية فقد عرفت بأنها :(الأهداف المقدسة والمشروعة التي يقتنع بها البشر ويجعلها معايير للحكم على الأشياء بالحسن والقبح،وعلى الأفعال بالأمر والنهي)[4].

تُعرف القيم الإسلامية بأنها : (مجموعة الضوابط الفردية والجماعية التي يتحدد على أساسها السلوك والنشاط والحركة في مجتمع ما ، فبالنسبة للفرد تمثل القيم التي رُبيَّ عليها هذا الفرد موجهات داخلية ومعايير ذاتية يحكم على أساسها ويميز بين

([1]) ينظر : موسوعة لالاند الفلسفية : اندريه لالاند، تعريب : أحمد خليل ، ط2 ، 2001م ، دار عويدات ـ بيروت ـ لبنان ، 3 / 1522. .ينظر : القيم الاجتماعية ، مقاربة نفسية ـ اجتماعية : الجموعي مومن بكوش ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ـ جامعة الوادي ـ الجزائر ، العدد 8 ، 2014 ، 74 .

([2]) ينظر : علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية : احمد زايد ، ط2 ، 1983م ، ميليفيد ـ ألمانيا الغربية ، 33 ـ 34 . ينظر : واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة دراسة ميدانية بثانوية بوحنه مسعود ـ فرجيوه : سهام صوكو ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، 2008 ـ 2009م ، 54 .

([3]) ينظر : اقتصادنا : السيد محمد باقر الصدر ، تحقيق : مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان ، ط2 ، 1425هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران ، 203 .

([4]) التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده : السيد محمد تقي المدرسي ، ط2 ، 1413هـ ، منشورات المدرسي ـ طهران ـ إيران ، 10 / 58 .

الخير والشر، الحق والباطل ، ... وبالنسبة للمجتمع تكون القيم متضمنة في مختلف العلاقات التي يرتبط بها أفراد المجتمع فيما بينهم حكاماً ومحكومين ، أغنياء وفقراء ، ... وبهذا الفهم نستطيع التمييز بين القيم الفاعلة والمؤثرة والحاكمة لحياة الفرد والجماعة ، والقيم التي قد تكون بين عناصر النسق القيمي المعلن من دون أن تترجم إلى سلوك حقيقي) [1] ، ومن هنا يتبين أنه لا يوجد اختلاف بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي للقيم ، فالمراد به من كليهما : الاعتدال وإن اختلف اللفظ وطريقة التعبير .

ثالثاً ـ مفهوم النسق القيمي كمركب :

يُعرف النسق القيمي بأنه : (عبارة عن مجموعة قيم الفرد أو المجتمع مرتبة وفقاً لأولويتها ، وهو إطار على هيأة سلم تتدرج مكوناته تبعاً لأهميتها، والنسق القيمي هو نموذج منظم للقيم في مجتمع أو جماعة ما ، وتتميز القيم الفردية فيه بالارتباط المتبادل الذي يجعلها تدعم بعضها البعض وتكون كلاً متكاملاً) [2] .

من هنا يتبين إن المراد بالنسق القيمي هو الترتيب والتنظيم والترابط والتماسك للقيم ، كما تقدم في المعنى اللغوي للنسق هو ليس مجرد التتابع بل هو مع التتابع والتنظيم المقصود للوصول إلى غاية الحسن للقيم .

ومن هنا يمكن تعريف النسق القيمي بأنه :

عبارة عن مجموعة من القيم المرتبة ترتيباً مقصوداً وفقاً لأولويتها في نظام هرمي يُطلق عليه السلم القيمي ، وهذه القيم تربطها علاقة وثيقة فيما بينها من الانسجام والترابط والاتساق ، وتتضمن في كل منها مجموعة من القيم الفرعية بينها حركة ديناميكية تبادلية تُنظم حياة الفرد ، وإن أي خلل يصيب أحد هذه القيم داخل

([1]) القيم في القصص القرآني الكريم : عبد الله محمد أحمد ، أطروحة دكتوراه ، 1988م ، جامعة طنطا ـ كلية التربية ـ قسم أصول الدين ، 23 .

([2]) الطابور الخامس أسلوب القيادة الإدارية بالتجسس والقضاء عليه : أحمد جابر حسنين ، ط1 ، 2013م ، المجموعة العربية للتدريب والنشر ـ القاهرة ـ مصر ، 115 .

النظام يؤدي إلى اختلال هذا النسق بالكامل والذي ينعكس سلباً على الفرد والمجتمع على حدٍ سواء .

شرح التعريف :

يُقصد من التعريف أن هذا النسق القيمي ما هو إلا مجموعة من القيم الكلية، قد رُتبت حسب الأولوية والأهمية ، أي بمعنى أن القيمة الأهم هي التي تتقدم ، وهذا الترتيب يكون على شكل هرمي يطلق عليه بالسلّم القيمي ، بمعنى أن القيمة الأساس هي التي تكون قاعدة الهرم ، وإليها تستند القيم الأخرى وتكون متسلسلة كالسلّم، وهذه القيم ترتبط فيما بينها بعلاقة وثيقة بحيث لا تنفك عن بعضها البعض ، وإن هذا الانفكاك سيولد خللاً داخل النسق ، والعلاقة بين هذه القيم تكون بالانسجام والاتساق والترتيب ، وقد تكون بالترتيب والترابط والمناسبة ، فهي متداخلة فيما بينها ووجود أحدها متوقف على وجود الأخرى ، وكل واحدة من هذه القيم لها موقعها المحدد داخل النسق ، ويوجد في كل قيمة كلية مجموعة من القيم الفرعية بينها حركة ديناميكية تبادلية تنظم حياة الفرد ، فمثلاً القيم الأخلاقية قيمة كلية تندرج ضمنها مجموعة من القيم الفرعية ، كالصدق ، والأمانة ، والإيثار ، والتسامح ، والتواضع ، .. وغيرها من القيم الأخلاقية الأخرى ، وهذه القيم الفرعية يمكن لها أن تتحرك داخل نسقها الخاص بحسب ما يقتضيه المقام أو الموقف ، فأي واحدة من هذه القيم في وقتٍ ما تكون لها الأولوية ، وفي وقتٍ أو ظرفٍ آخر لا تكون لها الأولوية وهكذا ، فترتيب القيم والعلاقة بينها والغرض منها تُعد عناصر للنسق القيمي ، ولا يقوم هذا النسق ما لم تكتمل عناصره [1] .

والذي يريده البحث أن المفاهيم القيمية أو القيم قد رُتبت بشكلٍ أراده الله عزوجل لعلمه بالملاكات والمآلات بحسب الأهمية والحاجة التي تُحدث تأثيراً سلبياً حال التخلي عن ذلك الترتيب .

([1]) ينظر : دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني : عامر السعد ، بلا.ط ، 2015م ، شركة الغدير للطباعة والنشر المحدودة ـ البصرة ـ العراق ، 15

المطلب الثاني : مصطلحات ذات صلة :

هناك بعض المصطلحات لها صلة بمصطلح النسق منها :

1- النظم :

هناك تعاريف عدة للنظم منها :

النظم : (تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل ، وقيل : الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل) [1] .

وعرف أيضاً بأنه : (هو التأليف والترتيب والتنسيق ، تقول نظم الأشياء ألفها وضم بعضها إلى بعض ، ونظم اللؤلؤ ونحوه جعله في سلك واحد ، ونظم المعاني رتبها وجعلها متناسبة العلاقات ، متناسقة الدلالات ، على وفق ما يقتضيه العقل) [2].

من هنا يتبين إن النظم يقوم على النسق ، فلا يقال على الأجزاء منتظمة إلا إذا كانت مرتبة على نسق معين ، بمعنى إن النسق مجموعة من النظم .

2 - الترتيب :

يعرف بأنه : (جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها أسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر) [3] .

قد لا يختلف الترتيب عن النسق كثيراً غير أن النسق يكون ترتيباً مقصوداً ، بينما الترتيب قد يكون بقصد أو بغير قصد ، كما أن النسق لا يعني فقط الترتيب المقصود بين الأجزاء وإنما هناك علاقة قائمة بين هذه الأجزاء ، بينما في الترتيب لا يشترط ذلك .

([1]) معجم التعريفات : علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : محمد المنشاوي ، بلا.ط ، 2004م ، دار الفضيلة - القاهرة - مصر ، 203 .

([2]) المعجم الفلسفي : جميل صليبا ،بلا.ط ، بلا.ت ، دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان ، 480 .

([3]) معجم التعريفات :علي بن محمد الجرجاني ، 50 .

3- الاتساق :

عُرف بأنه : (ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته) [1] .

وعُرف أيضاً بأنه : (يعني تحقيق الترابط الكامل بين بداية النص وأخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة) [2] ، يستفاد من هذين التعريفين إن الاتساق يعني التماسك والترابط بين الأجزاء ، والفرق بين النسق والاتساق هو إن الأخير شكلي والنسق ليس شكلي .

4 ـ الانسجام :

يمكن تعريف الانسجام في القرآني بأنه: (أن تنتظم أجزاء أية واحدة وتأتلف وظائفها المختلفة فلا تتعارض ولا تتنافر ، بل تتفق وتتجه إلى غاية واحدة، ويقال مذهب التناسق أي أن المتواضعات والحقائق مظهران لحقيقة اجتماعية واحدة)[3]، ولا يختلف الانسجام كثيراً عن النسق فهناك توافق كبير بينهما ، غير أن الانسجام يقوم على النسق كما أنه يعني تلاؤم أجزاء النص دون تعارض معنوي .

5 ـ التناسب أو المناسبة :

عرف : (هو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء) [4] .

([1]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، ط1 ، 1991م ، المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ لبنان ، 5 .

([2]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : أحمد عفيفي ، ط1 ، 2001م ، مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ـ مصر ، 96 .

([3]) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : أحمد زكي بدوي ، بلا.ط ، بلا.ت ، مكتبة لبنان ـ بيروت ـ لبنان، 191.

([4]) البرهان في علوم القرآن : الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، 1957م ، دار إحياء الكتب العربية ، 1 / 36 .

وعُرف علم المناسبة بأنه :(علمٌ تُعرف به علل الترتيب) [1] .

وعرّف : (هو الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه ، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها ، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها) [2] .

كما عُرف بأنه: (تركيب القول من جزأين فصاعداً ، كل جزء منهما مضاف إلى الأخر ومنسوب بجهة ما من جهات الإضافة ونحو من أنحاء النسبة) [3] .

يُلاحظ من هذه التعريفات إن المناسبة تعني ارتباط الأجزاء فيما بينها لوجود تناسب يجمعها ، وتختلف عن النسق بأنها تنظر إلى التناسب بين الأجزاء ، أما النسق لا يدرس هذه الظاهرة وإنما يدرس فلسفة توالي المعاني على نسق ، وإن كانا يتفقان في بعض الأمور إلا أنه هناك اختلاف بينهما ، فالغرض من المناسبة هو معرفة سبب الترتيب ، بينما النسق هو الترتيب المقصود ، وعليه فالمناسبة تفيد في معرفة سبب وجود النسق على هذا النحو وليس هي النسق نفسه ، على الرغم من العلاقة الوثيقة بينهما .

يستفاد من ذلك إن جميع هذه المصطلحات لها صلة بالنسق إلا أن كل مصطلح من هذه المصطلحات لا يُمثل النسق بالمعنى المراد منه ، فهذه المصطلحات مجتمعةً معاً تُشكل معنى النسق وليس كلٌ على حده ، فالنسق يجمع كل من النظم والترتيب والاتساق والانسجام والتناسب وغيرها من المصطلحات [4] .

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين البقاعي ،بلا.ط ، 1984م ، دار الكتاب الإسلامي ، 1 / 5 .

([2]) مباحث في التفسير الموضوعي : مصطفى مسلم ، ط3 ، 2005م ، دار القلم ـ دمشق ـ سوريا ، 58 .

([3]) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : محمد القاسم الجلماسي ، تحقيق : علال الغازي ، ط1 ، 1980م ، مكتبة المعارف ـ الرباط ـ المغرب ، 518 .

([4]) هناك كثير من المصطلحات لها صلة بالنسق لم يذكرها الباحث ؛ لكون الفرق بينهما واضح ، كالسبك والحبك وغيرهما ، بينما اكتفى بذكر ما تقدم من المصطلحات للتشابه الكبير بينها .

المطلب الثالث : النسق عند الفلاسفة والبلاغيين والمفسرين :

أولاً ـ النسق عند الفلاسفة :

اختلف الفلاسفة في تعريف مصطلح النسق فكلٌ عرفه حسب مفهومه الخاص والعلم الذي يتناوله ، فمثلاً لالاند[1] يرى أن النسق قسمان : عام وخاص .

فالنسق العام : (جملة عناصر ، مادية أو غير مادية ، يتعلق بالتبادل بعضها ببعض بحيث تشكل كلاً عضوياً ،أما النسق الخاص :مجموعة أفكار علمية أو فلسفية متراصة، منطقياً ، لكن من حيث النظر إلى تماسكها بدلاً من النظر إلى حقيقتها . ليس النسق شيئاً آخر سوى ترتيب مختلف أجزاء فن أو علم في راتوب تتآزرُ فيه كلها تآزراً متبادلاً ، وحيث تُفسّر الأجزاءُ الأخيرة بالأجزاء الأولى) [2] .

فهو بهذا فرق بين النسق والمذهب على خلاف جميل صليبا[3] الذي يرى إن النسق مرادف للمذهب ولم يفرق بينهما ومع ذلك فقد حدد مفهوم النسق في معجمه الفلسفي بأنه : (مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطاً منطقياً حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة) [4] .

وهذا بعيدٌ عما يروم البحث له .

([1]) لالاند : (فيلسوف فرنسي ولد عام 1867م ، ولد في ديجون، ودرس في عدة مدارس ريفية، إلى أن انتقل إلى مدرسة هنري الرابع، فدار المعلمين العليا ما بين 1883 و 1888. نال شهادة في الفلسفة عام 1888، وشهادة الدكتوراه في الآداب عام 1899. وفي سنة 1909 صار أستاذاً مساعداً في الفلسفة بالسوربون، وأستاذ كرسي عام 1918، ثم عمل أستاذاً بالجامعة المصرية. تخرج على يديه الفوج الأول من طلاب قسم الفلسفة. أَلف (المعجم الفلسفي(المعروف بمعجم لالاند ، توفي عام 1963م). https://ar.wikipedia.org/wiki . تم الإطلاع عليه بتاريخ 15 / 3 / 2020 .

([2]) موسوعة لالاند الفلسفية : أندريه لالاند ، 1417 .

([3]) جميل صليبا : (كاتب وفيلسوف عربي ولد عام 1902م في لبنان يُعد جميل صليبا أحد ثلاثة شاميين عرفوا بتفوقهم العلمي في العصر الحديث، وبجهودهم الكبيرة في خدمة العلم والتراث العلمي العربي ، توفي في بيروت عام 1976م). https://ar.wikipedia.org/wiki . تم الإطلاع عليه بتاريخ 15 / 3 / 2020 .

([4]) المعجم الفلسفي : جميل صليبا ، 2/ 361.

وعُرّف النسق أيضاً (هو مجموعة من القضايا المرتبة في نظام معين بعضها مقدمات لا يُبرهن عليها في النسق ذاته ، والبعض الأخر يكون نتائج مستنبطة من هذه المقدمات) [1] .

فهذه التعريفات وغيرها عند الفلاسفة لم تحدد تعريفاً جامعاً مانعاً للنسق ؛ وذلك لاختلافهم في تحديد مفهوم النسق ، فكل فيلسوف يراه من زاوية علمه الخاصة ، ولكن بالإمكان أن **يُستخلص** من هذه التعريفات أن النسق عند الفلاسفة هو عبارة عن مجموعة أو نظام وهذه المجموعة أو النظام أما أن يكون آراء أو نظريات أو أفكار علمية مرتبة ومترابطة ارتباطاً منطقياً ومتماسكة ، تُشكل كلاً عضوياً .

ثانياً : مفهوم النسق عند البلاغيين :

قال الجرجاني[2]: (..... إنما يجب حفظ هذا الترتيب فيها لأجل الشعر، فأما أن تكون هذه الجمل في الآية، وواجباً فيها أن يكون لها نسق مخصوص كالنسق في الأشياء إذا رُتبت ترتيباً مخصوصاً كان لمجموعها صورة خاصة مقرّرة) [3] .

وقال أيضاً : (... أما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تقتفي نظمها آثار المعاني ، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس . إذن نظمٌ يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس هو) النظم (الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء وكيف جاء واتفق) [4] .

([1]) المعجم الفلسفي : مراد وهبة ، ط5 ، 2007م ، دار قباء الحديثة ـ القاهرة ـ مصر ، 645 .

([2]) الجرجاني : (عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ولد عام 400هـ ، نحوي وَمتكلم، وُلِد في جرجان لأسرةٍ رقيقة الحال، نشأ ولوعاً بالعلم، مُحبّاً للثقافة، فأقبل على الكتب يلتهمها، وخاصةً كتب النحو والأدب ، يعتبر مؤسس علم البلاغة، أو أحد المؤسسين لهذا العلم، ويعد كتاباه :دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من أهم الكتب التي أُلفت في هذا المجال، وقد ألفهما الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر، توفي عام 471هـ) . https://ar.wikipedia.org/wiki/ . تم الإطلاع عليه بتاريخ 16 / 3 / 2020 .

([3]) أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ط1 ، 2001م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، 1 / 110 .

([4]) دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، بلا.ط ، بلا.ت ، مكتبة الخانجي ، 49 .

بينما عرفه الزمخشري [1] بأنه : (نسق : نسق الدر وغيره ونسقه ، ودر منسوق ومنسق ونسق ، وتنسقت هذه الأشياء وتناسقت .

ومن المجاز : كلام متناسق ، وقد تناسق كلامه ، وجاء على نسق ونظام ، وثغر نسق ، وقام القوم نسقاً ، وغرست النخيل نسقاً ويقال لكواكب الجوزاء : النسق) [2] .

ففي التعريف الأول يُراد الترتيب المقصود ، أما في التعريف الثاني فقد جاء بمعنى النظام.

وقد عُرف في كتاب المغرب بأنه : (النسق : والنسق مصدر نسق الدر إذا نظمه ، وقولهم : حروف النسق : أي العطف مجاز ، وقوله : هذا نسق ، هذا وصف بالمصدر على معنى معطوف ، وأما النسق محركاً فاسم للمنظوم) [3] ، ويُراد به هنا العطف.

من خلال التعريفات الثلاثة يتبين أنَّ معنى النسق عند البلاغيين ينحصر بثلاثة معانٍ : الترتيب ، النظام ، العطف ، وهو بهذا يقارب اللغويين .

إن ما يريده البحث من النسق هو ما يُعرف عند البلاغيين بالترتيب ، وآثر الباحث مصطلح النسق حتى يكون تأسيساً جديداً ، وهذا مع استشارة المشرف باختيار هذه اللفظة والتي لها صيغتها الخاصة ، والفارق بين النسق الذي يريده الباحث وبين ما عند البلاغيين ، إن البلاغيين يرون أن هذا العمل جمالي أكثر من أن يكون معنوياً ، على حين المتأخرون يرون خلاف ذلك .

([1]) الزمخشري : (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي أستاذ فن البلاغة صاحب المصنفات المعروفة أساس البلاغة وغيرها ، توفي بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة المعظمة ليلة عرفة سنة 538 هـ) . الكنى والألقاب : الشيخ عباس القمي، بلا.ط ، بلا.ت ، مكتبة الصدر ـ طهران ـ إيران ، 2 / 298 ـ 299 .

([2]) أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : محمود باسل ، ط1 ، 1998م و دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، 2 / 266 .

([3]) المغرب في ترتيب المعرب : ناصر الدين المطرزي ، تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، ط1 ، 1979م ، مكتبة أسامة بن زيد ـ حلب ـ سوريا ، 2 / 300 .

ثالثاً : مفهوم النسق عند المفسرين :

إن النسق بوصفه لفظة أو مفردة وجدت في كتب المفسرين القدامى منهم والمتأخرين، إلا إن النسق كمفهوم لم يتطرقوا له ولم يبينوا ما المراد منه، ومن سياق الكلام في كتبهم تبين أن أغلبهم يقصدون به حروف العطف[1]، وبعضهم أراد به السياق[2] والنظام [3] ، والبعض الآخر أراد به الترتيب [4]،ومنهم من جمع بين هذه

([1]) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ) ، تقديم : الشيخ خليل الميس ، بلا.ط ، 1995م ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان ، 3 / 123 ، وتفسير السمرقندي: أبو الليث السمرقندي (ت: 383هـ) ، تحقيق : محمود مطرجي ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، 3 / 506 ، والتبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي (ت: 460هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط1 ، 1409هـ، مكتب الإعلام الإسلامي - إيران ، 1 / 353 ، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي) : الواحدي النيسابوري (ت: 468هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط1 ، 1415هـ، دار القلم - بيروت - لبنان ، 1/ 173 ، ومتشابه القرآن ومختلفه : ابن شهر آشوب (ت: 588هـ) ، بلا.ط ، 1328ش ، مكتبة المصطفوي - طهران - إيران ، 2 / 30 ، وإكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان (موسوعة أبن إدريس الحلي) : ابن إدريس الحلي (ت: 598هـ) ، تحقيق وتقديم السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان ، ط1 ، 2008م ، مكتبة الروضة الحيدري - النجف - العراق ، 300 ، ومقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري (ت: 1353هـ) ، بلا.ط ، 1337ش ، مطبعة الحيدري - طهران - إيران ، 1/ 91 ، وتفسير القرآن الكريم : السيد مصطفى الخميني (ت: 1398هـ) ، ، ط1 ، 1418م ، مؤسسة العروج - إيران ، 5 / 130 .

([2]) ينظر : تفسير السمعاني : السمعاني (ت:489هـ) ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ، ط1 ، 1997م ، دار الوطن – الرياض - السعودية ، 1 / 136، ومجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي (ت: 548هـ) ، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، ط1 ، 1995م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان ، 6 / 222 .

([3]) ينظر : تفسير ابن عربي : ابن عربي (ت: 638هـ) ، ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي ، ط1 ، 2001م ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، 2 / 37، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت: 682 هـ) ، إعداد وتقديم : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، ط1 ، 1998م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، 1 / 67 ، وزبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني (ت:988هـ) ، الملا فتح الله الكاشاني ، ط1 ، 1423هـ ، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم – إيران ، 1 / 110 ، والتفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية (ت:1400هـ) ، ط3 ، 1981م ، دار العلم للملايين - بيروت – لبنان ، 6 / 405 ، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، بلا.ط ، بلا.ت ، بلا.ب ، 11 / 60.

([4]) ينظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) : الثعلبي (ت: 427هـ) ، تحقيق : أبي محمد بن عاشور ، ط1 ، 2002م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، 9 / 25، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) : البغوي (ت:510هـ) ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار المعرفة -

المعاني فالنسق عنده مرة سياق [1] ومرة ترتيب[2] ، ومرة عطف[3] وأخرى نظام [4]، فمن المحدثين سيد قطب[5] ذكر مفردة النسق في تفسيره (في ظلال القرآن) بكل اشتقاقاتها (نسق، تنسيق، تناسق)، فلا يخلو أي جزء من أجزاء ظلاله من هذه المفردة، غير أنه لم يُبين ما المراد منها بشكل واضح وصريح، ولكن يُفهم من سياق كلامه أنه أراد بها أكثر من معنى فتارةً أراد بها الترتيب، وتارةً انسجام وترابط، وتارةَ نظام وترتيب وأخرى انسجام وتناسب[6]، وفي مواضع أخرى أراد بها تنظيم، تداخل، تناسب ، كما أراد بها في موضع آخر تنظيم ، ترتيب ، ترابط تماسك ، تناسب [7] ، كما أورد في كتابه (التصوير الفني) فصلاً كاملاً اسماه (التناسق الفني) وذكر فيه هذه المفردة وأراد بها أيضاً أكثر من معنى منها : النظم ، النظام ، التناسب

بيروت ـ لبنان ، 4 / 176 ، والميزان في تفسير القرآن : السيد الطباطبائي ، بلا.ط ، بلا.ت ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران ، 20 /148.

([1]) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي (ت: 597هـ) ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن ، ط1 ، 1987م ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ، 1 / 180 ، ومفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي (ت:606هـ) ط3 ، بلا.ت ، بلا.ب،7 / 149 ، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ، تصحيح : أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، بلا.ط ، 1985م ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت – لبنان ،11 / 176 ، وتفسير البحر المحيط : أبي حيان الأندلسي ، تحقيق : مجموعة محققين ، ط1 ، 2001م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، 2 / 206.

([2]) ينظر : مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي (ت:606هـ) ، 5 / 45 ، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ،16 / 220 ، وتفسير الآلوسي : الآلوسي ، بلا.ط ، بلا.ت ، بلا.ب ، 17 / 164 .

([3]) ينظر : زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي (ت: 597هـ) ، 2 / 221 ، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ، 20 / 105 ، وتفسير البحر المحيط : أبي حيان الأندلسي ، 3 / 409 ، 5 / 172 ، وتفسير الآلوسي : الآلوسي ، 12 / 68 .

([4]) ينظر : تفسير الآلوسي : الآلوسي ، 19 / 92 ، والميزان في تفسير القرآن : السيد الطباطبائي ، 13/ 124 .

([5]) سيد قطب : (ولد في عام 1906م ، في أحدى قرى الصعيد بمصر لأبوين متوسطي الحال واصل تعليمه ودخل دار العلوم وبرزت مواهبه الأدبية . وقد تم إعدامه عام 1966م في السجن (. ينظر :عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب : عبد الله عزام ، ط1 ، بلا . ت ، مركز شهيد عزام الإعلامي ـ بيشاور ـ باكستان ، 7 ، 8 ، 29 .

([6]) ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب ، ط17 ، 1412هـ ، دار الشروق ـ القاهرة ـ مصر ، 1 / 37 ، 41 ، 111 ، 2 / 1002 .

([7]) ينظر : المصدر نفسه ، 2/ 1152 ، 6 / 3770 ، 3884 .

[1] ، إلا أنه مع تعدد المعاني التي أراد بها هذه المفردة فقد ختم فصل التناسق الفني بالمعنى الذي يريده من التناسق وهو نظم ، ترابط ، تتابع ، وذلك بقوله : (وهكذا تتكشف للناظر في القرآن آفاق وراء آفاق، من التناسق والاتساق : فمن نظم فصيح . إلى سرد عذب . إلى معنى مترابط . إلى نسق متسلسل . إلى لفظ معبّر . إلى تعبير مصوّر . إلى تصوير مُشخص . إلى تخييل مجسم . إلى موسيقى منغمة . إلى اتساق في الأجزاء . إلى تناسق في الإطار . إلى توافق في الموسيقى . إلى افتنان في الإخراج ...) [2] ، فالنسق عند سيد قطب يحمل هذه المعاني كلها .

والذي يرومه البحث هو التنظيم والترتيب المقصود في عرض المفاهيم القيمية ، وإن هذا الترتيب إذا اختل يسبب خللاً في المنظومة القيمية .

ومن المحدثين أيضاً الشيخ حسن المصطفوي[3] (ت: 1426هـ) إذ بيّن ما المراد من النسق فقد عرفه بأن : (النسق عطف شيء على شيء وتتابع على نظام واحد) [4]، فالشيخ فرق بين مفهوم حسن التناسق والنسق والنضد والنظم والرصف، فهو بهذا ميز النسق وحدده بهذا المعنى .

ويرى بعض الباحثين أن النسق عند المفسرين هو علم المناسبات وعلم مقاصد السور بقولهم : (وقد وفق العلماء المتقدمون استجلاء هذه السمة ودراستها في علمين من علوم القرآن : الأول علم المناسبات الذي عني بأوجه الارتباط بين الآي والسور، والثاني علم مقاصد السور الذي أبدعه برهان الدين البقاعي، وبفضله تنبه بعض

([1]) ينظر : التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، ط17 ، 2004م ، دار الشروق ـ القاهرة ـ مصر ، 102 ، 122 ، 128 .

([2]) المصدر نفسه ، 142 .

([3]) الشيخ المصطفوي : (لعلامة الحجة الشيخ حسن المصطفوي ، أحد الباحثين المعاصرين ، له (التحقيق في كلمات القرآن (خرجت منه تسعة أجزاء ، وهو كتاب لطيف يهتم بتبيين لغات القرآن على وجه بديع). مفاهيم القرآن : الشيخ جعفر السبحاني ، ط1 ، 2010م ، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ لبنان ، 10 / 430 .

([4]) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، ط1 ، 1417هـ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران ، 4 / 47 .

المفسرين ـ لاسّيما من المعاصرين ـ إلى أن لكل سورة غرضاً محورياً تدور عليه جميع آياتها، فعنوا ببيانها في تفاسيرهم.)[1].

وبعض آخر يرى أنه علم المناسبات (يعرف التناسق بأنه : بناء السورة الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه والترابط المعنوي بين آياته . وقد عرفه علماء التفسير باسم علم المناسبات) [2] .

يستنتج من هذا كله : أن النسق عند أغلب المفسرين يعني العطف والترتيب ، وبما أن العطف يراد به التتابع والترتيب فالمعنى الغالب هو الترتيب ، بالإضافة إلى أن منهم من جمع عدة معانٍ للنسق يمكن إجمالها فيما يأتي :

1ـ ترتيب .

2ـ عطف .

3ـ نظام .

4ـ ترابط .

5ـ انسجام .

6ـ مناسبة .

وبما أن هذه المعاني متداخلة فيما بينها ويدخل الترتيب في كثير منها ، لذلك كان المعنى الأقرب عند المفسرين هو الترتيب المقصود ، وهذا هو المعنى الذي يرومه البحث ، وفيما يخص آراء الباحثين بكون النسق عند المفسرين هو علم المناسبة أو علم مقاصد السور فهذا يخالف ما توصل إليه الباحث ، فقد بيَّن البحث أن علم المناسبة يدرس سبب وجود النسق وليس هو النسق نفسه ، بالإضافة إلى أن المناسبة

([1]) وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دراستها : رشيد الحمداوي ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد الثالث ، جمادي الآخرة ، 1428هـ ، 137 .

([2]) التناسق الموضوعي في سورة الصافات : حنان عبد اللطيف الخطابي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ـ كلية الدعوة وأصول الدين ـ قسم الكتاب والسنة ـ السعودية ، 1435هـ ـ 2014م ، 19 .

هي ليست المعنى الوحيد لكلمة نسق عند المفسرين وقد تبين ذلك من خلال البحث في مؤلفاتهم .

خلاصة القول :

أن مصطلح النسق ورد في مصطلح الفلاسفة والبلاغيين والمفسرين جرى البحث عن معناه من خلال تتبع مؤلفاتهم وكتاباتهم بغية الوصول إلى معنى مشترك بينهم ، والنتيجة كانت بأن المعنى المشترك عند الفلاسفة والبلاغيين الترتيب والنظام ، فيما كان المعنى المشترك بين الفلاسفة والمفسرين النظام ، الترتيب ، التماسك ، بينما كان المعنى المشترك بين البلاغيين والمفسرين الترتيب ، النظام ، العطف ، وبما أن المفسرين اشتركوا مع الفلاسفة والبلاغيين بالترتيب والنظام والترابط والتماسك وزادوا عليها الانسجام والاتساق والمناسبة ، وبما أن الدراسة هنا دراسة تفسيرية ومن خلال جمع المعاني المشتركة مضافاً إليها المعاني عند المفسرين توصل البحث إلى أن النسق يجمع كلاً من : الترتيب والعطف والنظام والاتساق الانسجام والترابط والمناسبة .

المبحث الثاني : القيم الإسلامية والإتمام القيمي .

المطلب الأول : مصادر القيم الإسلامية :

اختلفت آراء العلماء حول مصادر القيم فمنهم من توسع ومنهم من ضيق ، فهناك من قسم مصادرها إلى أقسام عدة مثل القرآن الكريم ، السنة النبوية ، الإجماع ، العرف ، ومنهم من توسع إلى أكثر من ذلك فأدخل الأسرة والمؤسسات التربوية والتعليمية ، ومنهم من أدخل القياس والاستحسان والمصالح المرسلة ، وهذا التوسيع أو التضييق لمصادر القيم إنما يعود لوجهات نظر وآراء ومذاهب العلماء والباحثين المختلفة ، ولكن المصدر الأساس المتفق عليه هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

ويرى البحث أن للقيم الإسلامية مصدران الأول : الوحي متمثلاً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة عن رسول الله وآل بيته (صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين) ، والثاني : إنساني متمثلاً بالعقل والفطرة السليمين لا العقل المنحرف والفطرة الفاسدة ، أما فيما يخص العرف فهناك من يرى أنه مصدر من مصادر القيم ، والباحث يرى أن قيم العُرف نسبية غير ثابتة ، فالعُرف في المجتمع العربي غير العُرف بالمجتمع الغربي وعليه فالقيم تختلف ، وكذلك الحال في المجتمع الواحد ، فمثلاً المجتمع العربي قد تختلف الأعراف فيه فسكان المدينة بعض القيم لديهم تختلف عن قيم الريف وهذا الاختلاف سببه اختلاف العادات والتقاليد السائدة بين سكانها . استبعد البحث فكرة كون العرف من مصادر القيم الإسلامية إلا إذا كان لا يخالف الكتاب والسنة ؛ وذلك لعدم ثباتها وتغيّرها من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان ، ولكون القيم الإسلامية تستمد أهميتها من ثبات مصدرها ، نعم قد يكون للعرف دور كبير في ترسيخ القيم وتحديدها ولكنه ليس مولداً لها ، أما فيما يخص الأُسرة والمؤسسات التربوية والتعليمية فهي تابعة إلى المجتمع الذي تنتمي إليه ، وبالتالي فهي غير ثابتة ولا مجال للتفصيل في هذا الموضوع إلا أنه يمكن ذكر مثال واحد لكل منهما ، فمثلاً الأُسرة إذا كانت متدينة فهي تغرس قيم الدين في أفرادها ، أما إذا كانت الأُسرة ملحدة فماذا تغرس في نفوس أفرادها ؟ ، والمثال الآخر على القول

بالمؤسسات فهي تختلف من مؤسسة إلى أخرى ، فالكليات والمعاهد التجارية تؤكد على أهمية القيم الاقتصادية وغرسها في نفوس تلامذتها كقيمة العمل والتعاون والإنتاج وغيرها ، والمؤسسات العسكرية تؤكد على أهمية قيم الدفاع عن النفس والأمة وحماية المجتمع وقيم الوحدة والتماسك وقيم الجهاد وهكذا باقي المؤسسات ، بالتالي فهي تولي اهتماماً كبيراً بالقيم ذات العلاقة بالمؤسسة على حساب باقي القيم . ومن المعلوم والبديهي أن المصدر إنما يكون مصدراً لجميع القيم وبالمستوى نفسه ، وليس مصدراً لبعض أو جزء منها أو أقل مستوى ، ولهذا فالمصدر الصحيح للقيم كل ما هو ثابت وغير قابل للتبديل مهما تغير الزمان والمكان .

المصدر الأول : الوحي :

أ ـ القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى المنزل على رسوله الكريم محمد ﷺ والذي وصل إلينا بالتواتر أول وأهم مصدر للقيم ، فهو يعد دستور الأمة الذي ينظم حياة الإنسان ، فمن يلتزم بتعاليمه ينال الهداية والسعادة في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿... **هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** .. ﴾ [البقرة : 185] .

جاء في تفسيرها : (بأن كونه هادياً من شأنه أن يهدي من يحتاج إلى هدايته من الضلال وفارقا إذا التبس حق بباطل) [1] ، والقرآن الكريم بالإضافة إلى كونه كتاب هداية فقد أكد على أهمية الأخلاق بقوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم ﷺ : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم : 4] .

جاء في تفسيرها : (الخلق هو الملكة النفسانية التي تصدر عنها الأفعال بسهولة وينقسم إلى الفضيلة وهي الممدوحة كالعفة والشجاعة ، والرذيلة وهي المذمومة كالشره والجبن لكنه إذا أطلق فهم منه الخلق الحسن، والآية وإن كانت في نفسها تمدح حسن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم وتعظمه غير أنها بالنظر إلى خصوص السياق ناظرة إلى أخلاقه الجميلة الاجتماعية المتعلقة بالمعاشرة كالثبات على الحق

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 2 / 15 .

والصبر على أذى الناس وجفاء أجلافهم والعفو والاغماض وسعة البذل والرفق والمداراة والتواضع وغير ذلك) [1] .

داعياً الناس بما يصدر عن الرسول ﷺ بقوله تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : 21] .

جاء في تفسيرها : (لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ : خصلة حسنة ، من حقّها أن يؤتسي بها ، كالثبات في الحرب ، ومقاساة الشدائد ، أو هو في نفسه قدوة يحسن التأسّي به) [2] .

كما أن القرآن الكريم يشمل نواحي الحياة الإنسانية جميعها كالدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية وغيرها ، لذا فهو يشمل القيم التي يتوجب على الإنسان التحلي بها في جميع جوانب حياته، لكي يحصل على التوازن بالقدر الذي يريده الله تعالى ليستحق خلافة الأرض قال تعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾ [البقرة : 30] .

جاء في تفسيرها : (الإنسان خليفة الله في الأرض الآيات السابقة ذكرت أن الله سبحانه خلق ما في الأرض جميعا للإنسان ، وفي هذه الآيات تقرير صريح لخلافة الإنسان وقيادته ، وتوضيح لمكانته المعنوية التي استحق بها كل هذه المواهب) [3] .

ب ـ السنة المطهرة :

إن سنة الرسول محمد ﷺ من قول وفعل وتقرير هي بلا شك ثاني مصدر بعد القرآن الكريم ، فالسنة أما أن تأتي مُبينة وشارحة لكلام الله سبحانه وتعالى وأما أن تأتي مؤكدة لما ورد فيه أو أن تأتي مؤسسة لحكم جديد [4] ، وكل ما صدر عن السنة

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 19 / 369 .

([2]) زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، 5 / 358 .

([3]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 1 / 154 .

([4]) ينظر : الأصول العامة للفقه المقارن : السيد محمد تقي الحكيم ، ط1 ، 1431هـ ، دار الفقه ـ قم ـ إيران ، 252 .

النبوية الشريفة الثابتة هو من عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾ [النجم : 3-4] .

جاء في تفسيرها : (وما ينطق عن الهوى) أي ليس ينطق عن الهوى أي بالهوى والمعنى إنه لا يتكلم في القرآن وما يؤديه إليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع (إن هو إلا وحي يوحى (معناه ليس الذي يتلوه عليكم من القرآن إلا وحي أوحاه الله إليه ، فالوحي إلقاء المعنى إلى النفس في خفى إلا أنه صار كالعلم في ما يلقيه الملك إلا النبي صلى الله عليه وآله من البشر عن الله تعالى) [1] .

وقوله ﷺ : (إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق) [2] ، وهذا الحديث إنما هو تأكيد على القيم الإسلامية والتحلي بالخلق الحسن والفضائل ، وقال (عليه أفضل الصلاة والسلام) مؤكداً على أهمية الأخلاق : (أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم) [3] .

وكل ما يصدر عن الرسول ﷺ فهو ملزم على المسلمين قال تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : 21] ، فإذا كان الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام) يتحلى بأعظم خلق كما وصفه الله تعالى :﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم :4]، وجب على المسلمين التحلي بصفات الرسول ﷺ فهو القدوة الذي يقتدى بها ، وكما إن السنة جاءت مبينة ومؤكدة جاءت أيضاً مؤسسة ، فكل ما يصدر عن المعصوم من قيم وتعاليم ووصايا يجب أن يؤخذ بها قال تعالى :﴿ **وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [الحشر :7] ، جاء في تفسيرها : (وعن الصادق (عليه السلام) قال : إن الله عز وجل أدب رسوله حتى قومه على ما أراد ثم فوض إليه فقال عز ذكره وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فما فوض الله إلى رسوله فقد فوضه إلينا وفي رواية فوض إلى نبيه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثم

([1]) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 9 / 421 .

([2]) بحار الأنوار : العلامة المجلسي ، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي ، ط3 ، 1983م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان ، 68 / 382 ،الحديث رقم 17 .

([3]) الكافي : الشيخ الكليني ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط4 ، 1365ش ، دار الكتب الإسلامية – طهران - إيران ، 2 / 102 ، الحديث رقم 16 .

تلا هذه الآية والأخبار في هذا المعنى كثيرة وزاد في بعضها فحرم الله الخمر بعينها وحرم رسول الله ﷺ كل مسكر فأجاز الله ذلك له ولم يفوض إلى أحد من الأنبياء غيره وفي بعضها عد أشياء آخر مما أجاز الله)[1]. قال تعالى :﴿... **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم** ...﴾ [النساء:59] .

جاء في تفسيرها : (أي إلزموا طاعة اللَّه فيما أمركم به ونهاكم عنه وإلزموا طاعة رسوله .. أنّ أولي الأمر الأئمّة من آل محمّد عليهم السّلام أوجب اللَّه طاعتهم بالإطلاق كما أوجب طاعته وطاعة رسوله ولا يجوز أن يوجب اللَّه طاعة أحد على الإطلاق إلَّا من ثبت عصمته وعلم أنّ باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الأمراء ولا العلماء سواهم جلّ اللَّه تعالى أن يأمر اللَّه بطاعة من يعصيه وهذه صفة أئمّة الهدى من آل محمّد الَّذين ثبت إمامتهم وعصمتهم واتّفقت الأمّة على علوّ رتبتهم) [2] .

وبمجموع هذه الآيات يظهر أن التعاليم والوصايا والقيم نافذة على المسلمين جميعاً وبهذا تُعد السنة واحدة من مصادر القيم الإسلامية .

المصدر الثاني : مصدر إنساني :

أ ـ العقل :

وقيمة العقل واضحة من الدين والواقع وفي ذلك آيات كثيرة ومخاطبة العقلاء في الآيات في الصدارة ، كما أن أول رواية جاءت تبين قيمة العقل ومدركاته في كتاب الكافي وقد وضع المؤلف باباً بعنوان العقل [3] ، هذا غير ما قاله الفلاسفة وكبار المفكرين في هذا المجال ، لكن يُفضل هنا أنّ يُؤخذ ما يخص البحث وهو أنَّ العقل من مصادر القيم، إذ هنالك جملة من القيم يدركها العقل ، يقول الشيخ

([1]) التفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، ط2 ، 1416هـ ، مكتبة الصدر – طهران ـ إيران ، 5 / 156 .

([2]) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري ، 3 / 123 .

([3]) ينظر : الكافي : الشيخ الكليني ، 1 / 10 .

السبحاني[1] :(إن العالم الأخلاقي يحكم بلزوم تكريم الوالدين والمعلمين أولي النعمة؛ لأن التكريم من مصاديق جزاء الإحسان، وهو حسن بذاته ويقبح الإهانة؛ لأنها قبيحة بذاتها، وقس على ذلك كل ما يرد عليك من الأبحاث في الحكمة العملية سواء أكانت راجعة إلى الفرد أم المجتمع وكل ذلك مرجعه إلى القضايا الواضحة البديهية) [2] .

ب ـ الفطرة :

إن العرض القرآني للفطرة يظهر في العديد من الآيات منها قوله تعالى : ﴿**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾ [الروم:30]، جاء في تفسيرها : (فطرة الله الإسلام . وقيل : فطر الناس عليها ولها وبها بمعنى واحد ، وقيل تقديره : اتبع فطرة الله التي فطر الناس عليها ؛ لأن الله تعالى خلق الخلق للإيمان ، والمعنى خلق الله الخلق للتوحيد والإسلام) [3] ، ويقرب هذا العرض القرآني السيد عبد الأعلى السبزواري[4] بقوله : (إن في الإنسان انبعاثاً داخلياً فطرياً إلى الأخلاق والذي يمكن التعبير عنه (الحاسة الأخلاقية) التي يميز بها بين الخير والشر ومن هذه الحاسة الخلقية نستطيع أن نؤسس القواعد الخلقية والقانون الأخلاقي العام) [5] . ويزاد على ذلك بأن أصل التشريع مودوع في فطرة الإنسان وأن إدراكه للقيم

([1]) الشيخ جعفر السبحاني : (مرجع شيعي إيراني معاصر له بروز واضح في مجالات الكلام والتفسير والفلسفة، وهو مؤسس مؤسسة الإمام الصادق والمشرف عليها، وهي من المؤسسات الثقافية الإسلامية الكبيرة في قم، وتتبعها مؤسسات ومراكز فرعية أخرى ، ولد السبحاني بمدينة تبريز في أسرة متدينة إذ كان والده محمد حسين السبحاني من رجال الدين، في الثامن والعشرين من شوال 1347 هـ). https://ar.wikipedia.org/wiki .تم الإطلاع عليه بتاريخ 20 / 3 / 2020 .

([2]) مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه : الشيخ جعفر السبحاني ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان ، 169 - 170 .

([3]) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 8 / 247 .

([4]) السيد عبد الأعلى السبزواري : (العلامة الحجة السيد عبد الأعلى السبزواري النجفي ، أحد المدرسين الكبار في حوزة النجف الأشرف ، له (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) ، خرجت منه عدة أجزاء (. مفاهيم القرآن) العدل والإمامة) : الشيخ السبحاني ، 10 / 430 .

([5]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، ط5 ، 2010م ، مطبعة نكين ـ قم ـ إيران ، 2 / 403 .

والأخلاق يستند على فطرته وضميره ووجدانه [1] . من خلال ما تقدم يتبين أن المصدر الرئيس للقيم الإسلامية هو الوحي ، والعقل ، والفطرة ، أما فيما يخص العُرف والأسرة والمؤسسات التعليمية فتُعد عوامل مساعدة لنقل وتعزيز القيم وترسيخها وليست مولدة لها .

المطلب الثاني : خصائص القيم الإسلامية :

هناك خصائص للقيم الإسلامية تميزها عن غيرها من القيم الأخرى ، وهذه الخصائص انفرد بها الإسلام عن الشرائع والمجتمعات الأخرى وحتى عن القيم في الفلسفات ؛ ذلك لأن الدين الإسلامي جاء ليربي النفس الإنسانية ، فهو يحمل القيم في أوامره ونواهيه جميعها ، وهذا مما شجع كثيراً من الدارسين للبحث عن سمات القيم الإسلامية ، وكانت دراساتهم متفاوتة من جهة العدد والحصر ، فمنهم من فصل [2] ، ومنهم من أجمل [3] ومنهم من حصرها بعدد معين [4] ومنهم من يرى أنه لا يمكنه حصرها [5] ومنهم من أعطى خصائص لقيمة معينة في الإسلام وليس جميعها بهدف الدراسة [6] .

([1]) ينظر : حقيقة الدين : السيد محمد باقر السيستاني ، ط1 ، 1432هـ ، دار الكتب والوثائق ـ بغداد ـ العراق ،74.

([2]) ينظر : القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف : قاسم محمد محمود خزعل ، جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد 25 ، أيلول 2011م .

([3]) ينظر : بحث حول القيم التربوية من وجهة نظر الفلسفة الإسلامية : حاتم جاسم عزيز السعدي ، http://imamhussain-lib.blogspot.com/2014/04/blog-post_9.html . تم الإطلاع عليه بتاريخ 26 / 4 / 2020 .

([4]) ينظر : القيم الإسلامية في التعليم وأثارها على المجتمع : محمد أمين الحق ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ـ شيتاغونغ ، العدد 9 ، 2012م ، 338 - 339 .

([5]) ينظر : القيم التربوية في قصص القرآن الكريم (سورتي مريم والصافات) : وداد دشون حامد قدام وآخرون ، بحث بكالوريوس ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ـ كلية التربية ، 2015م ، 17 - 19 .

([6]) ينظر : القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم (ودور الأسرة في غرسها في نفوس الفتيات) : كوثر بنت محمد رضا الحسيني الشريف ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ـ كلية التربية بمكة المكرمة ، 2004 م ، 39 - 40 . الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة : فؤاد علي العاجز ، محمود عبد المجيد عساف ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الأول القرآن

فالذي فصل إنما أراد إبراز أهمية القيم الإسلامية من خلال جمع كل سمات القيم الإسلامية التي توصل إليها الباحثون ممن سبقوه ، ومن أجمل فيها رأى أن هناك بعض الخصائص متداخلة ولها المعنى نفسه فعمد إلى الجمع بين بعضها للاختصار ، وإلا فالقيم الإسلامية لها سمات عدة تميزها ويفتخر بها الإنسان المسلم ، ولما كان المصدر الرئيس للقيم الإسلامية هو القرآن الكريم والسنة المطهرة ، أعطى ذلك خصائص اتسمت بها القيم الإسلامية وتميزت بها عن غيرها ، يذكر الباحث أهمها :

1- إلهية (ربانية) : تمتاز القيم الإسلامية بكونها إلهية المصدر فهي صادرة من الله سبحانه وتعالى وبينتها سنة رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ **تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الحاقة : 43] .

جاء في تفسيرها : (تنزيل : هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبرئيل) [1]، وقوله تعالى : ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : 44] .

جاء في تفسيرها : (وأنزلنا إليك الذكر) يعني القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) أي من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه وإتباعك له ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل) [2] .

2- الثبات والاستمرارية : ولما كانت القيم الإسلامية إلهية المصدر فهي تمتاز أيضاً بالثبات والاستمرارية ؛ وذلك لثبات مصدرها وديمومته ، فالقيم الإسلامية لا تتغير بتغير الزمان والمكان فهي لا تخضع لمزاجية الفرد كما هو في بعض المجتمعات ، فالقيم الإسلامية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين فهو مصدرها الأساس والرئيس أما المصادر الأخرى فهي مستندة إليه ، لذا فالمساس بها يُعد مساساً بالدين ، فالقيم

الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة ـ مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية ـ كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ غزة ، 2008م ، 415 - 416 .

([1]) كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد بن محمد رضا المشهدي ، تحقيق : حسين درگاهي ، ط1 ، 1991م ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران ، 13 / 423 .

([2]) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) : ابن كثير ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بلا.ط ، 1992م ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ، 2 / 592 .

الإسلامية هي سنة الله التي سنها للمسلمين فلا يجوز القول بنسبية القيم ، قال تعالى : ﴿.... **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴾ [الأحزاب : 62] ، جاء في تفسيرها : (أي وسنة الله في ذلك لا تبدل ولا تغير) [1] .

قد يسأل أحدهم كيف تكون القيم ثابتة وفي بعض الأحيان يكون الصدق مضراً وأحياناً أخرى يكون الكذب مفيداً ؟ .

والجواب على ذلك هو: إن القيم لها أحكام ثابتة وإن الذي يتغير هو موضوعها فقط ، فإذا قُيد موضوع القيم بقيد واقعي ، كانت ثابتة مثال كأن نُقيد الصدق فنقول : الصدق غير الضار مطلوب ، وبالعكس ، وكذلك الحال بالنسبة إلى الكذب فنقول : الكذب النافع مطلوب ، وبالعكس ، فمع هذا القيد كانت القيم ثابتة ولكن موضوعها هو الذي تغير ، (فأحكام القيم إذا لاحظنا موضوعاتها وضممنا إليها قيودها أي عرفنا موضوعها بالدقة والضبط كانت الأحكام ثابتة لها وهذا هو نفس الكلام أن الأحكام الفقهية تابعة للظروف الزمانية والمكانية. مثال آخر: أكل لحم الميتة هل هو جائز أم لا؟ فأكل الميتة حرام لكن له استثناء ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فإذا قلنا (أكل الميتة لغير المضطر حرام) فهذا حكم دائم ثابت مطلق، أما إذا نسبنا هذا الحكم للموضوع ولم نذكر قيده فليس ثابتاً فأكل الميتة ربما يكون جائزاً للذي اضطر إليه غير باغ ولا عاد. هذا جواب دقيق يحتاج إلى تأمل فصيغة الإجابة تكون على هذا الوجه: إذا اعتبرنا الموضوعات الأخلاقية بقيودها الواقعية كان الحكم ثابتاً لها على الإطلاق وأما إذا تسامحنا في أخذ الموضوع فاعتبرنا الموضوع المقيد موضوعاً مطلقاً نرى أحكامه تتغير في الظروف الاجتماعية المختلفة باختلاف الأزمنة والأمكنة...) [2] .

وبهذا فالقيم ثابتة ومستمرة قابلة للتطبيق في أي وقت وفي أي مكان فهي متكررة في سلوك الناس ، فمثلاً الصادق لا يُقال عنه صادقاً إلا إذا استمر بصدقه ، كما كان عليه

([1]) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) : ابن كثير ، 3 / 527 .

([2]) أصول المعارف الإنسانية : محمد تقي مصباح اليزدي ، ط1 ، 2001م - 1422هـ ، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية ـ بيروت ـ لبنان ، 87 .

رسول الله ﷺ فقد كان يُلقب بالصادق الأمين ؛ وذلك لاستمراره بالصدق والأمانة وثباته عليهما ، وبهذا فكل (من ثبت على شيء وتمسك به فهو قائمٌ عليه) [1] .

3- نافذة (ملزمة) : بما إن القيم إلهية المصدر ثابتة ومستمرة لهذا وجب أن تكون نافذة ملزمة على كل فرد مسلم ، ولما كانت القيم تمثل الدين الإسلامي وشريعته وإن المسلم ملتزم بكل ما جاء في هذا الدين من أوامر ونواهٍ فهو أيضاً ملتزم بما جاء به الإسلام من قيم ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء: 58] .

جاء في تفسيرها : (قانونان إسلاميان مهمان : الآية الحاضرة وإن نزلت - كالكثير من الآيات - في مورد خاص ، إلا أن من البديهي أنها تتضمن حكما عاما وشاملا للجميع ، فهي تقول بصراحة : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، ومن الواضح أن للأمانة معنى وسيعاً يشمل كل شيء مادي ومعنوي ، ويجب على كل مسلم .... الآية الحاضرة وإن نزلت - كالكثير من الآيات - في مورد خاص ، إلا أن من البديهي أنها تتضمن حكماً عاماً وشاملا للجميع) [2] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر: 1 - 3] ، جاء في تفسيرها : (في هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام. وتبرز معالم التصور الإيماني بحقيقته الكبيرة الشاملة في أوضح وأدق صور، إنها تضع الدستور الإسلامي كله في كلمات قصار .وتصف الأمة المسلمة: حقيقتها ووظيفته، في آية واحدة هي الآية الثالثة من السورة) [3] ، وما يؤكد أيضاً على إنها نافذة وملزمة على كل مسلم ومسلمة قول الرسول محمد ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [4] .

([1]) لسان العرب : ابن منظور ، 12 / 500 .

([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 3 / 284 .

([3]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 6 / 3964 .

([4]) بحار الأنوار : العلامة المجلسي ، 68 / 382 ، الحديث رقم 17 .

4- الشمول والعمومية : لقد شملت القيم الإسلامية جوانب الحياة الإنسانية جميعها فهي لم تهمل جانباً كما إنها لا تفضل جانباً على حساب جانب آخر ، فهي تراعي الجوانب والمجالات المختلفة كلها كالجوانب الجسمية والروحية والدينية والدنيوية والعاطفية والعقلية والجماعية والفردية ، بما فيها من القيم الفردية والقيم الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتربوية والأخلاقية والسياسية والدينية والجمالية وغيرها من القيم ، فالله سبحانه وتعالى حينما خلق آدم (عليه السلام) أحاطه علماً بجميع جوانب الحياة ، قال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** .....﴾ [البقرة : 31] .

جاء في تفسيرها : (علم الله تعالى آدم أسماء وأسرار العالم ، بما في ذلك أسماء أوليائه والجماد ، وقد سُئل الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) : (ماذا علّمه الله تعالى ؟ قال الأرضين والجبال والشعاب والأودية ثم نظر إلى بساط تحته فقال : وهذا البساط ممّا علّمه (، الله هو المعلم الحقيقي ، أما القلم والبيان والأستاذ والكتاب فهي وسائل التعليم وأدواته ، ﴿وَعَلَّمَ ﴾... يمتلك الإنسان الموهبة على تعلم جميع العلوم ، كُلَّهَا) [1]، كما أن القيم الإسلامية جاءت لعامة الناس فهي عالمية تشمل جميع البشر ولا تقتصر على المسلمين ، قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ** ...﴾ [سبأ : 28]. جاء في تفسيرها : (أي أنت رسول إلى عامّة البشر كلّهم كالعرب والعجم وسائر الأمم) [2] .

فالقيم الإسلامية جاءت للناس جميعاً دون تفرقة بين غني وفقير وبين عربي وأعجمي أو أسود وأبيض ، فالإسلام لم يُفرق بين أحد من الناس لا على أساس العرق ولا اللون والطبقية ولا الجنس ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات : 13] .

جاء في تفسيرها : (﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا ﴾ جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب ﴿ وَقَبَائِلَ ﴾ هي

([1]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، ط1 ، 2014م ، دار المؤرخ العربي - بيروت - لبنان ، 1/ 92-93.

([2]) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري ، 9 / 22 .

دون الشعوب وبعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها ، مثاله خزيمة : شعب ، كنانة : قبيلة ، قريش : عمارة بكسر العين ، قصي : بطن ، هاشم : فخذ ، العباس : فصيلة﴿ لِتَعَارَفُوا ﴾حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاخروا بعلو النسب وإنما الفخر بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم) [1] ، وقال رسول الله ﷺ : (لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى) [2].

5 ـ الوضوح والبساطة : تتميز القيم الإسلامية بالوضوح والبساطة ؛ وذلك لوضوح مصدرها الرئيس فقد كان القرآن الكريم غاية في البساطة والوضوح [3] ، ويدل على ذلك قوله تعالى :﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ** ﴾ [المائدة : 15] .

جاء في تفسيرها : (... بيد إن الله لا يكتفي بإعطاء البشر نوراً ، بل يكمل عليهم النعمة ، بأن يرسم لهم خريطة متكاملة لدروب الحياة ، ويوضح لهم المسالك المهلكة ، والصراط المستقيم ، وذلك عبر تشريعات مفصلة وواضحة يسميها القرآن ﴿الكِتَابٌ ﴾ ويقول﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾) [4] .

6 ـ الوسطية والتوازن : إن القيم الإسلامية تقوم على التوازن بين قدرات الإنسان المادية والمعنوية ، فهي لا تقوي جانباً وتترك آخر ؛ وذلك لأن الإسلام جاء بالموازنة بين متطلبات الإنسان المادية والروحية ، قال تعالى :﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ...﴾ [القصص : 77] .

جاء في تفسيرها : (وفي هذا يتمثل اعتدال المنهج الإلهي القويم .المنهج الذي يعلق قلب واجد المال بالآخرة. ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة. بل

([1]) تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي ، تقديم ومراجعة : مروان سوار ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان ، 687 .

([2]) كنز العمال : المتقي الهندي ، بلا.ط ، 1989م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت – لبنان ، 3 / 93،الحديث رقم 5652 .

([3]) ينظر : دستور الأخلاق في القرآن : محمد عبد الله دراز ، ط10 ، 1418هـ ـ 1998م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ، 10 ـ 11 .

([4]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، ط2 ، 2008م ، دار القارئ ـ بيروت ـ لبنان ، 2 / 205 .

يحضه على هذا ويكلفه إياه تكليفا، كي لا يتزهد الزهد الذي يهمل الحياة ويضعفها. لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها. والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها. فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى. وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة) [1] .

كما إن الشريعة الإسلامية أمرت بالاعتدال والوسطية ، قال تعالى :﴿ **وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا** ﴾ [الإسراء : 29] ، جاء في تفسيرها : (الإسلام دين الاعتدال والوسط حتى في الإنفاق ، ﴿ وَلَا تَجْعَلْ ... وَلَا تَبْسُطْهَا ﴾ ، الإفراط والتفريط مذمومان ، والاعتدال وحده الحسن الممدوح ﴿وَلَا تَجْعَلْ ... وَلَا تَبْسُطْهَا ﴾) [2] .

7- التكيف والمرونة : لما كانت القيم الإسلامية ثابتة ولا تتغير بتغير المكان والزمان هذا لا يعني أنها متقولبة بقالب من الزمان أو المكان ، فهي قابلة للتحقق والتطبيق تحت أي ظرف من الظروف ، إذ تتكيف حسب المكان والزمان والظرف الذي توجد فيه ، فمثلاً بر الوالدين وصلة الرحم هذه القيمة العظيمة يمكن تحقيقها تحت أي ظرف ، فمثلاً الحظر والحجر المنزلي الذي يمر به العالم بأسره بسبب جائحة فايروس كورونا (كوفيد - 19) ، والذي سبب عزل الناس في منازلهم وعدم التجمع والتزاور بين الأقرباء على مستوى العالم أجمع وليس في مكان معين ، إلا أنه يمكن الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة مثل الإنترنيت والهواتف الجوالة ، لا يحتاج الشخص إلا نقرة زر فقط والاتصال بالأهل والأقارب ، سواء كان الاتصال صوتياً

([1]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 5 / 2711 .

([2]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 5 / 41 .

أو مرئياً أو نصياً ، يكفي أنه يحقق الغرض ألا وهو صلة الرحم ، وكذلك التكافل الاجتماعي إذ كانت هناك منظمات إنسانية عملت على إيصال المساعدات إلى المحتاجين والمتضررين من جراء الحظر المفروض ، وقيمة التكافل تحفظ كرامة الإنسان وتحقق له الأمان والمعيشة، دون التقيد بزمن معين أو مكان معين .

إذن فالقيم الإسلامية يمكن تحقيقها بشتى الوسائل وبمختلف الطرائق ، بالإضافة إلى كونها تتميز بالمرونة فقد راعت الشريعة الإسلامية طبيعة النفس الإنسانية وضعفها ، لذلك جعل الله سبحانه وتعالى الرخصة ، قال تعالى : ﴿... **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ...﴾ [النحل : 106] .

جاء في تفسيرها : (... فكانت رخصة في مثل هذه الحال) [1] .

8- الواقعية : تتسم القيم الإسلامية كونها قيم يمكن تطبيقها فهي ليست قيم خيالية نظرية وإنما هي واقعية ، فهي تراعي واقع الإنسان وقابليته ، قال تعالى : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ...﴾ [البقرة : 286] .

جاء في تفسيرها : (قوله تعالى : ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ التكليف هو الأمر بما يشق عليه ، وتكلفت الأمر تجشمته ، حكاه الجوهري . والوسع : الطاقة والجدة وهذا خبر جزم نص الله تعالى على أنه لا يكلف العباد من وقت نزول الآية عبادة من أعمال القلب أو الجوارح إلا وهي في وسع المكلف وفى مقتضى إدراكه وبنيته) [2] ، فالقيم الإسلامية تحمل مصلحة الفرد المسلم وهذه المصلحة لها علاقة وثيقة بالواقع.

9- الاتساق والانسجام : تميزت القيم الإسلامية باتساقها فلا تعارض في تطبيقها ، فالشريعة الإسلامية لا تعارض فيها وبالتالي لا تعارض فيما تحمله من قيم ، قال تعالى : ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ﴾ [النساء : 82] .

([1]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 4 / 2196 .

([2]) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ، 3 / 429 .

جاء في تفسيرها : (... ولو كان هذا القرآن من عند غير الله أي من إنشاء البشر لوجدوا في أخباره وفي نظمه وفي أسلوبه وفي معانيه واختلافاً كثيراً فضلاً عن الاختلاف القليل ، ولكن القرآن لأنه من عند الله وحده قد تنزه عن كل ذلك وخلا من كل اختلاف سواء أكان كثيراً أم قليلاً . فالمراد بالاختلاف : تباين النظم وتناقض الحقائق وتعارض الأخبار وتضارب المعاني وغير ذلك مما خلا منه القرآن الكريم لأنه يتنافى مع بلاغته وصدقه) [1] ، كما تميزت الشريعة الإسلامية بالانسجام والتوافق بين القيم التي تحملها ، فالقيم الروحية منسجمة مع القيم المادية حتى يتحقق التوازن .

10 - التدرج والارتقائية : تتدرج القيم الإسلامية في ترتيب معين حسب الأولوية والأهمية فقد يكون تدرجها صعوداً أو يكون هبوطاً حسب حالة الفرد المسلم ، فمثلاً في حالة الاضطرار قد يتحول الحرام إلى حلال وبهذا يكون التدرج صعوداً ، قال تعالى :﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [البقرة : 173] .

جاء في تفسيرها : (... وقوله تعالى : ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ بيان لحالات الضرورة التي يباح للإنسان فيها أن يأكل من تلك المحرمات . واضطر : من الاضطرار وهو الاحتياج إلى الشيء بشدة . والمعنى : فمن ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من هذه المحرمات ، حالة كونه ﴿غَيْرَ بَاغٍ ﴾ ، أي : غير طالب للمحرم وهو يجد غيره ، أو غير طالب له على جهة الاستئثار به على مضطر آخر ، ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ أي : ولا متجاوز في أكله ما يسد الجوع ويحفظ الحياة ﴿ فإِنَّ اللَّهَ ﴾ ـ تعالى ـ ﴿ غفور ﴾ واسع المغفرة لعباده ﴿ رَحِيم ﴾ كثير الرحمة بهم) [2] ، وقد يكون تدرجها هبوطاً في حالة الانتقال من الوجوب إلى التحريم ، قال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ . الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾ [الماعون : 4 -6] .

([1]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي ، ط1 ، 1997م ، دار النهضة ـ القاهرة ـ مصر ، 3 / 234 - 235 .

([2]) المصدر نفسه ، 1 / 353 .

جاء في تفسيرها : (﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي غافلون لا يهتمون بها ولا يبالون أن تفوتهم بالكلية أو بعض الأوقات أو تتأخر عن وقت فضيلتها وهكذا . وفي الآية تطبيق من يكذب بالدين على هؤلاء المصلين لمكان فاء التفريع ودلالة على أنهم لا يخلون من نفاق لأنهن يكذبون بالدين عملا وهم يتظاهرون بالإيمان . قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ أي يأتون بالعبادات لمرآة الناس فهم يعملون للناس لا لله تعالى) [1] .

كما تتسم القيم الإسلامية بالارتقائية فهي ترتقي مع ارتقاء الفرد المسلم معرفياً وخلقياً وعمرياً ، فالقيم الإسلامية عند العلماء والفقهاء أكثر رُقياً من القيم عند المسلم العادي ، والقيم عند المسلم البالغ أكثر رُقياً من المسلم غير البالغ ، فمثلاً قيمة الجهاد لا تكاد توجد عند الأطفال ، وتوجد بصورة ضبابية عند المراهقين ، وتتضح وترتقي عند البالغين ، وكذلك من القيم الاجتماعية قيمة التزاوج وبناء الأسرة ، فهي أيضاً تكون غير واضحة لدى الأطفال وترتقي مع تقدمهم بالعمر فتكون من القيم المهمة لديهم ، وهكذا باقي القيم .

11- التكامل المتناسق : تمتاز القيم الإسلامية كونها متناسقة ، ولما كانت إلهية المصدر فلا يصح عنها التضارب بل تكون وفق نسق مرتب (فالقيم المتضاربة لا يمكن الاعتماد عليها ، بينما القيم المتناسقة هي الأفضل) [2] .

كما أن (التكامل بنحوٍ متناسق هو خصوصية بارزة للمنهج الأخلاقي الإسلامي ، وبناءاً عليه فالإنسان عليه أن يصل إلى الكمال في جميع جهات الحياة الإنسانية ، أو أن يسير في هذا الاتجاه ، لا أن يتكامل أو يسير في اتجاه واحد ، مثل الشخص الذي يتعبّد فقط ويغفل عن العلم والجهاد ، وفي حال حصل هذا التناسق فإن أعماله سوف ترشده نحو القرب إلى الله سبحانه وتعالى) [3] .

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 20 / 268 .

([2]) التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده : السيد محمد تقي المدرسي ، 3 / 383 .

([3]) الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم : محمد حسين فهيم نيا ، تعريب : الشيخ محمد نبيل جمعة العاملي ، ط1 ، 1440هـ - 2019م ، مؤسسة الخلق العظيم - العتبة الحسينية المقدسة - العراق ، 54-55.

المطلب الثالث : إتمام القيم :

إن القرآن الكريم هو رسالة الإسلام الخاتمية الخالدة ، ولما كانت هذه الرسالة هي خاتمة الرسالات السابقة ، فقد جاءت متممةً لما قبلها وخاتمةً لكل الشرائع السماوية السابقة [1] ، ولما كانت القيم الإنسانية هي محور الرسالات والشرائع السابقة ، في كل مجالات الإنسان الحياتية ، لذلك جاءت (داعيةً في جوهرها إلى الفضائل الأخلاقية ومؤكدة على ضرورة إقامة المجتمعات على قيم ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والأحوال ، فكان هدفها في كل ذلك بث القيم والفضائل في نفس الإنسان والسمو به إلى أعلى مراتب الفضيلة ، والترفع عن الرذائل المقيتة ، فنادت كل واحدة منها بمبادئ وقيم يكمل بعضها بعضاً إلى أن ختمها الله جل وعلا برسالة الإسلام على يد نبيه ﷺ متممةً بذلك الصرح الأخلاقي الذي بنته الأديان الأخرى)[2]، فرسالة الإسلام جاءت متممةً لما قبلها لهذه القيم من أوامر ونواهٍ وتكاليف وغيرها من القيم الإيمانية والإنسانية ، فالرسالة المحمدية لم تأتِ من انفصال أو انقطاع عن الرسالات السابقة ، وإنما جاءت استئنافاً ومواصلة لسلسلة من القيم ، قال رسول الله ﷺ : (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [3] ، فالأنبياء (عليهم السلام) في الرسالات السماوية السابقة كالمعلمين (ربى كل منهم البشرية في فصل دراسي ، وبعد انتهاء المرحلة الدراسية الخاصة به يسلم المجتمع البشري إلى معلم آخر ليجتاز الأفراد مرحلة دراسية أعلى . ومن هنا فالمجتمع البشري مكلف بتحمل مسؤوليات ما يأتي به آخر نبي ، وهذا لا يتعارض مع كون سائر الأنبياء على حق) [4] .

وقد ذكر لنا القرآن الكريم في آياته المباركة كثيراً من الشواهد القرآنية والتي تحدثت عن دعوة الأنبياء لأقوامهم والتي لم تقتصر على توحيد الله وحسب بل كانت الدعوة إلى التحلي بالقيم والفضائل النبيلة والنهي عن الفساد والفحشاء والرذيلة ، كما كانت

([1]) ينظر : الحاكمية في الإسلام : السيد محمد مهدي الموسوي ، ط1 ، 1425هـ ، مجمع انديشة إسلامي ـ قم ـ إيران ، 58 .

([2]) الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية : كريمة دوز ، ط1 ، 2016م ، دار الكاتب ـ الإسماعيلية ـ مصر ، 12 .

([3]) بحار الأنوار : العلامة المجلسي ، 68 / 382 ، الحديث رقم 17 .

([4]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 1 / 394 .

وصايا الأنبياء (عليهم السلام) وصايا إصلاحية للمجتمع من خلال التمسك بالقيم والعمل بها ، فكانت رسالة نوح (عليه السلام) إلى قومه مثالاً واضحاً للتوحيد والتقوى ، قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [المؤمنون :23] ، وقوله تعالى :﴿ **أَوَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ [الأعراف :63] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [الشعراء :106 - 108] ، وقوله تعالى : ﴿ **أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [نوح :3] .

فقيمتي التوحيد والتقوى من أهم وصايا نوح (عليه السلام) لقومه ، كما إن (من لوازم الدعوة إلى التوحيد تحقيق المساواة بين الناس ونبذ الظلم وإقامة العدل ، وهذا ما سعت إليه رسالة نوح (عليه السلام) ويتجلى ذلك واضحاً في الحوار بينه وبين قومه) [1] .

وهذه القيم قد تكررت في وصايا هود (عليه السلام) لقومه أيضاً ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [الأعراف :65] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [الشعراء :124 6 - 126] .

كما تكررت في وصية صالح (عليه السلام) لقومه ، في قوله تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [الشعراء :142] ، أما رسالة لوط (عليه السلام) فقد تميزت بمجابهته للانحراف الأخلاقي الذي كان عليه قومه ، فقد كان يدعوهم إلى ترك الفاحشة والتي أدت إلى هلاكهم [2] ، فالقيم الأخلاقية والتحلي بها من أهم وصايا لوط (عليه السلام) إلى قومه ، والذي عاصر نبي الله إبراهيم (عليه السلام) كما آمن به ، قال تعالى :﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ**

([1]) الرؤية القرآنية لدعوات الرسل وشمولية الرسالة : عبد الرحمن حللي ، مجلة التفاهم ، العدد 50 ، 2015م ، مسقط ـ عمان ، 30 .

([2]) ينظر : المصدر نفسه ، 34 .

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت :16] ، وقوله تعالى : ﴿ **فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [العنكبوت :26] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ [العنكبوت :28] .

أما رسالة يوسف (عليه السلام) فقد تمثلت بالدعوة إلى التحلي بالأخلاق النبيلة كالعفة والصبر والتقوى ، كما كان في رسالته إصلاح اقتصادي ، فهذه القيم نلتمسها من سيرة حياته التي ذُكرت في القرآن الكريم دفعةً واحدة في سورة يوسف وهي القصة الوحيدة التي لم تأتِ متفرقة ولم تتكرر ، وفيها من العبر كثير من القيم ، فقيمة العفة مثلاً جاءت في قوله تعالى : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف :23] ، هنا (تبرز عفة يوسف ـ عليه السلام ـ مع امرأة العزيز حيث يعطي أروع عرض يبرز الساحة النفسية عنده ، وساحة الإثارة بكل ملابساتها ، وقوة الضبط الخلقي الذي جعله يكف عما لا يحل له ، ويعطي أعظم أمثلة العفة والعفاف) [(1)] ، والقيم الاقتصادية في قوله تعالى على لسان يوسف (عليه السلام) : ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف :55] ، ففي هذه الآية تتجسد قيمة الحفظ والعلم ومعنى قوله حفيظ عليم : (أي خازن أمين ، عليم ذو علم وبصيرة بما يتولاه) [(2)] ، فالحفظ والبصيرة والأمانة والعلم من القيم التي لابد للمتصدي للجانب الاقتصادي من التحلي بها ، أما قيمتي الصبر والتقوى فتتجسد في قوله تعالى : ﴿... **قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [يوسف :90] .

وكذلك كانت رسالة شعيب (عليه السلام) إلى المدائن وأصحاب الأيكة ، إذ كان (لمَدْين) من الموقع الجغرافي مما يجعل لها خصوصية في الوظيفة والتجارة ، وهذا ما جعل دعوة شعيب (عليه السلام) قد تركزت على الجانب الاقتصادي والأخلاقي معاً ، إذ قام بالتحذير من الأخلاق السيئة في البيع والشراء مثل تطفيف الكيل

([1]) أساليب التدريس والتقويم والقيم الأخلاقية في سورة يوسف : بكر سميح المواجدة ، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات ، المجلد 17 ، العدد 2 ، 2014م ، جامعة عمان الأهلية ـ الدراسات العليا ، 164 .

([2]) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) : ابن كثير ، 2 / 499 .

والميزان ، وعدم بخس الناس أشياءهم ونهاهم عن الفساد في الأرض [1] ، قال تعالى على لسان شعيب (عليه السلام) : ﴿ **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأعراف :85] ، فهذه الآية تتحدث عن قوم شعيب (عليه السلام) وكيف ينصحهم بالقيم الإنسانية والنهي عن الفساد ، فيوصيهم بعبادة الله وتوحيده ، ويوصيهم بالوفاء بالكيل والميزان ، فهنا تأكيد على القيم الاقتصادية ، ونهي عن الفساد في الأرض . وهكذا سائر الرسالات السماوية كانت جميعها تؤكد وتدعو إلى التحلي بالقيم والمبادئ وتنهى عن الانحراف والفساد في الأرض ، إلى أن ختم الله تعالى هذه الرسالات برسالة الإسلام المحمدية ، فـ (الإسلام خاتم الرسالات الإلهية ، وهو منهج كامل يشمل كل جوانب حياة الإنسان من العقيدة والأخلاق والعبادة والسلوكيات الفردية والاجتماعية ، والعلاقة مع كل ما في الكون) [2] ، كما أنه ليس خاتم للرسالات السماوية وحسب بل ومكمل لها ، قال تعالى :﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾ [آل عمران :19] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران :85] .

إن المدة الزمنية بين آخر رسالة سماوية ورسالة الإسلام ، قد خلقت فجوة تحول بين الإنسان وبين المعتقد الصحيح ، إذ ابتعد الإنسان شيئاً فشيئاً عن الدين الصحيح واستحوذ الشيطان على عقول الناس ، وطغت المادية على أكثرهم وانحرف الدين لديهم واختلت القيم والمبادئ التي نادى بها جميع المرسلين (عليهم السلام) ، ففي الجاهلية [3] ابتعد الناس عن القيم والمبادئ والأخلاقيات الحميدة ، مع كونهم كانوا ينادون وينشدون في أشعارهم ويتغنون بالأخلاق الفاضلة ، كالصدق والأمانة والكرم

([1]) ينظر : الرؤية القرآنية لدعوات الرسل وشمولية الرسالة : عبد الرحمن حللي ، 35 .

([2]) أصول العقائد وأحكام التقليد والبلوغ : السيد محمد تقي المدرسي ، ط3 ، 1428هـ ، انتشارات محبان الحسين (ع) - قم - إيران ، 106 .

([3]) الجاهلية : (هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله ورسوله واليوم الآخر وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك من الذمائم) . شرح أصول الكافي : محمد صالح المازندراني ، تحقيق : مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، ط1 ، 2000م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، 6 / 355 .

وحسن الضيافة وإغاثة الملهوف وغيرها ، إلا أنها مع مرور الوقت ضعفت وتلاشت ولم يبقَ منها إلا القليل، فقد كان من القيم ومكارم الأخلاق ما لم يتمم وفي حالة نقص ، وجاء الإسلام ليتممها كالكرم والأمانة والصدق وغيرها من القيم قد انحسرت وطغت عليها المادية ، فتحول الإنسان العربي في ذلك الوقت إلى إنسان مادي كل همه هو المال والسيادة ، كما انتشرت مفاهيم سلبية لا أخلاقية كالربا وشرب الخمر ووأد البنات والظلم وغيرها ، (ولعل أدق تصوير وأقصره لحالة العرب في الجاهلية في ذلك الذي قرره جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي ملك الحبشة حينما سأله عن دين الإسلام وعن الرسول محمد ﷺ، قال جعفر : أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف) [1] ، إذ كان جل ما يقومون به هو الاعتداء على الآخرين ، فكانت القبائل آنذاك تقوم بالإغارة على قبائل أخرى لتستولي على أموالها وطعامها .

وهكذا كان الحال حتى أذن الله سبحانه وتعالى بنزول الوحي على خير البشر وأشرف الخلق محمد ﷺ ليؤكد أنه لم يُرسل إلا ليتمم مكارم الأخلاق ، فالقيم السماوية التي جاء بها الإسلام هي عين القيم التي جاءت بها الرسالات السماوية السابقة ، إلا أنه جاء متمماً لها فيهذبها مما خالطها وغير ملامحها ، ويُرسي ما كان موجوداً منها ويغرس ما جاء مُنتزعاً ويسقط ما جاء مخالفاً للدين والعقل والفطرة ، وذلك عن طريق أهم مصادرها ألا وهما القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فالقرآن الكريم جاء بمنظومة قيمية متكاملة مغايرة لما جاء في الكتب السماوية السابقة ، إذ جاءت القيم فيها مبثوثة ومجزأه على شكل وصايا ، أما القرآن الكريم فقد جاء بها وفق طريقتين، الأولى موافقة لما جاء في الرسالات السابقة ، والأخرى على شكل نسق قيمي له هدف وغاية ، سيتناوله البحث في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى .

وعليه فالقرآن الكريم جاء بهذه المنظومة القيمية وبهذه الكيفية ليتمم الأخلاق والقيم التي كانت سائدة ، كالقيم الإنسانية والعقدية والعبادية ، وبعد أن استقر الإسلام في

([1]) مقارنة الأديان الإسلام : احمد شلبي ، ط4 ، 1973 م ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ـ مصر ، 47، دلائل الإمامة : محمد بن جرير الطبري ، ط1 ، 1413هـ ، مؤسسة البعثة ـ قم ـ إيران ، 12 .

نفوس المسلمين وانتشرت تعاليمه بين الناس ، وقبل أن ينتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى نزلت آخر آية من القرآن الكريم [1] ، تؤكد إلى أن الإسلام قد تم وأكتمل ، قال تعالى : ﴿**... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...**﴾ [المائدة :3] .

ومن الجدير بالذكر أن هناك فرقاً بين التمام والكمال[2] ، فالكمال لا يكون إلا في الأجزاء ، وبما أن الدين عند الله الإسلام ، أي أن الرسالات السماوية جميعها جاءت بالإسلام ، وإن هذه الرسالات لا تختلف إلا في الشريعة والمنهاج [3] ، قال تعالى : ﴿... **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...**﴾ [المائدة :48]، وإن هذه الرسالات جاءت بمراحل زمنية ، أي بمعنى جاءت هذه الرسالات متجزأة ، فكل واحدة مصدقة لما قبلها ، فقد خُتمت بالرسالة المحمدية واكتملت الأجزاء ، وبهذا اكتمل الدين عند الله سبحانه وتعالى ببعثته للرسول ﷺ ، أي أنه أعطانا جميع الأصول والفروع التي تدلنا وترشدنا إلى الدين الصحيح ولا يزاد عليها فهي كاملة .

أما معنى التمام فيقال للشيء الذي يحتمل الزيادة ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿**أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾ أي أنه أتم النعمة في الدنيا وهذه النعمة تحتمل الزيادة والله أعلم ، ونظير قوله ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، فلم يقل (لأكمل مكارم الأخلاق) ، أي أن الأخلاق والقيم لم تكن مجزأة ليجمع أجزائها ويكملها ، كما لم يقل (لأتمم الأخلاق) ، بل قال : (لأتمم مكارم الأخلاق) ، أي أن هناك أخلاقاً كريمة قد طُمست واندثرت ، جاء الإسلام ليظهرها ويؤيدها ، وأخلاقاً أخرى طغت عليها المادية فجاء ليحذر منها ويأمر بالابتعاد عنها ، كما أسس لقيم جديدة تناسب كل عصر وكل زمان ، فمن القيم التي أسس لها الإسلام هي قيمة الجهاد والشهادة في سبيل الله ، وغيرها من القيم لا يسع المجال لذكرها هنا ، لما تحتاجه من شرح وتفصيل .

([1]) ينظر : كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي ، 4 / 32 .
([2]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 2 / 48 .
([3]) ينظر : الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار المعرفة - بيروت – لبنان ، 2 / 290 .

وبمعنى آخر إن الإسلام جاء بنوعين من القيم ، الأول قيم إمضائية ، والثاني قيم تأسيسية ، والنوعان كلاهما جاء في القرآن الكريم بنسق قيمي إلهي ، الهدف منه رسم خارطة لسلوك الإنسان حتى تتحقق الغاية من وجوده ، وهي عبادة الله من خلال خلافته للأرض ، ولا يستحق خلافة الأرض إلا من سار على هذا النسق ، بل ليس لا يستحق فقط ، وإنما لا يمكن له ذلك إلا من سار على هذا النهج القرآني العظيم .

وإن بالابتعاد عن قيم الإسلام والمنظومة القيمية وما جاءت عليه من نسقٍ ، ستكون هناك كارثة عظيمة تؤدي إلى العودة بنا للجاهلية الأولى كما وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ** ... ﴾ [الفتح :26] ، ولهذا كانت لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) بعد الإسلام الأثر الأكبر للتمسك بالقيم وفق النسق الذي أراده الله سبحانه وتعالى ، فقد انتفض الإمام الحسين (عليه السلام) لأجل الإصلاح بقوله : (وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام) [1] ، وإن هذا الإصلاح يشمل القيم والمبادئ الإسلامية ، فالحسين (عليه السلام) امتداد النبوة [2]، فقول الرسول ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ، وقوله (عليه السلام) : (خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله) ، فهذا الإصلاح هو متمم لما جاء به ﷺ ، وإن من أبرز القيم التي نادى بها (عليه السلام) هي العدالة والحرية والمساواة ونبذ الظلم والجور والفساد ، فقد قدم نفسه الزكية قرباناً للتمسك بالنسق القيمي ، وأن يكون الأسوة الحسنة التي يحتذى بها للتمسك بهذا النسق .

([1]) بحار الأنوار : العلامة المجلسي، 44 / 329 ، الحديث رقم 2 .
([2]) ينظر : من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 2 / 183 .

الفصل الثاني

" المنهج القيمي في القرآن الكريم "

وفيه مبحثين :

المبحث الأول : المنظومة القيمية في القرآن الكريم

المطلب الأول : تصنيف القيم الإسلامية

المطلب الثاني : معايير النسق القيمي في القرآن الكريم

المطلب الثالث : خصائص النسق القيمي في القرآن الكريم

المطلب الرابع : فوائد النسق القيمي في القرآن الكريم

المبحث الثاني : أساليب القرآن الكريم في عرض القيم وتعزيزها

المطلب الأول : أسلوب القصة

المطلب الثاني : أسلوب الأمثال

المطلب الثالث : أسلوب الأسوة الحسنة

المطلب الرابع : أسلوب الترغيب والترهيب

الفصل الثاني : المنهج القيمي في القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو المصدر الرئيس للقيم الإسلامية وقد بين البحث ذلك في موضوع مصادر القيم الإسلامية ، ولما كان هو المصدر الرئيس للقيم ، يتبادر هنا سؤال ما هو المنهج القيمي في القرآن الكريم ؟ وكيف جاء هل جاءت القيم متفرقة أم وفق منظومة قيمية جاءت بنسق إلهي مقصود ؟ وما هو تصنيف القيم القرآنية وما هي المعايير أو الضوابط التي استند إليها البحث للكشف عن النسق القيمي في القرآن الكريم ؟ وما هي خصائص وفوائد ذلك النسق ؟ وما هي الأساليب التي جاء بها القرآن الكريم في عرض القيم بتعزيزها وإرسائها ؟ .

كل هذه التساؤلات يجيب عليها البحث في مبحثين ، ولكن قبل البدء بالبحث كان من الضروري تعريف المنهج لغةً واصطلاحاً وكذلك تعريف القيم لغةً واصطلاحاً ، وبما أن تعريف القيم قد مر ذكره ، يكتفي هنا الباحث بتعريف المنهج .

المنهج لغةً : إن المنهج جاء من الأصل اللغوي (نهج) وله في اللغة معان عدة منها : الطريق الذي يتميز بالوضوح [1] ، وقد يأتي بمعنى الاستبانة والسلوك والطريق الواضح [2] ، ووافقهم في هذا ابن فارس بأن المنهج يراد به الطريق الواضح والمستقيم وجمعه مناهج [3] .

المنهج اصطلاحاً : هناك تعاريف عدة لمصطلح المنهج نذكر منها :

المنهج : (هو البحث في أيسر الطرق للوصول إلى المعلومة مع توفير الوقت والجهد ، وتفيد كذلك معنى ترتيب المادة المعرفية وتبويبها وفق أحكام علمية مضبوطة) [4] .

([1]) ينظر : العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، 3 / 392 .
([2]) ينظر : الصحاح : الجوهري ، 1 / 346 .
([3]) ينظر : معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، 5 / 361 .
([4]) المنهجية في البحوث والدراسات الأدبية : محمد البدوي ، ط1 ، 1998م ، دار المعارف ـ سوسة ـ تونس ، 9.

وعرف المنهج كذلك بأنه : (مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة)[1] . من خلال ما تقدم يتضح بأن المعنى اللغوي يلتقي مع المعنى الاصطلاحي لمفهوم المنهج فكلاهما يعني أن يتخذ الشخص أو الباحث طريقة معينة للبحث وتكون هذه الطريقة واضحة وبينة .

فالمنهج القيمي في القرآن الكريم هو عرض القيم وفق الطريقة التي رسمها القرآن الكريم لتحقيق غرضه في تعزيز القيم وإرسائها ، وبعد البحث عن القيم القرآنية واستقراء آيات القرآن الكريم ، وجد البحث أن المنهج القيمي في القرآن الكريم جاء بطريقتين في عرض القيم القرآنية ، الطريقة الأولى : هي عرض القيم منفردة ومجزئه ، إذ جاءت القيم مبثوثة في ثنايا القرآن الكريم ، تعالج جانباً واحداً أو أكثر من جوانب حياة الإنسان بحسب الغرض الذي سيقت إليه الآية القرآنية ، أما الطريقة الثانية : هي عرض القيم وفق نسق قيمي إلهي مقصود ، يعالج أكثر من جانب في حياة الإنسان بحيث يُحدث التوازن بين الجانبين الروحي والمادي للإنسان ، وهذه الطريقة هي مدار البحث .

المبحث الأول : المنظومة القيمية في القرآن الكريم .

يشمل القرآن الكريم العديد من القيم في ثناياه ، وإن هذه القيم قد جاءت في القرآن الكريم بطريقتين ، الأولى مبثوثة ومجزأه ولكن غير مبعثرة، والثانية جاءت وفق نسق سماوي مقصود، الهدف منه تهيئة الإنسان للعبادة بشكل سليم وتزكية النفس الإنسانية من أهواء الدنيا ، قال تعالى :﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾ [النور : 30] ، جاء في تفسيرها (فهو أطهر لمشاعرهم وأضمن لعدم تلوثها بالانفعالات الشهوية في غير موضعها المشروع النظيف، وعدم ارتكاسها إلى الدرك الحيواني الهابط وهو أطهر للجماعة وأصون لحرماتها وأعراضها، وجوها الذي تتنفس فيه والله هو

([1]) أصول البحث : الشيخ عبد الهادي الفضلي ، .بلا.ط ، 1990م ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم – إيران ، 51 .

الذي يأخذهم بهذه الوقاية وهو العليم بتركيبهم النفسي وتكوينهم الفطري، الخبير بحركات نفوسهم وحركات جوارحهم: إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ)[1] .

فالقرآن الكريم جاء بمنظومة قيمية تشمل نواحي الحياة الإنسانية جميعها ، وهذه المنظومة تتكون من مجموعة من القيم الإيمانية والإنسانية والتي ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً ، إذ لا يمكن لأي قيمة من هذه القيم أن تنعزل أو تنفك عن باقي القيم الأخرى داخل المنظومة القيمية [2] ، فالقيم الإيمانية هي الحاكمة داخل المنظومة القيمية والقيم الإنسانية تابعة لها وتتأثر بها تأثيراً مباشراً ، فالقيم الاجتماعية مثلاً لا يمكن لها أن تثبت وتستمر ما لم يسبقها إيمانٌ قويٌ وصادقٌ ، وهذا الإيمان يتمثل في القيم الإيمانية والتي تتصدرها قيمة التوحيد [3] وهي الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له ، فالقيم القرآنية في هذه المنظومة جاءت مرتبة حسب الأولوية وفق نسق قيمي مقصود ، غايته خلق التوازن في حياة الإنسان ليستحق أن يكون خليفة الله تعالى في أرضه ، فهو ـ النسق القيمي ـ بمثابة خارطة حياتية للإنسان يسير عليها في حياته العملية ، فهو نسق تطبيقي أكثر منه نظري ، من سار عليه وفِّق في حياته ونال سعادة الدارين الدنيا والآخرة ومن خالفه ناله من الشقاء ما يستحق وخسر الدارين ، إلا ما رحم ربي ، ولهذا النسق معايير وخصائص وفوائد، ولكن قبل البدء بالبحث عنها لابد ابتداءاً من البحث عن تصنيف العلماء للقيم القرآنية وما هو التصنيف المقترح .

المطلب الأول : تصنيف القيم في القرآن الكريم :

على الرغم من وجود اهتمام كبير من قبل الباحثين والدارسين للقيم وتصنيفاتها ، إلا أنهم اختلفوا وتباينت آراءهم في تصنيف القيم القرآنية ؛ والسبب في ذلك يعود إلى اختلاف فلسفة أفكارهم ومرجعياتهم ، فمنهم من صنفها على أساس

([1]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 4 / 2512 .

([2]) ينظر : نسق القيم وسمات الشخصية كعوامل للعمل التطوعي : السعيد عبد الصالحين دردرة ، مجلة المنهج العلمي والسلوك ، العدد الخامس ، 2006م ، 9 .

([3]) ينظر : منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران : فتحي حسن ملكاوي ، ط1 ، 2013م - 1434هـ ، مكتب التوزيع في العالم العربي ـ بيروت ـ لبنان ، 77 .

المحتوى كالقيم الفردية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية وهكذا ، ومنهم من صنفها بحسب المقصد فقسموها إلى قسمين غائية ووسائلية ، ومنهم من صنفها على أسس وأبعاد ، كالبعد الروحي والبعد العقلي والبعد الاجتماعي وهكذا ، ومنهم من صنفها بحسب المصلحة فقسمها إلى ضروريات وحاجيات وتحسينات ، ومنهم من صنفها بحسب نظرة الإسلام للإنسان ، وغيرها من التصنيفات ، يذكر الباحث منها لا للحصر :

1- التصنيف بحسب المحتوى:

- القيم الفردية .

- القيم الأسرية .

- القيم الاجتماعية وتشمل (محظورات - قواعد الأدب) .

- القيم التي لها علاقة بالدولة .

- القيم الدينية [1] .

2- التصنيف على أسس وأبعاد :

أ - التصنيف على أبعادٍ ثلاثة رئيسة وهي القيم التي لها صلة بعلاقة الإنسان بربه والقيم التي لها صلة بعلاقة الإنسان مع نفسه والقيم التي تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان .

ب - التصنيف إلى أبعادٍ ستة، ينقسم إليها كل من الأبعاد الثلاثة المذكورة وهي : البعد الروحي ، البعد البيولوجي ، البعد المعرفي، البعد العاطفي ، البعد السلوكي ، البعد الاجتماعي [2] .

3- التصنيف على عدد من الأسس :

([1]) ينظر : دستور الأخلاق : عبد الله دراز ، 691 - 763 .

([2]) ينظر : البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم : عبد الحميد الهاشمي وعبد السلام فاروق ، 1400هـ ، بحث مقدم لندوة خبراء أسس التربية الإسلامية - مكة المكرمة - السعودية ، 13 .

الأساس الأول في كون القيم مطلقة أو نسبية ، وهو على مستويين :

أ ـ القيم المطلقة : ويقصد بها القيم الثابتة والمستمرة التي لا تتغير ولا يوجد فيها مجالاً للاجتهاد ، وهي قيم ملزمة على الفرد المسلم ؛ لأن مصدرها القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ب ـ القيم النسبية : ويقصد بها تلك القيم التي لم يرد فيها نص صريح فهي قيم متغيرة ، وتُقّر بالاجتهاد بما لا يعارض نصاً صريحاً .

والأساس الثاني الذي صُنفت عليه هو أنها صنفت بحسب تحقيقها للمصلحة ، وهي تلك القيم التي لها علاقة بالكليات الخمسة : (الدين ، النفس ، العقل ، النسل ، المال)، وهذه القيم تأتي مرتبة ترتيباً هرمياً على محورين :

الأول : درجة النفع : ضروريات ، حاجيات ، تحسينات .

الثاني : درجة الحكم : حلال ، حرام ، مكروه ، مندوب .

أما الأساس الثالث فقد صنفت فيه القيم بحسب تعلقها بجميع أبعاد شخصية الإنسان : البعد الروحي ، البعد الخلقي ، البعد العقلي ، البعد الجمالي ، البعد الوجداني ، البعد المادي ، البعد الاجتماعي ، وهذه الأبعاد متكاملة فيما بينها فكل بعد يتكامل مع البعد الآخر وكافة الأبعاد ، وتكامل الأبعاد الثلاثة مع بعضها البعض يكوّن النسق القيمي في الإسلام الصحيح [1] .

4ـ التصنيف ضمن مجموعات متجانسة بحسب سماتها العامة وتشمل :

ـ القيم الإيمانية : الصلاة ، الصوم ، الاستغفار ، قيام الليل ، الحج ... وغيرها .

ـ القيم العلمية : فضل العلماء ، استخدام العقل ، طلب العلم ، إجلال العالم ، الأمانة العلمية ... وغيرها .

([1]) ينظر : موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ : صالح بن عبد الله ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح وآخرون ، ط1 ، 1998م ـ 1418 هـ ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ـ جدة ـ السعودية ، 1 / 83 .

ـ قيم العمل : التعاون في العمل ، العمل المقترن بالإيمان، إتقان العمل ، ... وغيرها .

ـ قيم الدعوة : ابتغاء وجهه تعالى ، ضرب الأمثال ، الصبر في الدعوة ، عدم الغلو ، ... وغيرها .

ـ القيم الأسرية : تجنب العزوبية ، إكرام المرأة ، المودة بين الزوجين ، صلة الرحم ، ... وغيرها .

القيم الاجتماعية : التحية ، أدب الضيافة ، الاستئذان ، تجنب الحقد ، الاعتدال ، حرمة البيوت ، ... وغيرها .

ـ القيم الأخلاقية :العفة،خفض الصوت، الصبر، التواضع، الوفاء بالعهد، ... وغيرها.

ـ القيم الاقتصادية : الحث على العمل ، تجنب الكذب في المعاملات ، الكسب الحلال ، الالتزام بالعقود ، إيتاء الزكاة ، حفظ الأمانة ، إخراج الصدقة ، ... وغيرها .

ـ القيم القضائية : إقرار الحق ، ردع الظالم ، القصاص ، إقرار الحدود ، إقرار العفو ، الشهادة ، الحسبة ، ... وغيرها .

ـ القيم السياسية : الشورى ، الحرية ، العدل ، المساواة ، الأمن ، التضحية ، إقرار المعاهدات الدولية ، ... وغيرها .

ـ قيم الجهاد : الحث على الجهاد، إعداد الجيش، الصبر، الثبات، اليقين بالنصر ... وغيرها .

ـ القيم البيئية : وجوب المحافظة على الطبيعة العامة والخاصة، الحجر الصحي، لزوم التداوي، العناية بالأرض وزراعتها ، عدم الإسراف ، ... وغيرها .

ـ القيم الجمالية : النظافة ، التطهر ، التطيب ، تجنب الوشم ، التبسم ، التأمل في كمال خلق الله [1] .

([1]) ينظر : القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف : قاسم محمد خزعلي ، 83 ـ 94 .

5- التصنيف بحسب المصلحة :

أ ـ القيم الضرورية : وهي التي حث عليها الإسلام لتهذيب النفس وتزكيتها ، وهي لازمة ومن أهمها : الإيمان ، العلم ، العدل ، العمل ، الشورى ... وغيرها .

ب ـ القيم الحاجية : وهي القيم التي حث عليها الإسلام وبدونها يكون هناك فساد في الحياة الاجتماعية ومن أهمها : الأمر بالمعروف ، الأمانة ، الصدق ، إتقان العمل ، الوفاء بالعهد ، بر الوالدين ... وغيرها .

ج ـ القيم التحسينية : ويطلق عليها الفضائل الخلقية ومن أهمها : الرحمة ، التسامح ، التكافل الاجتماعي ، الصبر ، الورع ، الإيثار [1] .

6- التصنيف بحسب أنواع العلاقات الدنيوية للإنسان وهي أربعة أنواع :

أ ـ علاقته مع الله .

ب ـ علاقته مع الناس .

ج ـ علاقته مع نفسه .

د ـ علاقته مع الطبيعة [2] .

وكل علاقة من هذه العلاقات فيها حالتان ، حالة ايجابية وأخرى سلبية ، وبهذا تكون العلاقات على أنواعٍ ثمانية .

تتضمن العلاقة بين الإنسان وربه مفاهيم ايجابية وأخرى سلبية ، وتتضمن الايجابية مفاهيم وهي : الإخلاص ، الإخبات ، التقوى ، التوكل ، الخوف ، الرجاء ، الخشوع ، التضرع في القرآن ، الاستكانة ، الخشية ، الشكر ، الصبر .

أما المفاهيم السلبية فقد تضمنت : الفسق ، الفجور ، سوء الظن بالله تعالى ، الربا .

([1]) ينظر : القيم التربوية في قصص سورة الكهف دراسة تحليلية مقاصدية : معروف سعاد ، رسالة ماجستير ، 2014م ، جامعة أبي بكر بالقايد ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ الجزائر ، 45 ـ 46 .

([2]) ينظر : الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم : محمد حسين فهيم بنا ، 191 ـ 365 .

وتضمنت العلاقة بين الإنسان مع الآخرين ، مفاهيم ايجابية حاملة للقيم منها : الإنفاق ، الإيثار ، صلة الرحم ، الوفاء ، البر ، الإحسان والعدل ، التواضع .

أما المفاهيم المضادة للقيم والسلبية فهي : النفاق ، الحسد ، سوء الظن ، البخل ، الكذب ، الكِبر .

وتضمنت العلاقة بين الإنسان ونفسه على مفاهيم ايجابية حاملة للقيم وهي : التفكر والاعتدال . وتضمنت مفاهيم سلبية هي : الغفلة والعُجب .

أما العلاقة بين الإنسان والطبيعة فتضمنت أيضاً مفاهيم ايجابية حاملة للقيم وأخرى سلبية، فمن المفاهيم الايجابية : الاستفادة من الطبيعة والنظافة .أما المفاهيم السلبية فتمثلت بالإسراف .

بعد البحث في هذه التصنيفات وغيرها كثير ، وجد البحث أن تصنيفات العلماء والباحثين والدارسين لم تحصر عدد القيم في القرآن الكريم ، ولكنها اشتركت بوجود قيم رئيسة وأخرى فرعية على الرغم من اختلاف نوع التصنيف في كل واحدة منها ، فضلاً عن أنها ـ هذه التصنيفات ـ اتفقت على أن القيم كلها تدور حول الإنسان ، فالقيم وُجدت لتسيير حياة الإنسان على أكمل وجه ؛ ليؤدي دوره في هذه الحياة كما أراد له الله سبحانه وتعالى ، ليستحق خلافة الأرض ، ويتزود للدار الآخرة.

ومن القيم الرئيسة التي اشتركت فيها هذه التصنيفات هي جُل القيم الدينية ، وجُل القيم الأخلاقية ، إلا إن بعض هذه التصنيفات اختلفت في تصنيف القيم الدينية ، فمنهم من قسمها إلى قيم إيمانية وقيم عبادية ، ومنهم قسمها إلى أبعاد : كالبعد الروحي والوجداني والعاطفي ، ومنهم من صنفها إلى قيم مطلقة ولازمة ، وأما القيم الأخلاقية فقد جاءت في هذه التصنيفات بشكلين ، الأول صنفت على أنها قيم رئيسة ، والآخر جاءت متضمنة في القيم سواء كانت رئيسة أم فرعية ، فوُجدت ـ القيم الأخلاقية ـ في القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وهكذا .....، وتوجد أيضاً في القيم الدينية ، كعلاقة الإنسان مع ربه وأخلاقه في عبادته لله سبحانه وتعالى .

ومن خلال البحث وبعد الرجوع إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وصعوبة حصر كل القيم التي جاء بها القرآن الكريم ، اقترح البحث تصنيف القيم إلى صنفين :

1- قيم إيمانية (دينية) : ويطلق عليها أيضاً (القيم الروحية) وتشمل جميع القيم التي تربط الإنسان مع الله سبحانه وتعالى كالعقائد والعبادات مثال ذلك من القيم العقائدية : الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل والغيب والقضاء والقدر ..... وغيرها من الاعتقادات الأخرى ، وقيم العبادات : كالصلاة والصوم والتسبيحات والاستغفار والحمد وإقامة الشعائر الدينية كالحج ..... وغيرها من العبادات ، فكل هذه القيم الروحية تشمل مجموعة من القيم الأخلاقية ، كالصبر والطاعة والخضوع والخشوع والتواضع والتسليم و..... وغيرها من القيم الأخلاقية.

2- قيم إنسانية : وتشمل جميع القيم التي تربط الإنسان مع نفسه ومع من حوله من أناس أو طبيعة ، يذكر الباحث منها لا للحصر : كالقيم العلمية ، والقيم الأخلاقية ، والقيم الاقتصادية ، والقيم السياسية ، والقيم الجمالية ، ..... وغيرها ، وكل قيمة من هذه القيم تشمل قيماً فرعية ، فمثلاً القيم الاجتماعية تشمل مجموعة من القيم الفرعية ، كالقيم الفردية والأسرية والأخلاقية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..... وغيرها ، والقيم الاقتصادية أيضاً تجمع عدة قيم فرعية كقيمة العمل والتعاون والصبر والتكافل والزكاة والعقود ..... وغيرها ، وكذلك القيم السياسية تشمل مجموعة قيم فرعية كالمساواة والأمن والعدالة والحرية والشورى والوحدة والجهاد والعلاقات الدولية والمعاهدات و ..... وغيرها .

ويُشير البحث إلى مسألة مهمة وهي أنه لا يمكن الفصل بين القيم الروحية والقيم المادية للإنسان ؛ وذلك لأن القيم الإسلامية عامة والقرآنية خاصة جاءت لتُحدث التوازن في حياة الإنسان ، وهذه الحياة لا تتكامل ولا تستقيم إلا بتحقيق الجانبين الروحي والمادي ، وإن أي خلل في أحد الجانبين سوف يُحدث خللاً في الجانب الآخر وهذا بدوره يؤدي إلى آثارٍ سلبية في حياة الإنسان وبالعكس ، وهذا ما سيتناوله البحث في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

أما تصنيف البحث للقيم القرآنية إلى إيمانية وإنسانية فهذا لا يعني أن القيم الإيمانية ليس لها علاقة بالقيم الإنسانية ، فهي أيضاً إنسانية ، فالإنسان هو الذي يؤمن ويعتقد ويعبد ، وإنما جاء التصنيف هكذا وذلك لسهولة دراستها والتمييز بينها وتقديم القيم الإيمانية فهي تُعد أساس القيم ومرجعها ، فمثلاً (التوحيد هو أساس القيم ، فهو الذي يعطيها المعنى والقوة)[1] .

المطلب الثاني : معايير النسق القيمي في القرآن الكريم :

لما كان النسق القيمي يعني ترتيباً مقصوداً للقيم حسب الأولوية والأهمية ، كان لابد من توفر معايير للكشف عن النسق القيمي في القرآن الكريم ، وبعد البحث حول هذا الموضوع لم يجد البحث من تطرق لذلك غير السيد المدرسي[2] ، وفي هذا يرى السيد إن هناك ثلاثة معايير لمعرفة أي القيم تُقدم على قيمة أخرى ، وهي : النص ، العقل ، نظام القيم الهرمي ، وقد اختصر السيد المدرسي في الحديث عن هذه المعايير مع ذكر الأمثلة المبسطة وكالتالي [3] :

المعيار الأول : النص :

يُفهم من النص أن هناك أولوية في القيم فيقدم قيمة على أخرى ، فمثلاً إن الشارع يلغي أي حكم يسبب ضرراً كبيراً وحرجاً للإنسان ، فيقول : (إلا ما اضطررتم) أو كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾ [الحج : 78]، أو كقوله تعالى : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة : 185] ، أو يقول عن النبي ﷺ : (لا ضرر ولا ضرار)، فقيمة حفظ النفس هنا تُقدم على بقية القيم ، ولكن في حال تعرّض بيضة الإسلام للخطر يُضحى بالنفس لأجله ، وبهذا تُقدم قيمة

([1]) فلسفة الصدر دراسات في المدرسة الفكرية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر : محمد عبد اللاوي ، ط2 ، 2001م ـ 1422هـ ، مؤسسة العارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ، 168 .

([2]) السيد محمد تقي المدرسي : (هو السيد محمد بن السيد محمد كاظم بن السيد محمد باقر بن السيد محمد جواد المدرسي ، ولد في مدينة كربلاء المقدسة في العراق عام 1364 هـ ، 1945م ، والده السيد محمد كاظم الذي عُرف وسط الحوزات العلمية في كربلاء وحوزات إيران بالعلم والفقه والمعرفة ، عالم رباني وأستاذ حوزوي وعارف ، وجده السيد محمد باقر كان مرجع زمانه). محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة : هيئة قائم آل محمد ، ط1 ، 2009م ، بغداد ـ العراق ، 1 نقلاً عن مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي : خالد عبد النبي عيدان ، رسالة ماجستير ، 2017م ، جامعة كربلاء ـ كلية العلوم الإسلامية ، 8 .

([3]) ينظر : التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده : السيد محمد تقي المدرسي ، 3 / 365 .

الدين على قيمة النفس ، بقوله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة : 193] ، وهكذا فالنص يحدد كثيراً من الأولويات .

المعيار الثاني : العقل :

لا يستقل العقل بالحكم بعيداً عن الوحي ، ولهذا يرى السيد المدرسي أن للعقل ثلاثة معايير لمعرفة الأولوية :

أ ـ الأهمية الذاتية : العقل يحكم أن حفظ النفس أهم من حفظ أي طرف من أطراف جسم الإنسان المصاب بمرض خطير ، فيضحي بالعضو المصاب من أجل بقائه حياً.

ب ـ الكمية : إذا تساوت قيمتان ، فيكون قياس الكمية بنوعين :

النوع الأول : إذا كان عدد المتضررين بعمل معين أو المنتفعين أكثر ، هنا تُقدم قضيتهم .

النوع الثاني : إذا كانت نسبة الضرر أو نسبة المنفعة أكبر ، فتُقدم على غيرها .

ج ـ المصلحة الأقرب : إن العقل يحكم بأن مصلحة الإنسان تبدأ بالنفس ثم بالآخرين، فهو دائماً يُقدم النفس عند تساويها مع الآخرين .

المعيار الثالث : نظام الهرم :

يرى السيد المدرسي أن هذا المعيار هو الأنفع والأهم من بين المعايير مع أنه يحتاج إلى بصيرة فقهية ؛ ويعلل سبب رؤيته هذه إلى أن المعايير الأخرى ليست دائمة ، ومنافعها قليلة بالنسبة للمتغيرات ، بينما نظام الهرم هو وسيلة لها فاعلية في تحديد الأولويات .

ويلخص هذا المعيار بقوله : (إن علينا أن نجعل دائماً القيمة الأقرب إلى قمة هرم القيم هو المقياس لمعرفة القيمة الأولى)[1] ، ويضرب لذلك مثلين :

([1]) التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده : السيد محمد تقي المدرسي ، 3 / 367 .

أ ـ قيمة الأمن قيمة سامية ، وتتحقق بوسائل عدة ، مثلاً السجن، رقابة الحدود ، التجسس ... وغيرها من الوسائل فإذا كان هناك تعارض بين هذه الوسائل ، فكيف نتوصل إلى معرفة من هو أفضلها ؟ ، فالوسيلة الأقرب لتحقيق قيمة الأمن هي الأفضل .

ب ـ الأمن والمصلحة والحرية ، كلها قيم تحقق كرامة الإنسان وهي قيمة أسمى ، فإذا كان هناك تعارض بين هذه القيم وتعذر التعرّف على أيهما الأقرب وذلك في زمان ووقت محددين ، يكون علينا العودة إلى كرامة الإنسان وهي القيمة الأسمى وعليها تقاس بقية القيم الأخرى فالقيمة الأقرب هي التي نأخذ بها والله العالم .

إن كل هذه المعايير مهمة بالنسبة للبحث ؛ وذلك لأن البحث يدرس النسق القيمي في الآيات القرآنية بصورة شاملة ، وليس مجزءاً على السور ، كما أنه لا يقتصر على نسق القيم الفرعية في القرآن الكريم ، وإنما يشمل القيم الكلية [1] أيضاً ، ومع أن السيد المدرسي يرجح نظام الهرم من بين المعايير ، ويوافقه البحث على هذا الرأي ولكن يبدو في هذا البحث أن المعايير الثلاثة تكمل بعضها البعض ؛ وذلك لأن نظام الهرم وحده يقوم على تقسيم القيم إلى غائية ووسائلية ، وهذا البحث يدرس القيم جميعاً كلية كانت أم فرعية ، غائية كانت أم وسائلية ، وبهذا تدخل جميع هذه المعايير في معرفة الأولوية في القيم ، وهي كما حددها السيد المدرسي : النص ، العقل ، النظام الهرمي .

فالبحث عن النسق القيمي الكلي للقرآن الكريم ، يتطلب الأخذ بجميع هذه المعايير الثلاثة ، فمثلاً عند البحث عن الأولوية في القيم الإنسانية الكلية ، يتطلب ذلك التدبر في النصوص القرآنية ، ومن ثم العقل وبعدها النظام الهرمي إن وجد ، فقيمة المعرفة مثلاً تكون لها الأولوية داخل النسق القيمي الكلي ، ومن خلال النص توصل البحث إلى أنها تتصدر القيم وذلك بالرجوع إلى النص ، فقصة خلق آدم (عليه السلام) في

([1]) يقصد بالقيم الكلية مثل : الإيمانية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، السياسية إلى أخرها ، ويقصد بالقيم الفرعية هي تلك القيم التي تتفرع عن القيم الكلية ، مثال ذلك : القيم الاقتصادية تشمل قيماً فرعية نحو قيمة العمل ، إتقان العمل ، التعاون ...وغيرها من القيم .

سورة البقرة قال تعالى : ﴿ **وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾ [البقرة :31] ، فكتب التفسير وإن اختلفت اختلافاً قليلاً في تفسير معنى الآية بين من قال إن الله سبحانه وتعالى قد علم آدم (عليه السلام) مسميات الأشياء [1] ، ومن قال بأنه أعطى آدم (عليه السلام) المعرفة بكل شيء [2]، إلا إن المعنى المتفق عليه هو العلم أي أنه سبحانه وتعالى عندما خلق آدم (عليه السلام) أعطاه العلم من قبل أن ينزل إلى الأرض ، ومن الآيات الأولى التي نزلت على رسول الله محمد ﷺ ، فأول ما نزل هو قوله تعالى : ﴿ **اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق : 3 - 5] ، وتشير التفاسير إلى أن المعنى من هذه الآيات هو أن القلم إشارة على العلم والتعلم [3] .

ومن ملاحظة قصة خلق آدم وأول ما نزل على رسول الله ﷺ كل هذه دلائل على أن المعرفة العلمية هي من القيم العليا والكلية ولها الأولوية على باقي القيم الإنسانية .

أما البحث عن الأولوية في القيم الفرعية يتطلب ذلك الرجوع إلى النظام الهرمي للقيم في القرآن الكريم ، ومن خلال النص أيضاً وقد تتدرج القيم حسب الأولوية في آية واحدة أو في آيتين أو أكثر ، مثال ذلك قوله تعالى :﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾ [لقمان : 17] .

جاء في تفسيرها : (وبعد الصلاة يتطرق لقمان إلى أهم دستور اجتماعي ، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول : وأمر بالمعروف وانه عن المنكر، وبعد هذه الأوامر العملية المهمة الثلاثة ، ينتقل إلى مسألة الصبر والاستقامة ، والتي هي من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فيقول : واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ، من المُسلّم أنه توجد مشاكل وعقبات كثيرة في سائر الأعمال الاجتماعية ،وخاصة في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن المسلم أيضا أن أصحاب المصالح والمتسلطين ، والمجرمين والأنانيين لا يستسلمون بهذه السهولة ،

([1]) ينظر : زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، 1 / 116 .

([2]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 1 / 159 .

([3]) ينظر : كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد رضا المشهدي ، 14 / 346 .

بل يسعون إلى إيذاء واتهام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ولا يمكن الانتصار على هذه المصاعب والعقبات بدون الصبر والتحمل والاستقامة أبداً)[1] ، ففي هذه الآية نظام قيمي واضح تتدرج فيه القيم حسب الأولوية مُشكلّة النسق القيمي فالصلاة من القيم الإيمانية وقد ذكر البحث سابقاً بأن القيم الإيمانية دائماً تقدم على القيم الإنسانية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن كان من القيم العبادية أيضاً إلا أنه يُعد من فروع القيم الاجتماعية فهو يحقق مصلحة للمجتمع ، فيما لو طبق بشكل صحيح ، والصبر قيمة فرعية من القيم الأخلاقية ، ويلاحظ على هذه القيم الثلاث أنها مرتبطة ببعضها ومتداخلة ولا يمكن لواحدة منها أن تتحقق دون تحقيق الأخرى ، فالصلاة بحاجه إلى صبر من آلياتها الخارجية كونها يومية وبأوقات محددة وتتطلب طهارة وتحصيل الطهارة يتطلب في بعض الأحيان جهداً كتحصيل الماء أو برودة الماء في فصل الشتاء وغيرها من الشروط اللازمة للصلاة ومن جهة آلياتها الداخلية المتمثلة بجهاد النفس والاستحضار التام للقاء الله سبحانه ومحاولة التغلب على الأهواء والانقطاع قدر الإمكان عن العالم الخارجي ونحو ذلك ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج أيضاً إلى صبر ، فليس الجميع يتقبل النصح في هذا الزمن، فكيف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ ، فقد يرافقه رفض وصد شديدان، وهذا لا يعني الاستسلام بل الصبر والمحاولة مرة بعد أخرى حتى يتحقق المطلوب ، كما أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعلق بالصلاة وذلك بقوله تعالى :﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [العنكبوت : 45] ، جاء في تفسيرها : (وكضابطة ثابتة للصلاة من صلى صلاة لم تأمره بالمعروف وتنهه عن المنكر لم تزده صلاته من الله إلا بعداً)[2] .

وبهذا يُلاحظ أن هذه القيم جاءت وفق نسق قيمي سماوي لا يخالف العقل أولاً وقد دل عليه النص ثانياً وجاء متسلسلاً في نظام هرمي ثالثاً .

([1]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 13 / 46 .

([2]) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : الشيخ محمد الصادقي ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الأميرة ، 22 / 134.

المطلب الثالث : خصائص النسق القيمي في القرآن الكريم :

يتميز النسق القيمي ببعض سماته عن القيم الإسلامية ، إلا أنه يشترك معها في كثير من الخصائص وذلك كونه يتكون من مجموعة من القيم بالتالي يحمل كثيراً من سماتها ، ومن الخصائص التي يتميز بها النسق القيمي هي :

1- إلهي رباني :

إن من أهم مميزات النسق القيمي في القرآن الكريم أنه صادر من الله سبحانه وتعالى ، فكل الآيات القرآنية وكذلك السور التي ورد فيها نسقٌ للقيم ، جاءت القيم فيه بترتيب مقصود من الله سبحانه وتعالى ، مما يضفي عليها سمة الإلوهية والربانية ، قال تعالى : ﴿ **تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [الأحقاف : 2] ، جاء في تفسيرها : (وتنزيل القرآن الكامل في كل شيء حاصل من الله عز وجل ، القوي الغالب لكل من حادّه أو عارضة ، المحكم المتقن ، الحكيم في تدبيره وصنعه ، وأقواله وأفعاله ، يضع كل أمر في موضعه المناسب له)[1] .

2- الإلزام :

إن هذا النسق مُلزم ؛ كونه صادراً من جهة عليا ، فكل ما جاء في القرآن الكريم من أوامر ونواهٍ ، إنما هي قيم يجب الإلتزام بها، فصفة الإلزام من الصفات التي تتصف بها القواعد الخلقية (التي تُخاطب الضمير الإنساني ، ويظهر ذلك بوضوح في تلك الآيات القرآنية التي ترجع الإنسان إلى عواطفه ، قال تعالى :﴿ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾)[2] ، فكل ما جاء فيه من نسق قيمي وغيره يكون ملزماً ؛ لأن الله سبحانه وتعالى مُنزهٌ عن اللغو ، فما جاء في القرآن الكريم من نسق قيمي لم يأتِ اعتباطاً ، وإنما جاء لغاية مقصودة ، ولها أثر دنيوي وآخروي في حال التمسك بهذا النسق أو العزوف عنه .

([1]) التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، ط2 ، 2006م ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ لبنان ، 3 / 241 .

([2]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، 2 / 404 .

3- الترتيب المنطقي :

يمتاز النسق القيمي بالترتيب المنطقي للقيم ، لما كان تسلسل القيم داخل النسق ليس اعتباطاً وأنه جاء لغاية مقصودة ، فهذه الغاية لا تخالف المنطق العقلي ، نحو قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ...**﴾ [التحريم : 6] .

جاء في تفسيرها : (لا يكفي الاتصاف بالإيمان ، بل يجب المحافظة عليه من الضرر والأخطار ؛ إذ يجب الحذر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾، والخطوة الأولى في الإصلاح هي إصلاح النفس والمقربين من ثم إصلاح المجتمع ، دعت هذه الآية إلى إصلاح النفس والمقربين ثم ورد في الآية التاسعة إصلاح المجتمع عن طريق مجاهدة الكفار والمنافقين: ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ﴾)[1] .

فالنسق القيمي في هذه الآية جاء بترتيب منطقي إذ قدم القيم الفردية بقوله :(قوا أنفسكم)على القيم الأسرية بقوله :(وأهليكم) فإصلاح النفس من باب أولى أن يُقدم على إصلاح الأهل ؛ فمن لم يصلح نفسه لا يكون أهلاً لأن يصلح أهله ؛ لأنه يكون فاقداً للشيء وفاقد الشيء لا يعطيه ، ثم أن من يسعى لإصلاح غيره دون الفراغ من إصلاح نفسه أولاً ، يكون ممن ينطبق عليه قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف:2 - 3] ، وقوله تعالى : ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ...** ﴾ [النور : 30] ، جاء في تفسيرها : (علينا أن نمنع الذنب من مصدره ، وأن نبدأ التقوى من النظر، (مِنْ أَبْصَارِهِمْ)، والعين الطاهرة هي مقدمة العفة ، ﴿ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾)[2] .

ففي هذه الآية نسق قيمي أخلاقي جاء بترتيب منطقي ، فقد قدم غض البصر على حفظ الفرج ؛ وذلك لأن هناك علاقة بينهما ، فالعين تبصر الشهوات بالتالي يقع الإنسان في الحرام ؛ وذلك من خلال النظر إلى ما حرم الله فيقع بالزنا والعياذ بالله ،

([1]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 10 / 113 - 114 .

([2]) المصدر نفسه ، 6 / 154 .

فغض البصر يؤدي إلى حفظ الفرج واجتناب المحرمات ، وبعبارة أخرى أن عدم غض البصر يكون فيه الشرارة الأولى والخطوات الأخطر في ارتكاب جريمة الزنا والعياذ بالله ؛ لأن من حام حول الحرام أوشك أن يقع فيه .

4ـ التداخل والترابط الوثيق بين القيم :

تمتاز القيم داخل النسق القيمي بالتسلسل المترابط بحيث لا يمكن الفصل بينها، ولا يمكن دراسة أي قيمة من قيم النسق بمعزل عن القيم الأخرى ، إذ أن ذلك يُحدث خللاً داخل النسق القيمي ، فكما ذكر البحث سابقاً أن القيم الإيمانية لا يمكن فصلها عن القيم الإنسانية [1] ، فالأخيرة مثل القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من القيم الإنسانية لا يمكن لها أن تثبت وتدوم ما لم يسبقها إيمانٌ قويٌ وصادقٌ (فالإيمان بالله يُعد المرتكز الأول في النظام القيمي الإسلامي وهو القيمة الأعلى والأسمى التي تنبثق منها القيم الأخرى ، والإيمان بالله يستدعي بكل ما أمر الله أن نؤمن به ، فالإيمان بالملائكة والرسل والكتب السماوية واليوم الآخر والقدر خيره وشره كلها متكاملة إذا اختل الإيمان بأحدهما اختل الإيمان بكامله بوصفه كلاً متكاملاً كما يختل البناء القيمي الإسلامي ، وهي تمثل الأحكام العملية التي تنظم شؤون الجميع الأساسية كالصلاة ، والجهاد والبيوع والحسابات)[2] .

فمن جهة الإيمان بالله واليوم الآخر تجد الإنسان يلتزم بالقيم الأخلاقية وتنعكس على سلوكه في باقي القيم ، ففي القيم الاجتماعية تجده يلتزم بالعدل والصدق والأمانة والتسامح والكرم ومساعدة الآخرين واحترام الكبير والعطف على الصغير وصلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها ، وفي القيم الاقتصادية تجده أيضاً يحافظ على الصدق وأداء الأمانة ويحرص على العمل والتعاون وإتقان العمل والعدل في الكيل والميزان وإيتاء الزكاة وغيرها ، وفي القيم السياسية تجده يحافظ على العهود والمواثيق والأمن والشورى والمساواة وغيرها .

([1]) ينظر : ص 53 من البحث .

([2]) نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة : علاء صاحب عباس ، ط1 ، 2010م - 1431هـ ، دار غيداء - الأردن ، 279 .

فلا يمكن الفصل بين هذه القيم ولا حتى دراسة أي منها بمعزل عن الأخرى ، فكل قيمة مكملة لما بعدها ومرتبطة بما قبلها ، ومن جهة العبادة كالصلاة والحج مثلاً تجده بأداء الصلاة يتعلم ويمارس الكثير من القيم كالصبر والاستقامة والانضباط ، وكل هذه القيم لا يمكن التخلي عنها في ممارسة الفروض والسنن ، فمثلاً قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ [الشورى : 38] ، جاء في تفسيرها : (... فهم يلتقون في خط واحد هو خط الإمام المطاع بإذن الله ، ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ بطقوسها وقيمها .. ثم يؤكد ربنا مباشرة على صفة التشاور كأبرز صفة للمؤمنين ، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ : وإنما تقدم ذكر الاستجابة لله ، وإقامة الصلاة بشروطها ، لأنهما ضرورتان لكي تكون الشورى ذات فاعلية إيجابية في المجتمع)[1] .

فالقيم التي وردت في هذه الآية وردت ضمن نسق متسلسل ومترابط ومتداخل لا يمكن الفصل بين قيمّه ، فمثلاً جاءت القيم بالترتيب التالي :

1- قيمة الإيمان : وقد تمثلت بالاستجابة لأوامر الله تعالى وبالصلاة .

2- قيمة الشورى .

3- قيمة الإنفاق .

فبالإيمان بالله واستجابة الإنسان لأوامره ونواهيه يكون مهيئاً لكل أعمال الخير، وبالصلاة التي تعلمه على الانضباط والاستقامة والصبر ، يكون مهيئاً لممارسة دوره في المجتمع ، وقيمة الشورى لا تقتصر فقط على الجانب السياسي، وإنما تدخل في الجانب الاجتماعي والاقتصادي أيضاً ، فالشورى تُمارس في حياة الإنسان حتى في الجانب الأسري ، كأن ينوي رب الأسرة الانتقال إلى بيت جديد أو منطقة أخرى غير التي يعيش فيها ، تراه يشاور أهله قبل أن يُقدم على الانتقال ، وكذلك في مسألة تزويج البنت تجده يشاور البنت وأمها قبل اتخاذ القرار عنها ، وتُمارس الشورى أيضاً في الجانب الاقتصادي ، كأن يشاور رب العمل شركاءه في العمل قبل الإقدام

([1]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي، 8/ 400 .

على أية خطوة تخص العمل ، كبيع بعض أسهم الشركة أو توسيع نطاق العمل أو زيادة الإنتاج وغيرها من الأمور ، وقيمة الإنفاق من القيم التي تشترك فيها القيم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فبالإنفاق يُبنى المجتمع ويوصل الرحم ، فصلة الرحم لا تقتصر على البر والزيارة ، وإنما بالإنفاق على الأهل أيضاً ، وبالإنفاق تقل الفوارق الطبقية ، وكذلك يدخل الإنفاق في الجانب السياسي كالإنفاق في سبيل الله ، والإنفاق في سبيل الحفاظ على أمن الدولة وسلامتها ، بل قد يصل الترابط الشديد بين قيم قد يتراءى للمطلع أنه لا يمكن أن تجتمع إلا بالعنوان العام فحسب كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآَتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [البقرة :277] ، ففي هذه الآية قيم إيمانية وقيم إنسانية مترابطة ومتداخلة فيما بينها ارتباطاً شديداً ، لا يبدو إلا للمتدبر في النص القرآني .

5- لا يخضع للحدود الزمكانية :

يمتاز أيضاً بكونه لا يتحدد بزمان معين أو مكان معين ، فقد جاء النسق القيمي يلائم جميع الناس في كل العصور ولا يقتصر على أسباب النزول ، فالنسق القيمي في آية أو سورة معينة من القرآن الكريم لا ينحصر في من نزلت بحقهم في هذه الحالة (بل تنطبق على جميع الحالات التي تشترك في صفاتها مع حالة نزول الآية ، وهذا ما يسمى في عرف الروايات (بالجري والانطباق)، ومفهوم هذا الكلام هو أن أحكام القرآن لا تختص بزمان معين أو أشخاص معينين بل تنطبق على جميع الأزمنة وعلى جميع الحالات المشابهة ، بحيث يمكن اعتبار السبب خاص مجرد ذريعة لنزول الحكم الإلهي ، وهو حكم عام وشامل)[1] ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ...** ﴾ [النساء : 58] ، جاء في تفسيرها : (ثم أمر سبحانه بأداء الأمانة فقال : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها : قيل في المعنى بهذه الآية أقوال أحدها : إنها في كل من اؤتمن أمانة من الأمانات ، وأمانات الله : أوامره ونواهيه . وأمانات عباده : فيما

([1]) دروس في علوم القرآن : حسين جواد آراسته ، ط1 ، 1425هـ ، مطبعة باقري - إيران ، 86 .

يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره ، إنه خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة ، حين قبض منه المفتاح ، يوم فتح مكة ، وأراد أن يدفعه إلى العباس ، لتكون له الحجابة والسقاية ، عن ابن جريج . والمعول على ما تقدم ، وإن صح القول الأخير ، والرواية فيه ، فقد دل الدليل على أن الأمر إذا ورد على سبب لا يجب قصره عليه بل يكون على عمومه)[1] .

فهذه القيم الإنسانية من أمانة وعدل ، هي من أسس بناء المجتمع لذا فالأمر بهذه القيم يشمل عامة الناس ولا يقتصر على من نزلت بحقهم ، كما أنه ليس هناك (من مانع عقلي ولا شرعي أن تكون الآيات عبرة عامة بكل مسلم ، وذلك من خلال التمثل بالواقعة والمقارنات ، فليس القرآن الكريم كتاب العرب أو الصحابة وحدهم)[2]،ولذا فقد ورد عن زرارة قال : (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الحلال والحرام فقال : حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام أبدا إلى يوم القيامة)[3] . **6- مراعاة الجانب الفطري :**

يراعي النسق القيمي في القرآن الكريم الجانب الفطري في الإنسان ، فكل القيم المتسلسلة داخل النسق ، جاءت بما يلائم فطرة الإنسان ، فالإنسان مجبول بالفطرة على حب الخير وبغض الشر ، ومجبول بالفطرة لتكوين العلاقات الاجتماعية ، وقد جاءت القيم في هذا النسق تؤكد وتهتم بهذا الجانب كما في قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴾ [النور : 27 - 28] ، جاء في تفسيرها : (التسليم إشعاراً بحسن النية وسلامة القصد ، وليس هذا النظام شاذاً عن الفطرة البشرية ، بل متوافقاً معها ، وهكذا سائر الأحكام والآداب في الإسلام تتوافق مع فطرة البشر وعقله ، وهذا ما تشير إليه الآية التي تحث

([1]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 3 / 112 - 113 .

([2]) رؤية معاصرة في علوم القرآن الكريم : احمد يأسوف ، ط1 ، 2016م - 1437هـ ، دار المكتبي - دمشق - سوريا ، 262 .

([3]) الكافي : الشيخ الكليني ، 1 / 58 ، الحديث رقم 19 .

الإنسان على التذكرة فكثير من الحقائق ، معروفة لدى الناس، ولكنهم نسوها فاحتاجوا إلى التفكير ليتذكروها ، إن لم يكن في البيت من يملك صلاحية الإذن بالدخول ، أو وجد من يملكها ، ولكنه لم يعطِ إذناً بذلك فليرجع ، ففي ذلك زكاة للمجتمع، أي نمو للأخلاقيات والعلاقات الطيبة فيه، ولقد شددت النصوص الإسلامية على الاستئذان وآدابه ودخول البيوت)[1] ، لقد أكدت هذه الآيات على حرمة البيوت وعدم دخولها دون استئذان ، فتسلسل القيم في هذه الآيات من قيمة الإيمان أولاً وحرمة البيوت ثانياً وقيمة الاستئذان ثالثاً كلها جاءت موافقة للفطرة البشرية .

7 ـ مراعاة الفروق الفردية :

يتميز النسق القيمي القرآني بكونه يراعي الفروق الفردية بين الناس ، فالناس يختلفون في القابليات والطاقات وليس جميعهم بمستوى واحد من القابلية والتحمل ، فالقيم مبادئ ومسؤولية ، وتحمل المسؤولية والثبات على المبادئ يتفاوت بين الناس بحسب قابلياتهم ، كما في قوله تعالى :﴿ **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾ [النحل : 106] ، جاء في تفسيرها : (... وإذا كان الإيمان موقفاً قلبياً فما هو دور القول ؟ أوليس مواقف البشر تتحدد بأقوالهم ؟ ، بلى .. ولكن قد يتلفظ الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه ، كما المنافق الذي يدعي بلسانه أنه مؤمن والواقع أنه كاذب ، وكذلك الذي أكره على الكفر بلسانه ، بينما قلبه مطمئناً بالإيمان ثابتاً عليه ، هكذا كان (عمار بن ياسر) الذي تعرض لتعذيب وحشي من قبل كفار قريش فأعطاهم بلسانه ما أسرهم ، حيث مدح ألهتهم ونال من رسول الله ﷺ لإنقاذ نفسه ، فنزلت فيه الآية الكريمة تقرر تقاته منهم ، وأمره الرسول ﷺ أن يعود لمثل ذلك إذا عادوا عليه ..)[2] .

ففي الآية الكريمة نسق قيمي يتمثل بالعقيدة والأخلاق ، أما العقيدة فتمثل قيمة التوحيد وأما الأخلاق فتمثل قيمة الصدق ، في هذه الآية قصة الإنسان المؤمن الذي تظاهر بالكفر ، فقد كذب من أجل الحفاظ على حياته ، ولكنه في أعماقه مؤمناً مطمئناً لا

([1]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 6 / 37 .

([2]) المصدر نفسه ، 4 / 375 - 376 .

يشك بعقيدته ، فتحرك النسق القيمي عند هذا الإنسان من قيمة الصدق إلى الكذب لغاية لا تخالف عقيدته ، وقد أجاز ذلك سبحانه وتعالى باستثناء هذه الحالة ، فالقيم داخل النسق يمكن لها أن تتحرك مراعاةً للفروق الفردية بين الناس ، دون أن تتأثر أو تنعكس سلباً ، كما أن النسق القيمي القرآني يراعي الفروق الفردية ليس فقط من جهة القابلية وإنما يراعي طاقاتهم أيضاً ، كما في قوله تعالى :﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ...**﴾ [البقرة : 286] ، جاء في تفسيرها : (لا يكلف الله نفساً قال : فيما افترض الله عليها . إلا وسعها : إلا ما دون طاقتها فضلاً ورحمة : ما أمر العباد إلا بدون سعتهم ، وكل شيء أمر الناس بأخذه فهم متسعون له ، وما لا يتسعون له فهو موضوع عنهم)[1] .

ولما كانت القيم القرآنية تتضمن الأوامر والنواهي ففيها من التكاليف ما ليس بوسع الكل أن يأتي بها ، كصيام المريض والمسافر ، وحج البيت لمن لا يستطيع ، والعمل للعاجز ، والجهاد في سبيل الله لمن لا يقدر عليه وغيرها من التكاليف التي تحمل العديد من القيم ، فوضع الشارع رخصاً لمثل هذه الحالات ، وفي هذه الرخص يوجد العديد من القيم البديلة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء : 95] .

جاء في تفسيرها : (أولئك الذين يعانون من مشاكل في الجسم مستثنون من الجهاد ، ويطرح القرآن الكريم الجهاد بالمال إلى جانب الجهاد بالنفس ؛ لأن غياب الدعم المالي يضعف الجبهات)[2] ، فقيمة الجهاد قيمة عظيمة لما لها من أجر كتبه الله

([1]) التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، ط1 ، 1376ش ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي - إيران ، 1 / 135 .

([2]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائي ، 2 / 129 .

سبحانه وتعالى للمجاهدين ، ولكن في مثل هذه الحالات يمكن أن تُستبدل بقيمة الإنفاق في سبيل الله ، قال ﷺ : (من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا)[1] .

8- الشمول :

يمتاز النسق القيمي بخاصية الشمول ، فالنسق القيمي يشمل جميع جوانب الحياة بكل مجالاتها ، كالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية والنفسية والدينية وغيرها من الجوانب سواء كانت اجتماعية أم فردية .

إن سمة الشمول جعلت النسق القيمي واسعاً ذا امتداد أفقي ، فهو يشمل كل من (التصور الاعتقادي ، والمنهج التشريعي ، والسلوك الاجتماعي)[2] ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا** ﴾ [الفرقان : 68] .

جاء في تفسيرها : (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر أي : لا يجعلون لله سبحانه شريكاً بل يوجهون عبادتهم إليه وحده ،ولا يقتلون النفس التي حرم الله أي : حرم الله قتلها إلا بالحق ، والنفس المحرم قتلها نفس المسلم والمعاهد ، والمستثناة قتلها نفس الحربي ، ومن يجب قتلها على وجه القود والارتداد ، أو للزنا بعد الإحصان ، وللسعي في الأرض بالفساد ، ولا يزنون والزنا هو الفجور بالمرأة في الفرج ، وفي هذا دلالة على أن أعظم الذنوب بعد الشرك القتل والزنا ، ومن يفعل ذلك قال مقاتل : هذه الخصال جميعا ، يلق أثاماً أي : عقوبة وجزاء لما فعل)[3] .

فالنسق القيمي في هذه الآية شمل التصور الاعتقادي وهو توحيد الله ، والتشريعي في تحريم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، والأخلاقي في الابتعاد عن الزنا ، قال تعالى :﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَى**

([1]) مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار صادر - بيروت – لبنان ، 4 / 115. وفي ظلال نهج البلاغة : الشيخ محمد جواد مغنية ، ط1 ، 1427هـ ، منشورات كلمة الحق - إيران ، 4 / 436.

([2]) القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف : قاسم محمد محمود خزعلي ، 73.

([3]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 7 / 311 - 312 .

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون : 1- 8] .

جاء في تفسيرها : (قد أفلح المؤمنون أي : فاز بثواب الله الذين صدقوا بالله ،وبوحدانيته ، وبرسله ، الذين هم في صلاتهم خاشعون أي : خاضعون ، متواضعون ، متذللون ، لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ، ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، والذين هم عن اللغو معرضون : اللغو في الحقيقة هو كل قول أو فعل لا فائدة فيه يعتد بها ، فذلك قبيح محظور ، يجب الإعراض عنه ، والذين هم للزكاة فاعلون أي : مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل، والذين هم لفروجهم حافظون : إن الغرض بالآية بيان جنس من يحل وطؤها دون الأحوال التي لا يحل فيها الوطء ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون أي : حافظون وافون والأمانات ضربان : أمانات الله تعالى ، وأمانات العباد، فالأمانات التي بين الله تعالى وبين عباده هي العبادات كالصيام ،والصلاة ، والاغتسال . وأمانات العباد هي مثل الودائع ، والبياعات ، والشهادات ، وغيرها، وأما العهد فعلى ثلاثة أضرب : أوامر الله تعالى ، ونذور الإنسان ، والعقود الجارية بين الناس ، فيجب على الإنسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات والعهود ، والقيام بما يتولاه منها)[1] .

فهذه الآيات المباركة جاءت بنسق قيمي شمل جوانب عدة من حياة الإنسان منها الاعتقادية والعبادية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، ففي الآية الأولى والثانية قيم اعتقادية وعبادية ، وفي الآية الثالثة والرابعة قيم اجتماعية واقتصادية ، وفي الخامسة قيم أخلاقية ، وفي السادسة قيم أسرية ، والثامنة قيم اجتماعية اقتصادية سياسية ، فالعهد والأمانة لا يشمل الجانب الاجتماعي فقط بل يشمل الجانب الاقتصادي والسياسي أيضاً .

([1]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 7 / 176 - 178 .

المطلب الرابع: فوائد النسق القيمي في القرآن الكريم :

هناك فوائد عدة للنسق القيمي يذكر الباحث منها :

1- الضبط والتوجيه :

يفيد ترتيب القيم داخل النسق بضبط السلوك الإنساني وإعادة توجيهه ، فهي عملية أشبه بالبرمجة ، فبدون وجود نسق قيمي لا يمكن للإنسان أن يحافظ على قيمه في ظل التطور السريع الذي يمر به ، فهناك دائماً قيماً دخيلة تؤثر سلباً في سلوك الإنسان وتصرفاته ، فيحدث خللاً في نسقه القيمي فيما لو لم يكن ملتزماً به ، فالنسق القيمي في القرآن الكريم لا يسمح بدخول أي قيمة دخيلة أجنبية عن النسق ، وإن سمح لها الفرد بالدخول فتمسكه بالنسق القيمي القرآني يحفظ قيمه من التعارض ، ولا تؤثر هذه القيم الدخيلة في حياته ولا في نسقه القيمي ، فمن أهداف النسق القيمي هو (أن يتشرب الفرد المعايير والتوجيه القيمي السائد في النسق كي لا يحدث فيه أي خلل من نوع معين)[1] ، بالتالي أما أن يوظف القيمة الدخيلة في مصلحته بحيث لا تتعارض مع نسقه القيمي أو أن يرفضها إذا لم تكن لها فائدة ، (فالقيم الأصيلة التي يتمسك بها الفرد والناتجة عن قناعة راسخة تُحدث تغيراً ملموساً وشاملاً في سلوكه وهي تمثل إطاراً مرجعياً في تنظيم سلوك الفرد وتوجيهه بالاتجاه الصحيح)[2] ، فمثلاً قيمة الصداقة قيمة أصيلة ولكن الصداقة الواقعية لا الإفتراضية ، فبعد أن دخلت مواقع التواصل الحديثة ، أصبحت هناك صداقة افتراضية ، فمن كان متمسكاً وملتزماً بنسقه القيمي القرآني كان له أن يرفضها أو أن يعمل على تطويرها فتنزل منزلة الصداقة الواقعية [3] .

([1]) علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية : احمد زايد ، 128 .

([2]) نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة : علاء صاحب ، 88 .

([3]) ينظر : alrai. Com/ article/ ، هل منحنا فيس بوك أصدقاء حقيقيين ، تم الإطلاع عليه بتاريخ 2021/1/22.

2- خلق التوازن :

يساعد النسق القيمي في القرآن الكريم على خلق التوازن في حياة الإنسان ؛ وذلك من خلال معالجته للجانب الروحي والمادي معاً ، فهو لا يعالج جانباً واحداً فقط وإنما يعالج الجانبين ، وبهذا يُحدث التوازن ، وهذا التوازن يساعد الإنسان على الاستقرار نفسياً ويمنعه من الاضطراب ، قال تعالى :﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [البقرة : 177] .

جاء في تفسيرها : (... فإن في الصلاة تهذيب الروح وفي الزكاة توثيق الصلات والروابط ، والإنسان الكامل هو الجامع بينهما ، ولو عمل المسلمون بهاتين الخصلتين لنالوا ذرى المجد وفاقوا الجميع ، ... الآية الشريفة جامعة للاعتقادات والأعمال الجوارحية ، ولا معنى لكمال الإيمان إلا جامعية المؤمن للمعتقدات الصحيحة والأعمال الصالحة)[1] .

فهذه الآية فيها نسق قيمي يجمع بين الجانب الروحي ويُعبّر عنه بالاعتقاد والعبادة ، والجانب المادي الذي يُعبّر عنه في هذه الآية بالإنفاق ، فتحصيل البر لا يكتمل بالاعتقاد والعبادة فقط وإنما يكتمل بالإنفاق ، بمعنى آخر أنه لا يكتمل بالجانب الروحي فقط وإنما بالمادي أيضاً ، فلا يكفي أن يعتقد الإنسان فقط وإنما أن يعمل بما يعتقده ، ومن الجدير بالذكر أن غالبية الآيات التي تشتمل على النسق القيمي تجمع بين الجانبين الروحي والمادي ، فهناك الكثير من الآيات التي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح ، وهذا ما يعنيه التوازن ، فلا يُقبل العمل بدون إيمان ولا يُقبل الإيمان بدون العمل ؛ لأن الإيمان يضبط العمل الصالح ويدعمه ، والعمل الصالح يُعبِر عن الإيمان لأنه عملٌ بالقلب .

([1]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، 2 / 383 ، 394 .

3ـ حفظ النظام :

يفيد النسق القيمي في حفظ النظام ، فالقيم داخل النسق القيمي قد رُتبت من قبل المولى عزوجل حسب الأولوية والأهمية بحيث يمكن لهذا الترتيب أن يساعد في حفظ النظام، وإن أي خلل في هذا الترتيب من شأنه أن يخلق الفوضى ، فمثلاً القيم الفردية والقيم الاجتماعية ، فعلى الرغم من أن النسق القيمي في القرآن الكريم يهتم بالقيمتين ، ولكنه يحلُّ التعارض فلا يمكن أن يكون هناك تعارض داخل النسق القيمي في القرآن الكريم ، فإذا توهم لدى البعض ذلك التعارض ، فعليهم الرجوع إلى النسق القيمي في القرآن الكريم ، فيكون تقديم القيم الاجتماعية على القيم الفردية ؛ وذلك حفظاً للصالح العام من جهة الأهمية ،فإذا حدث ذلك الخلل عمت الفوضى والفساد (وسبب هرج ومرج واختلال النظام وهو قبيح عقلاً وحرام شرعاً)[1] ، كقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة :282] . جاء في تفسيرها : (... إن الدقة في تنظيم العقود والمستندات تضمن من جهة تحقيق العدالة ، كما أنها تطمئن الشهود من جهة أخرى عند أداء الشهادة ، وتحول من جهة ثالثة دون ظهور سوء الظن بين أفراد المجتمع ... وفي الختام ، وبعد كل تلك الأحكام ، تدعو الآية الناس إلى التقوى وامتثال أمر الله : واتقوا الله ثم تقول إن الله يعلمكم كل ما تحتاجونه في حياتكم المادية والمعنوية :

([1]) فقه المصالح والمفاسد : الشيخ فاضل الصفار ، ط1 ، 2008م ، 1429هـ ، دار العلوم ـ لبنان ، 418.

ويعلمكم الله وهو يعلم كل مصالح الناس ومفاسدهم ويقرر ما هو الصالح لهم : والله بكل شيء عليم)[1] .

ففي هذه الآية نسق قيمي شرعي يبين ويوضح ما شرعه الله سبحانه وتعالى في حالة التداين من كتابة عقد الدين وقيمة العدل ، إذ أمر سبحانه وتعالى أن يكون الكاتب بالعدل وقيمة تقوى الله وقيمة الشهادة ، كل هذه القيم التي وردت في هذه الآية إن دلت على شيء إنما تدل على حفظ النظام في المجتمع ، فكتابة العقود من دين وغيره وقيمة الشهود وقيمة العدل وقيمة التقوى كل هذه القيم إذا ما طُبقت تحقق النظام في المجتمع وتجنب الفساد والفوضى ، فالمُقترِض قد ينسى أو يُنكر وهذا من شأنه أن يُحدث البغضاء والفوضى وعدم الثقة بين الناس ، والذي يؤدي بدوره إلى الفوضى والفساد بالمجتمع ، فالنسق القيمي عالج هذه الأمور في كثير من الآيات القرآنية المباركة ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [المائدة : 45] .

جاء في تفسيرها : (...تقترن القضايا الجزائية في الإسلام دائماً بالقضايا الأخلاقية ، والغرامة المالية والحبس وحدهما لا يمكن أن يشكلا عاملاً رادعاً للمجرم عن معاودة الجريمة ، وإذا لم تُطبق أحكام الله تعالى ، فسرعان ما يشيع الظلم في المجتمع)[2].

ففي هذه الآية نسق قيمي تربوي تنظيمي ، إذ أن قيمة الصدقة لا تقتصر فقط على إنفاق المال بل تشمل أيضاً قيمة العفو والصفح ﴿ **فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ ، وفيها أيضاً الاقتصاص بالمثل حفظاً للنظام ، فالاقتصاص أكثر ردعاً للجريمة من عقوبة الحبس والغرامة المالية .

([1]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 2 / 355 - 356 .

([2]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 2 / 285 .

المبحث الثاني :أساليب القرآن الكريم في عرض القيم وتعزيزها .

للقرآن الكريم أساليب عدة في عرض القيم القرآنية وتعزيزها ، يذكر البحث منها لا للحصر : أسلوب القصة والأمثال والأسوة الحسنة والترغيب والترهيب وفق المطالب الآتية :

المطلب الأول : أسلوب القصة :

القصة لغةً :

جاءت لفظة القصة من الأصل (قص (وله معانٍ عدة منها بينها صاحب لسان العرب بقوله : (قص أثره ، أي تتبعه ، وكذلك اقتص أثره ، وتقصص أثره . والقصة : الأمر والحديث . وقد اقتصصت الحديث : رويته على وجهه . وقد قص عليه الخبر قصصاً)[1]، فالقصة عنده قد تأتي بمعنى تتبع الأثر أو بمعنى الحديث وروايته ووافقه في هذا القول صاحب معجم مقاييس اللغة [2] .

القصة اصطلاحاً :

عرفت القصة بأنها : (الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها)[3] ، والقصة هي : (فن حكاية الحوادث والأعمال بأسلوب لغوي ينتهي إلى غرض مقصود)[4]. هذا بالنسبة إلى تعريف القصة بشكل عام أما تعريف القصة القرآنية وهي محل البحث فلها معانٍ عدة منها :

فقد عرفت القصة القرآنية بأنها : (وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية . والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء ؛ والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها)[5] .

([1]) لسان العرب : ابن منظور ، 3 / 1051 .

([2]) ينظر : معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، 5 / 11 .

([3]) التحرير والتنوير : ابن عاشور ، بلا.ط ، 1984م ، الدار التونسية ـ تونس ، 1 / 64 .

([4]) صحيح القصص النبوي : عمر سليمان عبد الله الأشقر ، ط7 ، 2007م ، دار النفائس ـ عمان ـ الأردن ، 12.

([5]) التصوير الفني في القرآن الكريم : سيد قطب ، 143 .

كذلك هي : (أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة ، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي)[1].

ويرجح البحث التعريف الأول ؛ لأن القصة القرآنية هي ليست فقط أخبار عن الماضي والنبوات السابقة ، بقدر ما هي أسلوب لتعزيز وترسيخ القيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة ، وغرض مهم في تبليغ الدعوة وتثبيتها .

وأسلوب القصص القرآني من الأساليب المهمة[2] التي سلكها القرآن الكريم لتحقيق أهدافه وأغراضه التربوية ، فالقصة القرآنية تمتاز بعدة مزايا منها الشمول [3] والواقعية [4] كما تمتاز بصفة التربية الأخلاقية [5] .

وتمتاز أيضاً بالإثارة ، فالقصة العادية والتي هي من مخيّلة المخلوق كان لها تأثيرٌ قوياً في نفس المتلقي من عبر ومواعظ وما شاكل ذلك ، فعلى سبيل المثال قصص ما قبل النوم للأطفال ، فالطفل من شدة تأثره بها يتخيّل أنه بطل هذه القصة ويستلهم منها العبر والمواعظ والقيم التربوية وغير ذلك مما تحمله القصة من أهداف وأغراض ، فكيف بقصص الخالق ((جل وعلا)) ، فلا مجال للمقارنة ، فجميع القصص الأدبية أو تلك القصص التي يكتبها الشعراء في شعرهم لا تخلو من الخيال فهي غير واقعية، وإن كانت تمثل الواقع الذي يعيشه الكاتب فلا تخلو أيضاً من المبالغة أو بعض الخرافات لإضفاء جو يشد القارئ إلى القصة، كما إنها لا تعالج جميع جوانب الحياة الإنسانية فهي تركز على جانب معين كأن يكون اجتماعياً أو سياسياً أو تاريخياً، كما يُلاحظ ذلك في قصص الأفلام والمسلسلات فهي أما أن تكون سياسية أو تاريخية أو درامية اجتماعية، والعبر والمواعظ التي تُؤخذ منها كما يكون لها أثر إيجابي يكون

([1]) مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، ط3 ، 2000م ، مكتبة المعارف ـ مصر ، 316 .

([2]) ينظر : علوم القرآن : السيد محمد باقر الحكيم ، ط3 ، 1417هـ ، مجمع الفكر الإسلامي ـ قم ـ إيران ، 353.

([3]) ينظر : الأغراض التربوية والسلوكية في القصة القرآنية : حيدر تقي فضيل وسارة عبد الله هدايت ، مجلة لاراك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإنسانية ، العدد 34 ، 2019م ، 412 .

([4]) ينظر : القصص القرآني : السيد محمد باقر الحكيم ، ط3 ، 2008م ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ـ النجف الأشرف ـ العراق ، 25 .

([5]) ينظر : المصدر نفسه ، 29 .

لها أيضاً أثر سلبي في نفوس المتلقين، ولا يوجد مثل ذلك في القصص القرآني، فأثاره تكون دائماً إيجابية، فالقصة القرآنية حقيقية واقعية شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية وقد وصفها سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ [يوسف : 3] .

فالقصص القرآني زاخر بالقيم الإسلامية النبيلة إذ تحمل آياته على معانٍ لكثير من القيم والفضائل يذكر الباحث منها لا للحصر :

1- قوله تعالى :﴿ **وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة : 31] ، في هذه الآية تتجلى قيمة العلم والمعرفة .

2- قوله تعالى : ﴿ **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**﴾ [الكهف : 66] ، جاء في تفسيرها : (... ولا ينافي نبوّته وكونه صاحب شريعة أن يتعلَّم من غيره ما لم يكن شرطا في أبواب الدّين، فإنّ الرّسول ينبغي أن يكون أعلم ممّن أرسل إليه فيما بعث به من أصول الدّين وفروعه لا مطلقاً ، وقد راعى في ذلك غاية التّواضع والأدب، فاستجهل نفسه ، واستأذن أن يكون تابعا له وسأل منه [أن يرشده] وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه)[1] .

في هذه الآية قيمتان قيمة العلم وقيمة التواضع ، فطلب العلم لا يقتصر على عامة الناس فقط وإنما على من هم أعلى مرتبة ، فنجد هنا نبي الله موسى (عليه السلام) وهو في مرتبة النبوة يطلب العلم ممن هو أقل مرتبة (العبد الصالح)، وهذا دليل على أهمية هذه القيمة، وفي هذا أيضاً نلمس قيمة التواضع ؛ وذلك بفارق الرتبة أو المرتبة بينهما ، فنجد النبي موسى (عليه السلام) تواضع بطلبه العلم ممن هو أقل منه رتبةً .

3- قوله تعالى :﴿ **قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف:69] ، فالعالم هو أدرى بعلمه لذلك لا يهتم لاعتراضات المتعلم؛ لأنه في

([1]) كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد رضا المشهدي ، 8 / 106 .

نهاية الأمر سوف يوضح له ما كان هو معترض عليه ، كما إن موسى (عليه السلام) كان على مستوى رفيع من التواضع والاحترام حيث قال له: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [1] ، وفي هذه الآية أيضاً نجد قيمة العلم بالإضافة إلى قيمة الصبر ، فالعلم والصبر قيمتان متلازمتان ؛ لأن تحصيل العلم يحتاج إلى صبر كما هو واضح في هذه الآية ، بالإضافة إلى قيمة الطاعة واحترام المعلم .

المطلب الثاني : أسلوب الأمثال :

المثل لغةً :

للمثل في اللغة معانٍ عدة منها ما جاء في كتاب الصحاح : (مثل : كلمة تسوية . يقال : هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى . والعرب تقول : هو مثيل هذا ، والمثل : ما يضرب به من الأمثال . ومثل الشيء أيضاً : صفته)[2] .

المثل اصطلاحاً :

المثل في القرآن هو : (إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا)[3] .

وعرف كذلك بأنه : (هو الكلام الذي يُقصد به تصوير حالة ، أو واقعة ، أو شخص ، لاتعاظ القارئين والسامعين بالصورة التي صورها لهم ، أو لإيناسهم بها سواء أطال الكلام أم قصر ، وأشاع وفشا أم بقى في لوحته اللامعة مكتوباً محفوظاً ، حيث يبرز المعنى بصورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس ، سواء كانت تشبيهاً أو قولاً مرسلاً)[4] .

لا يختلف المثل القرآني عن القصة القرآنية من جهة الأهمية والخصائص التي يتميز بها ، وكذلك تنوع الأغراض التي يهدف إليها ، كما إن المثل القرآني يدخل في

([1]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 9 / 319 .

([2]) الصحاح : الجوهري ، 5 / 1816 .

([3]) مباحث في علوم القرآن : مناع القطان ، 292 .

([4]) الأمثال القرآنية دراسة لغوية : عيد جمال الدين ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت ـ كلية الآداب والعلوم ، 2004م - 2005م ، 16.

القصص القرآني ؛ فهناك أمثال ضمن القصة القرآنية تسعى إلى الهدف الذي تقصده القصة القرآنية نفسه .

والمثل القرآني من الأساليب الأخرى التي استخدمها القرآن الكريم للوصول إلى أهدافه وأغراضه ومنها الأهداف التربوية وتعزيز القيم الأخلاقية والإيمانية ، وذلك من خلال ضرب الأمثال القرآنية ، فهي تؤثر في النفس شأنها شأن القصة ؛ فهي تحمل مواعظ وعبر وحث وزجر وغيرها مما يؤثر في نفس الإنسان [1]، فالمثل القرآني يحمل الكثير من القيم الإيمانية والإنسانية بكلا قسميه الظاهر والكامن [2] ، قال تعالى :﴿ **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [الزمر : 27] .

والمتأمل في الأمثال القرآنية يجدها تحمل قيماً تغلب فيها القيم الإيمانية على القيم الإنسانية ، قال تعالى : ﴿ **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الحشر : 21] .

جاء في تفسيرها : (والمعنى : لو كان الجبل مما يجوز أن ينزل عليه القرآن فأنزلناه عليه لرأيته - مع ما فيه من الغلظة والقسوة وكبر الجسم وقوة المقاومة قبال النوازل - متأثرا متفرقا من خشية الله فإذا كان هذا حال الجبل بما هو عليه فالإنسان أحق بأن يخشع لله إذا تلاه أو تلي عليه ، وما أعجب حال أهل المشاقة والعناد لا تلين قلوبهم له ولا يخشعون ولا يخشون)[3] .

والإيمان بالله تعالى يستلزم خشيته ، فالخشوع أعلى درجات الإيمان ، وقد مثل لهذا الأمر سبحانه وتعالى بأن الجبل مع قوته وصلابته يتصدع من خشية الله فكيف بالإنسان المؤمن الذي هو أرق من الجبل وأقل صلابة ؟، في حين إن القيم الإنسانية

([1]) ينظر : تربية الإنسان في منهج القرآن : عبد الحليم محمد حسين ، شبكة الألوكة - قسم الكتب ، https://www.alukah.net/library/0/124386/ ، 58 . تم الإطلاع عليه بتاريخ 8 / 1 / 2021 .

([2]) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بلا.ط ، 1974م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ، 4 / 46 .

([3]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 19 / 221 .

متضمنة في المثل القرآني بأروع صور التمثيل مع إن أغلبها مفاهيم سلبية متمثلة بالنواهي ، ولكن المراد منها هو العمل بضدها وليس فقط تركها وتجنبها ، فحين يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا . وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾ [الكهف : 32 - 34] .

تشير هذه الآيات إلى مجموعتين من الأصدقاء أو الأخوة ، مجموعة تمثل الكِبر والغرور واستضعاف المقابل ، وأخرى تمثل التواضع والقناعة ، فالمجموعة الأولى مثلت صاحب الجنتين الذي أصابه الكِبر والغرور بسبب ما يملكهُ من مال وثروة ، وكل هذا إنما هو بسبب ضعف شخصيته ، حيث كان يظن بأن كل هذه الثروة والمال والجاه باقي إلى الأبد ولا يزول [1] .

ففي هذه الآيات حث على ترك الكِبر وتجنب صفة الغرور وليس المراد هذا فقط من هذه الآيات وإنما بيان قيمة التواضع ، والمثل القرآني يحمل الكثير من القيم يذكر الباحث منها لا للحصر :

1- قوله تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة : 171] .

جاء في تفسيرها : (... ثمّ ضرب اللّه سبحانه مثلا للكفّار في تركهم إجابة من يدعوهم إلى التوحيد ، وركونهم إلى التقليد ، فقال :﴿ ومَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ المضاف مقدّر ، تقديره : مثل داعي الَّذين كفروا إلى الإيمان ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ ﴾ أو : مثل الَّذين كفروا كمثل بهائم الَّذي ينعق ﴿ بِما لا يَسْمَعُ إِلَّا دُعاءً ونِداءً ﴾ دعاء الناعق ونداءه الَّذي هو تصويت وزجر ، ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي ، كما يفهم العقلاء ويعون)[2] ، فهذه الآية تحمل في مضمونها قيم إيمانية تمثلت بقيمة التوحيد .

([1]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 9 / 267 .

([2]) زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، 1 / 284 .

2- قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة : 275] .

فآكلوا الربا قد عطلوا العقل لديهم وهمهم هو جمع المال فقط دون تعب ، وذلك عن طريق إقراض الناس بالفائدة ، وهذا الكسل يجعلهم يتحركون فقط للهو فيتحركون بخَبَل من الشيطان لما قاموا به من الربا في البيع ، إذ قالوا : يجوز التكسب في البيع والربا ولا فرق بينهما ، كما أن الربا يساعد على تفشي البطالة وجعل الثروة في أيدٍ قليلة مسبباً بذلك تكوين طبقات في المجتمع ، مما يؤدي إلى الإضرار بالاقتصاد بالإضافة إلى بخس حق الفقراء ، وبعكس ذلك يكون دفع الصدقات للفقراء يساعد على تفتيت الثروة وتدويرها وبذلك تتحرك عجلة الاقتصاد وبهذا تكون الصدقات هي الوسيلة للقضاء على الربا في المجتمع ودفع الفقر عن أبنائه [1] ، وهذه الآية تحمل في مضمونها قيم اقتصادية تمثلت في النهي عن الربا وحث على دفع الصدقات .

3- قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الحجرات : 12] .

جاء في تفسيرها : (يدعو القرآن المسلمين إلى اجتناب سوء الظن ، وحمل المؤمنين على أحسن الأحوال ، يقول الله تعالى في سورة النور : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ ... يبدو أن الغيبة من أقبح المعاصي ، ولذلك شبهها القرآن بأقبح صورة عندما شبهها بأكل لحم أخيه وهو ميت ، فالحيوانات كما يقال تتجنب أكل لحم أبناء جنسها وتعتدي على سائر الحيوانات)[2] ، وهذه الآية تتضمن قيماً اجتماعية وأخلاقية ، ففيها حث على تجنب الظن ونبذ الغيبة وظلم الإنسان لأخيه الإنسان .

([1]) ينظر : من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 1 / 356 .

([2]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 9 / 180 - 181 .

المطلب الثالث : أسلوب الأسوة الحسنة :

الأسوة لغةً :

لقد جاءت أصل مفردة الأسوة من الأصل اللغوي (أسا(ومعناها في اللغة كما جاء في لسان العرب : (والإسْوَةُ : القُدْوة . ويقال : ائتَسِ به أي اقتدَ به وكُنْ مثله)[1] ، وجاء في مختار الصحاح بيان معنى الأسوة : (وأتسى به أي اقتدى به يقال لا تأتس بمن ليس لك بأسوة أي لا تقتد بمن ليس لك بقدوة)[2] .

الأسوة اصطلاحاً :

عُرفت الأسوة بأنها : (الحالة التي يكون الإنسان عليها في إتباع غيره إن حسناً وإن قبيحاً وإن ساراً وإن ضاراً)[3] .

والأسوة : (ما يتأسى به ، أي يتعزى به . فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله)[4] ، من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي للأسوة ، يتبين أن الأسوة تأتي بمعنى القدوة ، وهذا ما ذهب إليه المفسرون ، من ذلك في تفسير قوله تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : 21] [5] .

فالأسوة الحسنة أحد أهم الأساليب التي لها دور كبير في التربية وتعزيز القيم وترسيخها في نفوس المسلمين ، وقد وردت الأسوة الحسنة في القرآن الكريم في مواضعٍ ثلاثة : الأول : قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب : 21] ، والثاني : قوله تعالى : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ** ...﴾ [الممتحنة : 4] ، والثالث : قوله تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ... ﴾ [الممتحنة : 6] .

([1]) لسان العرب : ابن منظور ، 14 / 35 .

([2]) مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي ، 17 .

([3]) المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصفهاني ، ط2 ، 1404هـ ، منشورات دفتر الكتاب ـ إيران ، 18 .

([4]) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ، 14 / 155 .

([5]) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 8 / 28 . تفسير المنار : محمد رشيد رضا ، بلا.ط ، 1990م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر ، 9 / 430 . الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 16 / 288.

وفي هذا إشارة أو دلالة على أهمية الأسوة الحسنة في حياة الإنسان ، فالرسول ﷺ خير من نتأسى به في جميع أفعاله وصفاته ؛ لما يتميز به من أخلاق عظيمة ، قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم :4] ، فالرسول الكريم ﷺ قدوة لنا في كل جوانب حياته قبل وبعد البعثة ، إذ كان قبل البعثة يتحلى بصفات وأخلاق نبيلة من قبيل الصدق والأمانة والإيثار وغيرها ، والسيرة النبوية تشهد بذلك ، كما أنه ﷺ بعد البعثة قد اتصف بصفات منها الصبر على أذية المشركين والثبات على دين الله تعالى والتواضع والشجاعة وغيرها من الصفات التي كان يتحلى بها ، فالرسول الكريم ﷺ كان يتحلى بجميع القيم الإسلامية ، فقد كان المثل الأعلى لجميع المسلمين يتآسون بأخلاقه وأفعاله ، والاقتداء برسول الله ﷺ ليس بالأمر السهل وفي هذا قال السيد المدرسي في تفسير قوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، ولكن هل يتمكن من الاقتداء بالرسول كل أحد ... كلا .. بل الذي ارتفع بإرادته وروحه وسلوكه عن حطام الدنيا ، وتطلع إلى الآخرة)[1] ، وخير مثال على ذلك شخصية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إذ قال في أحد خطبة : (... ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به ...)[2] .

ويبدو للبحث من خلال ما أشار إليه السيد المدرسي في تفسير هذه الآية [3] ، أن القدوة أقوى وأعمق من الأسوة ، إذ إن الأسوة تأتي بمعنى التآسي قدر المستطاع ولو بالبعض، أما القدوة فهي اتّباع المُقتدى به في كل شيء، فالمسلم البسيط لا يستطيع أن يقتدي بجميع أفعال الرسول ﷺ وأخلاقه إلا من كان على درجة عالية من الإيمان، وفي ذلك إشارة إلى اللطف الإلهي، حينما أمرنا سبحانه وتعالى بالتآسي وليس الاقتداء، فبإمكان الجميع التآسي، أما الاقتداء فليس بوسع الجميع، ودليل ذلك

([1]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 7 / 185 .

([2]) نهج البلاغة : خطب الإمام علي عليه السلام ، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده ، ط1 ، 1412هـ ، دار الذخائر - قم – إيران ، 2 / 157 .

([3]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 7 / 185 .

إن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالتآسي وأمر الرسول ﷺ بالاقتداء ، كما في قوله تعالى : ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ** ....﴾ [الأنعام :90] ، إذ أمره سبحانه وتعالى بالاقتداء بأفعالهم ؛ لأنه من الأنبياء المرسلين وبإمكانه الاقتداء بهديهم ، فالله سبحانه وتعالى لم يأمر رسوله ﷺ بالتآسي وإنما أمره بالاقتداء؛ لأنه قادر على ذلك، ولما كان الاقتداء بالعمل وليس بالشخص فالمقتدي قد يصل إلى نفس عمل المُقتدى به أو يفوقه ، فالرسول ﷺ ليس فقط اهتدى بهديهم وإنما جاء بأفضل من ذلك [1].

والمتدبر في هذه الآيات المباركة يجد أن التعبير القرآني دقيق جداً ، فوضع التآسي للمكلفين والقدوة للأنبياء ، ولما كانت القيم القرآنية هي الأوامر الإلهية، وأن التكاليف الشرعية حسب قابلية الإنسان المسلم وسعته ، فقيمة التآسي جاءت بحسب قابلية المسلم ، فالقدوة بحسب ما توصل إليه البحث هي فوق قابلية المسلم البسيط ، وهذا ينافي ما جاء في قوله تعالى : ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ... ﴾ [البقرة :286] ، والله أعلم .

ولما كانت القيم مجموعة من الأوامر والنواهي فهي إذن تراعي قابلية الإنسان، وعليه فالأسوة الحسنة جاءت بحسب قابلية المسلم البسيط ويقدر عليها ، أما القدوة فهي للمسلم الذي نال من الرفعة والمقام العالي مما يقربه من الرسول ﷺ فهي خاصة بالأنبياء ولا أحد يصل إلى مقام الرسول ﷺ عدا أئمة الهدى من آل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) فهم من اقتدوا برسول الله ﷺ، وأما المكلفون من عامة الناس فلهم التآسي بالرسول ﷺ إذ يكون ذلك بمقدورهم .

وعلى آية حال فالتآسي بالأنبياء(عليهم السلام) والصالحين واتّباعهم أحد أهم مناهج التربية في القرآن الكريم ، ولما كان الإنسان بفطرته يميل إلى اتخاذ القدوة في حياته بشتى المجالات ، جاء القرآن الكريم بما يوافق هذه الفطرة التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها ، فإذا كانت الأسوة الحسنة شاهداً حياً مقروناً بالأفعال كان أثرها أقوى وأعمق من شاهد المقال ، فحياة الأنبياء والرسل (عليهم السلام) شاهدٌ حيٌ يُؤتسى

([1]) ينظر : مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري ، 4 / 207 .

به، فهناك شواهد قرآنية كثيرة تدل على الاقتداء والتآسي بسير الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين وتحمل في مضمونها قيماً مختلفة نذكر منها :

1- قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [النحل :120] ، جاء في تفسيرها : (أي قدوة ومعلّما للخير ، يقال للرجل العالم : امّة - أو المعنى إمام هدى ، وقيل : سمّاه امّة لأنّ قوام الأمّة كان به وقام بأمر الأمّة وانفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمنا والناس كلّهم كانوا كفّارا ، وإنّ إبراهيم حاز من الفضائل البشريّة ما لا تكاد توجد في أحد بزمانه حسبما قيل ، ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد فكيف لا وهو رئيس أهل التوحيد وقدوة أهل التحقيق ، جادل أهل الشرك وألقمهم الحجر ببيّنات باهرة لا تبقي ولا تذر وأبطل مذاهبهم الزائفة بالبراهين القاطعة ، قانِتاً ومطيعاً ودائماً على عبادة الله ، حَنِيفاً : مستقيما غير مائل عن الحقّ وهو الإسلام)[1] .

في هذه الآية قيماً إيمانية متمثلةً بالتوحيد وعدم الشرك بالله .

2- قوله تعالى : ﴿... **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص :44] ، جاء في تفسيرها : (يثنى عليه بوجود ما أوجده عليه من الصبر ...)[2] ، وقوله :﴿ إنا وجدناه صابراً ﴾ أي فيما ابتليناه به من المرض وذهاب الأهل والمال)[3] .

في هذه الآية قيمة أخلاقية وهي قيمة الصبر .

3- قوله تعالى : ﴿... **وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [سبأ :10 - 11] .

جاء في تفسيرها : (... ولعل الآية تشير إلى ضرورة الإتقان في العمل ، ولاسّيما في الصناعة ، ولكن الصناعة المتقنة كأي تقدم حضاري آخر يجب أن تكون بهدف حكيم هو العمل الصالح ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، ونستوحي من الآية

([1]) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري ، 6 / 202 .

([2]) تفسير السلمي : السلمي ، تحقيق : سيد عمران ، ط1 ، 2001م ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، 2 / 188 .

([3]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 17 / 210 .

إن الله الذي سخر لداود كل هذه الأمور ، لم يرتضِ منه أن تكون بديلاً عن السعي والعمل الشخصي ، لأن قيمة الإنسان تكمن في سعيه وعمله)[1] ، تتضمن هذه الآية قيماً اقتصادية متمثلةً بقيمة العمل وإتقانه .

4ـ قوله تعالى : ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ...﴾ [القصص :25] .

جاء في تفسيرها : (جاءته إحدى البنتين تخطو بخطوات ملؤها الحياء والعفة ويظهر منها أنها تستحي من الكلام مع شاب غريب)[2] ، وهذا يدل على كرم عنصرها وخلقها الحسن، فإن الحياء من الأخلاق الفاضلة وخصوصاً في النساء، ويدل على إن موسى (عليه السلام) لم يكن فيما فعله من السقي بمنزلة الأجير والخادم الذي لا يُستحى منه عادةً، وإنما هو عزيز النفس، رأت من حُسن خلقه ومكارم أخلاقه ما يوجب لها الحياء منه ، في هذه الآية قيمة أخلاقية متمثلةً بقيمة العفة والحياء.

المطلب الرابع : أسلوب الترغيب والترهيب :

الترغيب لغةً :

لقد جاءت كلمة الترغيب من الأصل اللغوي (رغب)وله معانٍ عدة منها : بمعنى الرغبة وهو كل شيء مرغوب فيه [3] ، وقد تأتي بمعنى الإرادة أي إرادة الشيء [4] ، وقد جمع ابن فارس(ت: 395هـ) بين هذين المعنيين وقال : (الراء والغين والباء أصلان أحدهما طلب لشيء والآخر سعة في شيء . فالأول الرغبة في الشيء الإرادة له)[5] ، من هنا يتضح بأن المراد من الترغيب في اللغة هو الرغبة والإرادة لذلك الشيء .

([1]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 7 / 266 .

([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 12 / 211 .

([3]) ينظر : العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، 4 / 413 .

([4]) ينظر : الصحاح : الجوهري ، 1 / 137 .

([5]) معجم مقاييس اللغة : احمد بن فارس ، 2 / 415 .

الترغيب اصطلاحاً :

عُرف الترغيب بأنه : (كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه)[1] .

وعُرف كذلك بأنه : (الترغيب وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده)[2] .

الترهيب لغةً واصطلاحاً :

الترهيب لغةً :

لقد جاءت كلمة الترهيب من الأصل اللغوي (رهب) ومعناه في اللغة الخوف من الشيء [3] .

الترهيب اصطلاحاً :

الترهيب : (هو كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله)[4] .

وعُرف الترهيب بأنه : (وعيد، وتهديد بعقوبه تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي)[5] .

([1]) أصول الدعوة : عبد الكريم زيدان ، ط9 ، 2002م ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ، 437 .

([2]) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع :عبد الرحمن النحلاوي ، ط25 ، 2007م ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ، 230 .

([3]) ينظر : العين : الخليل بن احمد الفراهيدي ، 4 / 47 . الصحاح : الجوهري ، 1 / 140 . لسان العرب : ابن منظور ، 1 / 436 .

([4]) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع :عبد الرحمن النحلاوي ، 437 .

([5]) المصدر نفسه ، 231 .

ولا يختلف التعريف اللغوي عن التعريف الاصطلاحي ، إذ يراد من كليهما التخويف، و(الترغيب والترهيب) من الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم لتعزيز القيم الإيمانية والإنسانية ، فهو يُلائم طبيعة النفس البشرية لكونها تتأثر بسهولة ، فهذا الأسلوب خير محفز يُخاطب به النفس الإنسانية ، مُتمثل بالرجاء في رحمة الله والخوف من عقابه ، وإن الله سبحانه وتعالى اعتمد في القرآن الكريم مبدأ الجمع بين أسلوبي (الترغيب والترهيب) في إيصال رسالته التربوية إلى الناس ؛ كونه ينسجم وطبيعة حالهم [1] ، فقد أرسل سبحانه وتعالى الرسل مبشرين ومنذرين ، قال تعالى : ﴿**وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ** ...﴾ [الأنعام : 48] .

يتميز الجمع بين (الترغيب والترهيب) في القرآن الكريم بالموازنة بين الرجاء والخوف فلا تطمع النفس في الرحمة فتترك العمل ولا تيأس من الترهيب فتقنط وتترك العمل [2] ، فالقرآن الكريم لا يستخدم الترغيب وحده كي لا يطمع الإنسان في رحمة الله ويترك العمل ، كما لا يستخدم الترهيب وحده فيقنط الإنسان ويترك العمل . ويرى البحث إن علة الجمع بين هذين الأسلوبين ليس فقط الركون إلى الرحمة أو القنوط منها، ولا لكون النفس الإنسانية قد جُبلت على الرغبة والتقرب فيما هو مرغوب والخوف والابتعاد عما هو مرعب ومخيف فقط ، وإنما بحسب فهم الباحث القاصر والله أعلم هو إن الإنسان حينما ولد كان عدوه معه ـ الشيطان ـ يتربص به في كل حركاته وسكناته مذ بلغ سن التكليف وإلى آخر يوم من حياته، ومما نقله القرآن الكريم عن لسان إبليس اللعين قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف :17] .

جاء في تفسيرها : (... ويمكن أن يكون هذا التعبير كناية عن أن الشيطان يحاصر الإنسان من كل الجهات ويتوسل إلى إغوائه بكل وسيلة ممكنة ، ويسعى في إضلاله ، وهذا التعبير دارج في المحاورات اليومية أيضا ، فنقول : فلان حاصرته الديون أو

([1]) ينظر : معالم الحضارة القرآنية : عقيل الحيدري ، ط1 ، 2008م ، منشورات الاجتهاد ـ قم ـ إيران ، 98 .

([2]) ينظر : أساليب القرآن الكريم في التربية الأخلاقية منهاج التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في الضفة الغربية فلسطين نموذجاً : محمد أحمد محمود ، أطروحة دكتوراه ، أكاديمية الدراسات الإسلامية ـ جامعة مالايا ـ كوالالمبور ، 2017م ، 59 .

الأمراض من الجهات الأربع)[1] ، ولكون الإنسان مخلوقاً مختاراً في أفعاله لا مسيّراً [2] لا سلطان للشيطان عليه إن كان قوي الإيمان والإرادة قال تعالى مما نقله عن لسان إبليس اللعين :﴿ ... **وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [الحجر :39- 40] .

جاء في تفسيرها : (... و ﴿ لأغوينهم ﴾ أي أدعوهم إلى ضد الرشاد ، ثم استثنى من جملتهم عباد الله المخلصين الذين أخلصوا عبادتهم لله وامتنعوا من إجابة الشيطان ، في ارتكاب المعاصي ، لأنه ليس للشيطان عليهم سبيل ، كما قال تعالى ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ يعنى عباد الله الذين فعلوا ما أمرهم به وانتهوا عما نهاهم عنه)[3] ، ولما كان الإنسان مخلوقاً ضعيفاً ومعرضاً لإتّباع شهواته كان من أفضل الأساليب لتوجيهه وحثه على التحلي بالقيم الفاضلة هو أسلوب الترغيب والترهيب، قال تعالى :﴿ ... **وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء :28] .

جاء في تفسيرها : (... وقيل : خلق الإنسان ضعيفاً ، يستميله هواه وشهوته ، ويستشيطه خوفه وحزنه)[4] .

فلو كانت جميع الآيات فيها ترغيب لنسي الإنسان عدوّه وركن إلى الرحمة ، وبهذا زلت قدمه عن المنهج الصحيح فيترك العمل بالقيم والمبادئ الإسلامية التي أرادها الله تعالى للإنسان ليرتقي إلى الدرجة التي يستحق فيها خلافة الأرض ، وعندها يأتي دور آيات الترهيب لتذكير الإنسان بعدوه الذي يسعى لإضلاله ويزين له الذنوب والمعاصي ، وبهذا ينتبه الإنسان من غفلته ، فالتحلي بالقيم الأخلاقية يأتي للإنسان عن طريق الترغيب والترهيب على حدٍ سواء .

وقد جاء أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم على صورٍ ثلاث ، الصورة الأولى : أن يجمع بين الترغيب والترهيب في آية واحدة ، قال تعالى :﴿ ... **إِنَّ رَبَّكَ**

([1]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، 4 / 588 .

([2]) ينظر : بداية المعرفة منهجية جديدة في علم الكلام : السيد حسن مكي العاملي ، بلا.ط ، 2009م ، مكتبة دار المجتبى ـ النجف الأشرف ، العراق ، 98 .

([3]) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 6 / 336 - 337 .

([4]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 3 / 67 .

سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام :165] ، الصورة الثانية : أن يجتمعا في آيتين متتاليتين ، قال تعالى : ﴿ **نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ** ﴾ [الحجر :49 - 50] ، الصورة الثالثة : أن يأتي الترغيب والترهيب في مجموعة آيات ، قال تعالى :﴿ **فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ . إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ . بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ . إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ . أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ . فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ . يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ** ﴾ [الصافات :33- 45] .

ويرى البحث إن الصور في هذا الأسلوب ما تنوعت إلا لأهميته البالغة من جهة شدة التأثير في النفوس وإثارة العواطف بالترغيب ، والخوف والحذر بالترهيب ، فالله سبحانه وتعالى ليس بغافلٍ عن نفوس البشر فهم خلقه وهو أعلم كيف وبأي طريقة يدعوهم إلى رسالته والتي تشمل القيم الإيمانية والإنسانية ، قال تعالى : ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك :14] .

جاء في تفسيرها : (استفهام إنكاري مأخوذ حجة على علمه تعالى بأعمال الخلق ظاهرها وباطنها وسرها وجهرها وذلك أن أعمال الخلق - ومن جملتها أعمال الإنسان الاختيارية - وإن نسبت إلى فواعلها لكن الله سبحانه هو الذي يريدها ويوجدها من طريق اختيار الإنسان واقتضاء سائر الأسباب فهو الخالق لأعيان الأشياء والمقدر لها آثارها كيفما كانت والرابط بينها وبين آثارها الموصل لها إلى آثارها ... وقوله : ﴿ وهو اللطيف الخبير﴾ أي النافذ في بواطن الأشياء المطلع على جزئيات وجودها وآثارها)[1] ، وهناك شواهد قرآنية في هذا الأسلوب تحمل قيماً إيمانية وإنسانية يذكر البحث منها لا للحصر :

1- الترغيب في قيمة العلم ، قال تعالى : ﴿... **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [المجادلة :11] .

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 19 / 354 - 355 .

جاء في تفسيرها : (... فأمر الله سبحانه أن يقرب العلماء من نفسه ، فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ، ليبين فضل العلماء على غيرهم . وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء ، وجلالة قدرهم)[1] .

ففي هذه الآية الكريمة تتجسد القيم المعرفية في قيمة العلم وذلك من خلال تكريم الله سبحانه وتعالى للعلماء .

2- الترغيب في قيمة العمل الصالح، قال تعالى :﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:97] ، جاء في تفسيرها : (يفيد أنّ العمل الصالح يفيد الأثر بشرط الإيمان ، وظاهر قوله : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، يفيد العموم ويدلّ على أنّ العمل الصالح يفيد الأثر ، سواء كان مع الإيمان أو مع عدم الإيمان ، وأنّ إفادة العمل الصالح للحياة الطيّبة الباقية الدائمة مشروطة بالإيمان)[2] .

وهذه الآية فيها تأكيد على أهمية قيمة العمل وارتباطه المباشر بالإيمان ، وهذا يدل على أن القيم الإيمانية وثيقة الصلة بالقيم الاقتصادية فلا تنفك عنها بأي حال من الأحوال .

3- الترهيب من الكفر، قال تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة:39] .

جاء في تفسيرها : (وهذه هي عبرة القصة كلها ، إن الله سخر للإنسان ما في الأرض بالعلم ، ثم سلط عليه إبليس ، والمنقذ من إبليس هو هدى الله فمن تبعه نجا ، ومن كفر وكذب به فإن مصيره إلى النار خالداً فيها ، إلا أن يتوب إلى الله قبل فوات الأوان)[3].

في هذه الآية قيم إيمانية وهي النهي عن الكفر بالله والتكذيب بآياته ، والتأكيد على أهمية الإيمان بالله وتصديق آياته .

([1]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 9 / 418 .

([2]) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري ، 6 / 194 .

([3]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 1 / 175 .

4- الترهيب من النفاق ، قال تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ [التوبة:68] .

جاء في تفسيرها : (... وفي هذه الآية زيادة تقرير لاستحقاق المنافقين العذاب ، وأنهم الطائفة التي تعذب إذا بقوا على نفاقهم ، فتعين أن الطائفة المعفو عنها هم الذين يؤمنون منهم)[1] .

في هذه الآية قيم اجتماعية وهي النهي عن النفاق ، فالنفاق هو آفة تفتك بالمجتمع لما له من آثار سلبية ، لذلك وعد الله المنافقين بالعذاب .

5- الترهيب من التبذير ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا** ﴾ [الإسراء:27] .

جاء في تفسيرها : (... وهناك نقطة ينبغي الالتفات إليها ، وهي مجيء النهي عن التبذير والإسراف ، بعد إعطاء الأمر بأداء حق الأقرباء والمساكين حتى لا يقع الإنسان تحت تأثير عاطفة القرابة أو الصداقة فيعطي لهذا المسكين أو ابن السبيل أو القريب أكثر مما يستحق أو يتحمل ، فيعتبر ذلك إسرافا وتبذيرا ، وهما مذمومان دائما ، الآية التي بعدها هي لتأكيد النهي عن التبذير إن المبذرين كانوا أخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفوراً)[2] .

وهذه الآية فيها دعوة إلى أهمية القيم الاقتصادية متمثلة في النهي عن التبذير وعدم الإسراف .

6- الترهيب من قطع صلة الرحم ، قال تعالى : ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ** ﴾ [محمد:22- 23] .

([1]) التحرير والتنوير : ابن عاشور ، 10 / 256 .

([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 8 / 459 - 460 .

جاء في تفسيرها : (هل عسيتم فهل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها أو رجوعا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من تغاور ومقاتلة مع الأقارب والمعنى أنهم لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وقرئ توليتم أي إن تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموه في الإفساد وقطيعة الرحم)[1] .

في هذه الآية تأكيد على القيم الأسرية وذلك من خلال التأكيد على صلة الرحم وعدم قطعها بأي حالٍ من الأحوال .

يستفاد من هذه الأساليب كلها إن القرآن الكريم جاء بما يوافق الطبيعة البشرية ، من جهة كونها عواطف ومشاعر تتأثر بما يثيرها ، من قبيل القصة والرغبة والخوف والمثل الأعلى وغيرها من الأساليب ، مما يعزز ويرسخ القيم الإسلامية في النفس الإنسانية .

وقد لاحظ الباحث من خلال البحث في هذه الأساليب ، لم تأتِ منفردة وحسب بل جاءت متداخلة أيضاً ، مثلاً القصص القرآني فيه الكثير من المواعظ والعبر ما يعزز القيم الإسلامية وفي الوقت نفسه أن القصة قد تتضمن مثلاً قرآنياً فيه أيضاً من المواعظ والعبر ، وفي الوقت نفسه يتضمن هذا المثل القرآني ترغيب أو ترهيب ، ومثال ذلك قوله تعالى :﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا . وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾ [الكهف : 32 - 34] .

ففي هذه الآية قصة صاحب الجنتين وفي الوقت نفسه هي من المثل القرآني وقد تضمن هذا المثل ترهيباً عن التكبر .

([1]) التفسير الصافي : الفيض الكاشاني ، 5 / 27 .

وقد تأتي القصة القرآنية متضمنةً الأسوة الحسنة وفي الوقت نفسه تتضمن ترغيب ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿... **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص :44] .

ففي هذه الآية قصة نبي الله أيوب (عليه السلام) وفي الوقت نفسه فيها أسوة حسنة وهي الاقتداء بصبر نبي الله أيوب (عليه السلام) وفي الوقت نفسه فيها ترغيب على قيمة الصبر وذلك لأن فيها مدح .

ويبدو للبحث من تداخل هذه الأساليب أن فيها دلالات وإشارات بليغة يوصلها القرآن الكريم للمتدبر في آياته ، فيُستشّف منها أن موضوع القيم في القرآن الكريم من الركائز الأساس التي أراد أن يوصلها للفرد والمجتمع على حدٍ سواء .

الفصل الثالث

" مستويات النسق القيمي في القرآن الكريم واثاره "

وفيه ثلاث مباحث :

المبحث الأول : النسق القيمي الإيماني

المطلب الأول : النسق القيمي العقدي

المطلب الثاني : النسق القيمي في العبادات

المطلب الثالث : النسق القيمي في المعاملات

المبحث الثاني : النسق القيمي الأخلاقي

المطلب الأول : النسق القيمي الفردي

المطلب الثاني : النسق القيمي الأسري

المطلب الثالث : النسق القيمي الاجتماعي

المبحث الثالث : الآثار الايجابية والسلبية في حال التمسك بالنسق القيمي أو العزوف عنه

المطلب الأول : الآثار الإيجابية للتمسك بالنسق القيمي

المطلب الثاني : الآثار السلبية للعزوف عن النسق القيمي

الفصل الثالث : مستويات النسق القيمي في القرآن الكريم وآثاره :

إن القرآن الكريم جاء بنسقه القيمي على مستوياتٍ عدة ، ولم يقتصر على مستوى واحد؛ وذلك تبعاً للجوانب التي يعالجها في حياة الإنسان ، كالجانب العقائدي والمعرفي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها، فهو يقوم على خلق التوازن ؛ كونه يجمع بين الجانب الروحي والمادي للإنسان ، لذلك جاء النسق القيمي على مستوياتٍ متعددة ، كالنسق القيمي الأخلاقي الذي يشتمل على القيم الأخلاقية والنسق القيمي التشريعي المشتمل على قيم العبادات والمعاملات والتي لها علاقة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للإنسان وتتضمن قيماً فردية وأسرية واجتماعية واقتصادية وسياسية ... الخ من القيم التي تربط الإنسان بخالقه وأفراد جنسه وبالطبيعة من حوله ، ومن الجدير بالذكر إن جميع مستويات النسق القيمي في القرآن الكريم تُقدم القيم الإيمانية ـ من عقائد وعبادات ـ على القيم الأخرى؛ ذلك للتداخل والارتباط بينها من جهة ، ولهيمنتها على باقي القيم من جهة أخرى، فالعقائد مثلاً تعد أساس القيم وعليها تبنى القيم الأخرى، فإن اهتز الأساس هُدم البناء، مثال ذلك كأن يسأل أحدهم : إن الإنسان الذي لا يؤمن كالملحد مثلاً ، إن لديه نسق قيمي صحيح ، تجده لا يكذب ويساعد الآخرين ويؤثرهم على نفسه ويسامح ويصل رحمه ، فما دور الإيمان هنا ؟ الجواب إن هذا الشخص الذي لا يؤمن بالقضاء والقدر ولا بالمعاد ولا بالثواب والعقاب ولا بيوم الحساب ، فأي صدمة تواجهه كأن يتوفى له شخص مقرب فإنه سرعان ما يجزع ويختل عنده النسق ، أو قد يتعرض لصدمة خيانة أحد الأصدقاء أو المقربين من الذين يساعدهم ويحُسن إليهم ، وفي لحظةٍ ما أنكروا عليه ذلك العرفان أو كذبوا عليه أو قاموا بسرقته وغيرها من الأمور ، وهو لا يؤمن بالثواب والعقاب فتجده يجزع ولا يعد يثق بأحد ، فيختل النسق عنده وبهذا تتغير تصرفاته .

المبحث الأول : النسق القيمي الإيماني

ويشمل القيم العقدية والتشريعية ، وجاء تسميته بالإيماني ؛ وذلك تبعاً لتقسيم القيم إلى إيمانية وإنسانية ، والإيمانية تجمع بين القيم العقدية والتشريعية ، فكل قيمة تشريعية لا تعمل ولا تُثمر ما لم يسبقها اعتقادٌ قويٌ تستند إليه ، وفي القرآن الكريم كثير من الشواهد القرآنية تحمل قيماً عقدية وقيماً تشريعية بفرعيها في العبادات والمعاملات ، جاءت وفق نسق قيمي مقصود ، قسمها البحث وفق المطالب الآتية :

المطلب الأول : النسق القيمي العقدي :

وفيه يعرض القرآن الكريم القيم العقائدية وفق نسق قيمي، جاءت فيه القيم مرتبة حسب الأولوية والأهمية ، يهدف إلى تصحيح الاعتقادات وترسيخها، بُغية الوصول إلى العمل الصالح الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى ، والذي يرفع الإنسان ويحقق الغاية من خلقه ووجوده ، وهي عبادة الله حق عبادته من خلال خلافته للأرض ، قال تعالى : ﴿... **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ...﴾ [البقرة :30] ، وقوله تعالى :﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات :56] ، فإن (الوصول إلى الكمال يحتاج إلى دليلٍ ومساعدٍ وعلى الإنسان بالمرحلة الأولى أن يُحرز سلامة الفكر على المستوى النظري والاعتقادي ، ثم في المرحلة الثانية عليه أن يستكشف علوم الطريق ومراحل طيّ الطريق الصائب ؛ إذن فالخطوة الأولى هي تحصيل العلوم الاعتقادية) [1] ، كما إن للقيم العقائدية تأثيرٌ على باقي القيم في القرآن الكريم ، فهي تُعد الركيزة الأساس في المنظومة القيمية الأخلاقية ، وتنبثق عنها القيم الأخرى ، فهي القيم الأسمى والأعلى ، ولكي تُثمر هذه القيم ، لابد من أن يتوافق كل من الاعتقاد القلبي والسلوك العملي [2] ، والشواهد القرآنية على مثل هذا النوع من صور النسق القيمي كثيرة يذكر البحث منها :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف :110] .

([1]) الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم : محمد حسين فهيم نيا ، 64 .
([2]) ينظر : نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة : علاء صاحب عسكر ، 209 .

تبين هذه الآية الكريمة الأصول الإيمانية والاعتقادية الثلاثة ، كما تبين إن العمل الصالح هو أحد نتائج الاعتقاد بالمعاد ، فقد جاء في تفسيرها : (قد رتب على الاعتقاد بالمعاد العمل الصالح وعدم الإشراك بعبادة الرب لأن الاعتقاد بالوحدانية مع الإشراك في العمل متناقضان لا يجتمعان) [1] .

فالقيم الواردة في هذه الآية تتلخص فيما يلي :

1- النبوة ، في قوله تعالى : ﴿ **يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ .

2- التوحيد ، في قوله تعالى :﴿ **أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ .

3- المعاد ، في قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ** ﴾ .

4- العمل الصالح ، في قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا**﴾ .

فقد ورد من معانيها في كتب التفسير إن معنى (﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ أي من يخاف البعث بعد الموت ،﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ أي خالصاً فيما بينه وبين الله تعالى ، ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ أي لا يخلط ولا يرائي) [2] .

وبعد النظر في تفسير هذه الآية ومعرفة معانيها ، يتبين أن النسق القرآني لهذه القيم جاء بترتيبٍ منطقي حسب الأولوية والأهمية ، فقد تقدمت قيمة النبوة على قيمة التوحيد ، وذلك تبعاً للموقف الذي جاءت به الآية لما تعرضت له النبوة من اقترانها بالغلو والمبالغة على مدى التاريخ ، فهذه الآية جاءت لنسف ما قد اقترنت به النبوة من مبالغة وغلو وغيرها من الامتيازات التي تُؤلّه الأنبياء وتخرجهم من بشريتهم ، بيد أن قيمة التوحيد هي الأساس ، فقد أشارت إليه الآية الكريمة لأنه خلاصة جميع المعتقدات وهو غاية كل القيم الفردية والاجتماعية التي تبحث عن سعادة الإنسان[3] ، فوجود هذه القيمة بعد النبوة لا يسلبها مكانتها من الأولوية والأهمية ، أما المعاد فقد جاء ترتيبه في هذا النسق بعد التوحيد ؛ ذلك لأن (رجوع العباد إلى الله سبحانه من تمام معنى الإلوهية فله تعالى كل كمال مطلوب وكل وصف جميل ومنها فعل الحق

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 13 / 406 .
([2]) تفسير السمرقندي : أبو الليث السمرقندي ، 2 / 365 .
([3]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 9/ 393 .

والحكم بالعدل وهما يقتضيان رجوع عباده إليه والقضاء بينهم) [1] ، بينما جاءت قيمة العمل الصالح بعد المعاد ؛ وذلك لكون المعاد يشتمل على الحساب والجزاء ولولاهما لما أخلص العبد في عمله لوجه الله تعالى .

هذا من جهة الترتيب بين هذه القيم العقدية ، أما من جهة الترابط والتداخل والانسجام فقد جاءت هذه القيم مترابطة ومنسجمة ، بحيث لا يمكن لها أن تنفك عن بعضها البعض ، فقيمة التوحيد لها علاقة بقيمة النبوة إذ بالأخيرة تُعرف الأولى ، كما لها علاقة بقيمة البعث والمعاد والأخيرة لها علاقة بالنبوة ، فالمعاد والنبوة لا ينفصلان عن قيمة التوحيد ، فمع الإيمان بوجود الخالق وتوحيده والإيمان بجميع صفاته فهذا الخالق من الضروري أن يُرسل الأنبياء لعبادته وتوحيده ، وعدالته وحكمته تقتضي وجود بعث لتقام محكمته العادلة [2] ، أما قيمة العمل الصالح فترتبط بالقيم السابقة ارتباطاً وثيقاً وتنسجم مع توحيد الإله الواحد الأحد ومع النبوة والمعاد ، فمن يؤمن بوجود إله واحد ويؤمن بما جاء به الأنبياء من رسالة وتشريع من أوامر ونواهي ، يؤمن بوجود بعث ليُجازى كل إنسان على أعماله ، لذلك فالعمل الصالح الخالص لوجه الله تعالى هو النتيجة النهائية للإيمان بالمعاد .

فكل هذه القيم لا يمكن لها أن تنفك عن بعضها البعض، وإن فقدان واحدة منها يؤدي إلى حدوث خللٍ في داخل النسق وبدوره يؤدي إلى الفوضى وعدم النظام ، فالقيم الواردة في هذه الآية هي أساس كل القيم ، فإن هي اختلت، اختلت بقية القيم .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف :158] .

في الآية الكريمة إثبات لأهم القيم العقائدية ألا وهي قيمة التوحيد ، والتي تتفرع عنها القيم العقائدية الأخرى، من الإيمان بالرسل والكتب والبعث والجزاء وغيرها من القيم الإيمانية ، جاء في تفسيرها (... تنفي هذه الآية إلوهية غير خالق السماوات والأرض

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 13 / 406 .
([2]) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 9/ 393 .

، وإلوهية كل صنم ، وكذا تنفي التثليث المسيحي ، كما وتؤكد على رسالة النبي العالمية وقدرة الله تعالى على أمر المعاد) [1] .

والقيم الواردة في هذه الآية تتلخص بما يلي :

1- قيمة النبوة ، في قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ .

2- قيمة التوحيد، في قوله تعالى :﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ .

3- قيمة البعث والجزاء ، في قوله تعالى : ﴿ **يُحْيِي وَيُمِيتُ** ﴾ .

4- قيمة الإيمان بالله ورسوله، في قوله تعالى :﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ .

5- قيمة إتباع النبي ﷺ ، في قوله تعالى :﴿ **وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ .

كل هذه القيم جاءت وفق نسق قيمي بترتيبٍ حسب الأولوية والأهمية ، وللوقوف على نسقها لابد أولاً من النظر في معانيها التي وردت في كتب التفسير .

فقوله تعالى : ﴿ **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** ﴾ : تأكيد على أن نبوة الرسول ﷺ كانت إلى جميع الناس [2] .

وقوله تعالى :﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** ﴾ : (إثبات أن إله العالم واحد منزه عن الشريك والضد والند) [3] .

وقوله تعالى : ﴿ **يُحْيِي وَيُمِيتُ** ﴾ : (إثبات أنه تعالى قادر على الحشر والنشر والبعث والقيامة ، لأن بتقدير أن لا يثبت ذلك ، كان الاشتغال بالطاعة والاحتراز عن المعصية عبثاً ولغواً) [4] .

وقوله تعالى : ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ : (ما أنزل عليه ، وعلى سائر الرّسل من كتبه ووحيه) [5] .

([1]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 5 / 254 .
([2]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 3 / 405 .
([3]) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ، 15 / 28 .
([4]) المصدر نفسه ، 15 / 28 .
([5]) كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد رضا القمي ، 5 / 209 .

وقوله تعالى : ﴿ **الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ : (ما أنزل عليه ، وعلى سائر الرّسل من كتبه ووحيه... جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين ، تنبيها على أنّ من صدّقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعدّ في خطط الضّلالة) [1] .

من خلال هذه المعاني يُلاحظ أن القيم العقائدية في هذه الآية رُتبت حسب الأهمية والأولوية ، فقيمة النبوة تقدمت بحسب الأهمية ؛ امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ ، أما قيمة التوحيد كما أشار البحث سابقاً ، لها الأولوية فهي أساس القيم ، غير أن قيمة النبوة تقدمت هنا تبعاً لأهميتها ، وهذا الترتيب لا يدل عليه النص فقط ، وإنما دل عليه العقل أيضاً ، وجود الخالق أولاً ثم الرُسل ، فالخالقية أولاً ثم النبوة ، فالعقل يحكم بأن الخالق هو من يرسل الرُسل لتوحيده وعبادته ، وجاءت بعدها قيمة الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى قادر على البعث والجزاء ؛ وذلك لاختصاصه سبحانه وتعالى للإلوهية [2]، فبيده نظام الحياة والموت[3] ، ثم جاءت قيمتي الإيمان بالله ورسوله ، إذ قدم الإيمان بالله على الإيمان بالرسول ، (وهذا الترتيب في غاية الحسن ، وذلك لأنه لما بين أولاً أن القول ببعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام أمر جائز ممكن ، أردفه بذكر أن محمداً رسول حق من عند الله لأن من حاول إثبات مطلوب وجب عليه أن يبين جوازه أولاً ، ثم حصوله ثانياً ، ثم إنه بدأ بقوله : ﴿ فآمنوا بالله ﴾ لأنا بينا أن الإيمان بالله أصل ، والإيمان بالنبوة والرسالة فرع عليه ، والأصل يجب تقديمه ، فلهذا السبب بدأ بقوله : ﴿ فآمنوا بالله ﴾ ثم أتبعه بقوله : ﴿ ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ﴾) [4] ، وجاءت قيمة إتّباع الرسول ﷺ بعد قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ ؛ وذلك لأن الإيمان وحده لا يجدي نفعاً من دون العمل بكتاب الله واتباع سنة رسوله ﷺ [5]،وهذا الترتيب داخل النسق قد دل عليه النص والعقل والنظام الهرمي للقيم الواردة في هذه الآية ، فأولوية قيمة التوحيد دل عليها النص القرآني ، والشواهد على ذلك كثيرة على اختلاف موضوعاتها ، منها قوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ**

([1]) كنز الدقائق وبحر الغرائب : الشيخ محمد رضا القمي ، 5 / 209 .
([2]) ينظر : المصدر نفسه ، 5 / 209 .
([3]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 5 / 254 .
([4]) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ، 15 / 29 .
([5]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 3 / 406 .

يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ...﴾ [النساء :152] ، وقوله تعالى : ﴿ **آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ...﴾** [الحديد :7] ، وقوله تعالى :﴿ **وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ...﴾** [الحديد :19] ، فهذه الآيات وغيرها كثير قدمت الإيمان بالله مقترناً بالإيمان بالرسول ، ولما كان أعلى مراتب الإيمان بالله هو التوحيد ، فقد قرن سبحانه وتعالى التوحيد بالنبوة ، مع ملاحظة تقديم التوحيد أولاً لأهميته ثم النبوة ، ولأن (دعوى النبوّة لا تظهر فائدتها ولا تتمّ إلَّا بإثبات أنّ للعالم إلهاً حيّاً قادراً عالماً ... وأصل ثان : هو أنّ إله العالم واحد منزّه عن الشريك) [1] ، أما من جهة العقل ، فالخالق سبحانه وتعالى هو من أوجد البشر وأرسل الرُسل ، فالعقل يحكم بتوحيد الخالق من خلال الإيمان ببعثة الأنبياء ، أما من جهة النظام الهرمي ، فقد تسلسلت القيم في هذه الآية بنظام هرمي حسب الأهمية والأولوية، بدءاً من قيمة النبوة ثم التوحيد ثم الإيمان بالبعث والجزاء ثم إتباع الرسول والعمل بما جاء به من أوامر إلهية ، فالإيمان بالله وحده لا يكفي ما لم يكن هناك تطبيق عملي بما يُؤمَن به .

هذا من جهة الترتيب حسب الأولوية والأهمية ، أما من جهة الترابط والتداخل والانسجام والاتساق بين هذه القيم ، فالعلاقة بينها وثيقة ، فلا يمكن لإحداها أن تعمل دون تحقق الأخرى ، فتوحيد الله متوقف على تصديق النبوة ، وتصديق النبوة يستلزم الأخذ بجميع ما جاء به الأنبياء من أخبار غيبية ومن أوامر ونواهٍ وغيرها مما توجب طاعة الرسول ، وإن حدوث أي خللٍ لأية قيمة من هذه القيم سوف يحدث خللاً داخل النسق بأكمله ، فلا يمكن تصور أن يكون هناك إلهاً واحداً مع عدم التصديق بالنبوة ، والعكس صحيح ، وكذلك لا يمكن للإيمان بالله ورسوله أن يُثمر ما لم يكن هناك تصديقاً بالبعث والجزاء ، فمن يصدّق بوجود بعث وجزاء سوف يحثه هذا على العمل الصالح ، والعكس صحيح أيضاً . لذا فالتداخل بين هذه القيم وثيق جداً لدرجة لا يمكن لأي من هذه القيم أن تعمل دون تحقق القيم الأخرى داخل النسق .

([1]) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحائري ، 5 / 34 .

المطلب الثاني : النسق القيمي في العبادات :

وفيه يعرض القرآن الكريم القيم العبادية ، إذ جاءت وفق نسق قيمي قد رُتبت فيه القيم حسب الأولوية والأهمية ، كما أن لهذه القيم علاقة وثيقة فيما بينها ، فهي متماسكة ولا تنفك عن بعضها البعض ، إذ رُوعيّ فيها الانسجام والاتساق ، والهدف من هذا النسق هو ترسيخ العبادات ؛ كونها تُطهّر الروح والجسد من جميع الآفات النفسية والجسدية ، وتُهيء الإنسان لعمل الخيرات ، والتي لا تُقبل إلا من الإنسان المؤمن العابد الذي طهّر روحه وجسده وأصبح مهيئاً لخلافة الأرض . وهذا المستوى من النسق القيمي قد دلت عليه شواهد قرآنية كثيرة ، فمن مثاله :

أولاً : قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الحج :77] .

طرحت هذه الآية أهم أسباب السعادة والفلاح والتي يرجو الإنسان الوصول إليهما ، إذ جاء في تفسيرها : (هناك خطتان طُرحتا من أجل سعادة الإنسان ، ونجاته مرهونة بهاتين الخطتين : أ ـ الخطة الثابتة من قبيل الركوع والسجود والعبادات الأخرى ، ب ـ الخطة المتغيرة والتابعة للزمان والمكان التي لها مظاهر خاصة من فعل الخير في كل وقت ، ﴿ آَمَنُوا ارْكَعُوا ... وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾) [1] .

والقيم الواردة في هذه الآية تتلخص فيما يلي :

1ـ قيمة الركوع .

2ـ قيمة السجود .

3ـ قيمة العبادة .

4ـ قيمة فعل الخير .

وللوقوف على نسقها القيمي لابد ابتداءاً من معرفة ما جاء في كتب التفسير من معانيها ، فقوله تعالى : ﴿ **ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا** ﴾ : (قال المفسرون : المراد : صلوا ،

([1]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 6 / 64 .

لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود) [1] ، (أي صلوا ، على ما أمرتكم به ، من الركوع والسجود) [2] ، (﴿ ارْكَعُوا ﴾ خضوعاً لله سبحانه ، ﴿ واسْجُدُوا﴾ لعظمته ([3] ، (الركوع : الخضوع ، السجود : الخشوع بكل الجوارح) [4] .

﴿ **اعْبُدُوا رَبَّكُمْ** ﴾ : (أخلصوا في ركوعكم وسجودكم) [5] ، (يشمل جميع العبادات) [6] ، (الاستمرار على الخضوع والخشوع والاستقامة عليهما) [7] .

﴿ **افعَلُوا الْخَيْرَ** ﴾ : (أي : صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وسائر وجوه البر) [8] ، (يشمل أعمال الخير دون قيد أو شرط) [9] ، (العطاء المستمر سواء بالإنفاق أو العلاقات الحسنة أو .. أو ..) [10] .

يُستفاد من كل هذه المعاني التي وردت في التفاسير إلى أن الركوع والسجود بمعنى الخضوع والخشوع لله سبحانه وتعالى ، وهما ركنان أساسان في الصلاة ، فهما يدلان على الصلاة فهي لا تُقام إلا بهما ، وإن عبادة الله سبحانه وتعالى لا تكون إلا بالإخلاص في الركوع والسجود ، كما تكون في جميع العبادات مع الاستمرار والاستقامة في الخضوع والخشوع ، وإن فعل الخير يشمل أعمال الخير جميعاً بلا قيدٍ أو شرط ، مثل مكارم الأخلاق وصلة الرحم وجميع وجوه البر ، كما يدل فعل الخير على العطاء المستمر بجميع أنواعه .

من خلال هذه المعاني يُلاحظ إن هذه القيم قد رُتبت بحسب الأولوية والأهمية ، فقد جاءت قيمة الركوع أولاً ثم قيمة السجود ثانياً ، مع أن كليهما يشكلان معنى الصلاة ؛ وذلك لأن الركوع بمعنى الخضوع والسجود يعني الخشوع ، وبما أن الخضوع يسبق الخشوع فقد تقدم الركوع على السجود ، أما قيمة عبادة الله فجاءت بعد قيمتي الركوع

([1]) زاد المسير في علم التفسير : ابن الجوزي ، 5 / 310 .
([2]) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 7 / 343 .
([3]) تقريب القرآن للأذهان : السيد محمد الشيرازي، ط1، 2003م ، دار العلوم ـ بيروت ـ لبنان ، 3 / 628 .
([4]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 5 / 427 .
([5]) تفسير السمعاني : السمعاني ، 3 / 457 .
([6]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 10 / 406 .
([7]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 5 / 427 .
([8]) تفسير السمعاني : السمعاني ، 3 / 457 .
([9]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 10 / 406 .
([10]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 5 / 427 .

والسجود ؛ ذلك لكونها أعم فهي تشمل جميع أنواع العبادات ومن ضمنها الركوع والسجود مع الاستقامة والاستمرار عليهما ، وبعدها تأتي قيمة فعل الخير كونها تُمثل كل معاني البر .

إن النسق القيمي لهذه الآية جاء بترتيبٍ من الأخص إلى الأعم ، فقد قدم الركوع والسجود لكونهما أهم أركان الصلاة ، إذ إن فقدان أحدهما أو كليهما يُبطل الصلاة ، ولكون الصلاة عمود الدين فقد بدأ بها ؛ وذلك بذكر أهم ركنيها ، ثم ذكر بعدهما الأمر بالعبادة ، ويشمل هذا الأمر جميع العبادات ، وهو أعم من الصلاة ، ثم الأمر بفعل الخيرات والذي يشمل جميع الأعمال المفروضة وغير المفروضة من دون شرط أو قيد مثل مكارم الأخلاق وصلة الرحم وغيرهما من أعمال الخير [1] ، وهذا الأمر أعم أشمل من الأمر الثاني ، فجاء الترتيب من الأخص ثم الأعم .

هذا من جهة الترتيب ، أما من جهة التداخل والتماسك بين هذه القيم ، فالعلاقة بينهما وثيقة ، كون هذه القيم جميعها تُمثل أنواع العبادة لله سبحانه وتعالى ، فقيمة الركوع لها علاقة وثيقة بقيمة السجود ، فلا تنفك عنها ، كونهما ركنان أساسان في الصلاة ، كما لهما علاقة وثيقة بقيمة عبادة الله ؛ كونهما جزءاً لا يتجزأ من العبادة ، فالخضوع ثم الخشوع مع الاستمرار عليهما وسائر أنواع العبادات كالصوم والحج وغيرها ، لها علاقة وثيقة بفعل الخيرات ، فالصلاة مثلاً تنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ** ﴾ [العنكبوت :45] ، والابتعاد عن الفحشاء والمنكر من فعل الخيرات ، وكذلك الصوم ليس عن الطعام وحسب بل تصوم جميع جوارح الإنسان ، فإذا سكنت جوارحه عن الأفعال القبيحة وعن المنكر بادر إلى فعل الخير ، وبهذا يمكن للإنسان الفوز بنعيم الآخرة ، إذ إن العلاقة بين هذه القيم تُمثل مراحل الإيمان وهي الخضوع ، وقد دل عليه الركوع ، ثم الخشوع وقد دل عليه السجود ، ثم الاستمرار على الخضوع والخشوع مع الاستقامة عليهما في سائر العبادات ، ثم العطاء بالإنفاق المستمر أو العلاقات الحسنة أو غيرها من أفعال الخير ، إذ إن سعادة الإنسان وتحقيق غاياته وكل تطلعاته هي نتيجةً لهذه القيم المتسلسلة من

([1]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 10 / 406 .

الأوامر [1] ، كما إن التداخل بين هذه القيم على درجة كبيرة من التماسك ، فلا تنفك بعضها عن بعض، وإن أي خللٍ يصيب أحد هذه القيم ، يصيب النسق القيمي بأكمله ، فلا يمكن الإخلال بترتيب هذه القيم ، إذ لا يمكن مثلاً أن يتقدم السجود على الركوع ليس فقط لكونهما على ترتيبٍ في الصلاة ، وإنما بحسب ما تحملانه من معنى ، فالركوع يمثل الخضوع وبدوره يبعث على الخشوع ، فلا يمكن تصور الخشوع قبل الخضوع ، فإذا خضع الإنسان خشع قلبه وجميع جوارحه ، كما إن بفقدان أحدهما أو كليهما تختل العبادة وبهذا يختل النسق بأكمله .

ثانياً : قوله تعالى :﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التوبة :112] .

في هذه الآية الكريمة مجموعة من القيم العبادية ، تمثلت في صفات المؤمنين الذين ذكرهم سبحانه وتعالى ، إذ جاء في تفسيرها : (... التوبة من الذنوب ، الدوران في مدار العبادة ، الحمد باللسان ، والسعي بالأرجل ، والركوع والسجود بالأبدان ، وبعد تهذيب النفس ، يبادرون إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح المجتمع ، والتزام دائرة الشرائع الإلهية) [2] .

والقيم في هذه الآية تتلخص فيما يلي :

1- قيمة التوبة .

2- قيمة العبادة .

3- قيمة الحمد .

4- قيمة السعي (السياحة) .

5- قيمة الركوع .

([1]) ينظر : من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 5 / 427 .
([2]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 3 / 483 .

6ـ قيمة السجود .

7ـ قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

8ـ قيمة الحفاظ على حدود الله .

جميع هذه القيم عبادية ، ومجموعها يدل على العبادة الخالصة لله سبحانه وتعالى ، إلا أن المتدبّر في الآية الكريمة يُلاحظ أن هذه القيم التي يحملها المؤمنون كصفاتٍ ثابتة لهم ، جاءت بترتيبٍ منطقي ومقصود ، تدرّج حسب الأولوية والأهمية ، ولم يأتِ اعتباطاً ، فهو كلام الله المعجز في كل شيء ، وللوقوف على أسباب ترتيبها وفق هذا النسق القيمي ، لابد ابتداءً من معرفة معاني هذه القيم الواردة في الآية الكريمة ، وذلك بالرجوع إلى كتب المعاني والتفسير .

فقوله تعالى : ﴿ **التَّائِبُونَ** ﴾ : (الراجعون إلى طاعة الله المنقطعون إليه والنادمون على ما فعلوه من قبيح) [1] ، والتائبون من الذنوب [2] ، والتائبون من التقصير كله [3] ، والتائب : (هو الراجع . والراجع إلى الطاعة هو أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين) [4] ، والتائب هو الذي يصلح نفسه من الشهوة كلما أفسدتها [5] ، ﴿ **الْعَابِدُونَ** ﴾ : (الَّذين عبدوا اللَّه مخلصين له الدين) [6] ، والعابدون : (الذين لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً) [7] ، والعابدون : الذين يخلصون في أعمالهم لله سبحانه وتعالى [8] ، ﴿ **الْحَامِدُونَ** ﴾ : الحامدون الله في الشدة والرخاء [9] ، والحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء [10] ، والحامدون : (العارفون نعم الله عليهم في كل خطوة وطرفة عين) [11] ،﴿ **السَّائِحُونَ** ﴾ : (السائحون

([1]) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 5 / 307 .
([2]) ينظر : التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، 1 / 493 .
([3]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 4 / 106 .
([4]) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : القرطبي ، 8 / 269 .
([5]) ينظر : من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 3 / 333 .
([6]) زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، 3 / 171 .
([7]) التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، 1 / 493 .
([8]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 4 / 106 .
([9]) ينظر : التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، 1 / 493 .
([10]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 4 / 106 .
([11]) تفسير السلمي : السلمي ، 1 / 289 .

الصائمون) [1] ، والسائحون لطلب العلم أو لطلب الرزق [2] ، والسائحون : من حبسوا أنفسهم عن تحقيق مرادها لمرضاة الله [3] ، والسياحة : السير في الأرض إلى الأماكن التي يذكر فيها الله تعالى لعبادته كالمساجد [4] ، ﴿ **الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ** ﴾: المواظبون على الصلوات اليومية [5] ، (والراكع هو الخاضع في قبال الأوامر الإلهيّة . والساجد هو المنتهى في خضوعه وتذلّله وخشوعه) [6] ، والراكعون : (الخاضعون له على الدوام الساجدون الطالبون قربه) [7] ، ﴿ **الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ : (الذين يأمرون بما أمر الله به من الواجبات والمندوبات وينهون عما نهى الله عنه وزهد فيه من القبائح) [8] ، (الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ (أي ينشرون الدعوة إلى اللّه وطاعته ، ويجاهدون كل من يحاول العبث بحق من حقوقه وحقوق عباده) [9] ، ﴿**الْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ** ﴾: (أي : فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع)[10] ، والحافظون لحدود الله : الحافظون لحلاله وحرامه [11] ، الحافظون لحدود الله : بإقامة الأوامر الإلهية من فرائض وشعائر والابتعاد عن النواهي [12] .

يُستفاد من هذه المعاني إن هذه الصفات والخصال التي يحملها المؤمن ، هي عادات وملكات للمؤمن الصادق في إيمانه ، ولما كانت هذه الخصال عادة وملكة خاصة للإنسان [13] ، إذن فهي قيم يحملها الإنسان المؤمن ويحافظ عليها بالاستمرار والمداومة ، فالصفة الثابتة للإنسان تُعبّر عن القيم التي يحملها ، فقد كان رسول الله ﷺ يُلقب بالصادق الأمين ؛ لأنها صفة ثابتة له صلوات الله عليه ، وما تحمله هذه الصفة من قيم كالصدق والأمانة ، وهكذا سائر الصفات الثابتة للمؤمنين ، فالقيم

([1]) التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، 1 / 493 .
([2]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 4 / 106 .
([3]) ينظر : تفسير السلمي : السلمي ، 1 / 289 .
([4]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 9 / 396 .
([5]) ينظر : التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، 1 / 493 .
([6]) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، 4 / 220 .
([7]) تفسير السلمي : السلمي ، 1 / 289 .
([8]) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 5 / 307 .
([9]) التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 4 / 106 .
([10]) زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، 3 / 172 .
([11]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 4 / 106 .
([12]) ينظر : التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، 1 / 920 .
([13]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 3 / 485 .

الواردة في هذه الآية الكريمة هي قيم عبادية جاءت مرتبة وفق نسق إلهي قيمي مقصود ، إذ رُتبت حسب الأولوية والأهمية ، فقد جاءت قيمة التوبة متقدمة على بقية القيم الأخرى ؛ وذلك لكونها تعني الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بإصلاح النفس بعد فسادها بالشهوات [1] ، ثم جاءت بعدها قيمة العبادة ، إذ إن التوبة تُمهد للعبادة ، ثم تأتي قيمة الحمد بعد التوبة والعبادة ، فيحمد الله إذ وفقه للتوبة والعبادة ويحمده في السراء والضراء ، ثم تأتي قيمة السعي أو السير من أجل عبادة الله وذلك بالسير إلى المساجد ، إذ جاء ترتيبها حسب الأولوية والأهمية بعد هذه القيم الثلاث : التوبة ،والعبادة ، والحمد ، وهذه القيم الثلاث تُعبّر عن توالي العبادات لله سبحانه وتعالى ، فناسب مجيء قيمة السياحة إلى المساجد لذكر الله وعبادته بعدها ، وفي هذا يرى صاحب الميزان [2] إن معنى السائحون هو السير إلى مساجد الله وذلك لمناسبة الترتيب ، وحمل المعاني الأخرى مثل الصوم والسير في الأرض للتفكر في خلق الله ، يخالف الترتيب المذكور ويبطله [3] ، ومن ثم تأتي قيمتي الركوع والسجود ، فتقديم الركوع على السجود قد بيّنه البحث في الآية السابقة ، أما وجودهما بهذا الترتيب فهو يدل على أن المسلم بعد أن تاب وعبد الله سبحانه وتعالى وحمده على توفيقه للتوبة والعبادة ، وسار إلى المساجد لذكر الله وعبادته ، كان له أن يواظب على الخضوع لله تعالى والخشوع لطاعته وطلب القرب منه ، إذ إن الركوع والسجود لا يعنيان الصلاة فقط ، فالصلاة تتضمن العبادة لله ولا يُشترط أن يُعبَّر عنها بالركوع والسجود فقط [4] ، ثم تأتي قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا الترتيب في غاية الدقة والروعة ، إذ إن ترتيب القيم السابقة بحسب ما تحمل من معنى تنتهي إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن تاب وعبد الله وحمده وسعى لذكره وواظب على الخضوع والخشوع لله تعالى ، يكون قادراً على أن يأمر بما أراده الله تعالى وينهى عما نهى الله تعالى عنه ، أما فيما يخص قيمة المحافظة على حدود الله فناسب موقعها

([1]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 3 / 485 . ينظر : من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 3 / 333 .

([2]) السيد محمد حسين الطباطبائي : (العلامة الحجة المفسر الكبير ، السيد محمد حسين الطباطبائي (المتوفى عام 1402 هـ) له (الميزان في تفسير القرآن) وهو في عشرين جزءا ، يرى القارئ فيه تطويرا في التفسير وآفاقا مفتوحة أمامه) . مفاهيم القرآن (العدل والإمامة) : الشيخ السبحاني ، 10 / 429 .

([3]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن :السيد محمد الطباطبائي ، 9 / 396 - 397 .

([4]) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن مصطفوي ، 4 / 220 .

بعد كل هذه القيم ؛ لأن بتحقيق كل تلك القيم السابقة تكون المحافظة على حدود الله ، فالنسق في هذه الآية ابتدأ بالتوبة لأنها تُمهد للعبادة ، وجاءت قيمتي الحمد والسياحة بعد العبادة لأنهما تخلقان في النفس استعداداً لقيمتي الركوع والسجود [1] ، ثم تأتي بعد هذه القيم قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولأنهما مسؤولية كبيرة لا تتحقق إلا بتحقيق تلك القيم استعداداً لهذه المسؤولية [2] ، وبتحقيق هذه المسؤولية يكون الحفاظ على حدود الله تعالى التي هي حلاله وحرامه [3] .

هذا من جهة الترتيب وفقاً لأولويتها وأهميتها ، أما من جهة التداخل والانسجام والاتساق بين هذه القيم ، فهي متماسكة ومتداخلة فيما بينها بعلاقة وثيقة ، فلا تنفك عن بعضها البعض إذ إن لكل قيمة من هذه القيم علاقة وثيقة تربطها بالقيم الأخرى، وتحقق أي قيمة من هذه القيم يؤدي إلى تحقق القيم الأخرى ، وبفقدان أية قيمة منها أو إحداث تغيير في ترتيبها فسوف يؤدي خللاً في النسق بأكمله ، ولا يؤدي أية ثمرة من وجوده ، فقيمة عبادة الله لا تتحقق إلا بتحقيق قيمة التوبة له والمداومة عليها ، وعلى حضور المساجد وتحصيل العلم ، وكل هذه القيم لا تكون إلا بتحقيق قيمتي الركوع والسجود ؛ وذلك لما فيهما من خضوع وخشوع والمداومة عليهما ، كما لا تتحقق قيمتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بتحقق القيم السابقة ، ثم بعد ذلك يمكن للمؤمن أن يحقق قيمة حفظ الحدود .

فالعلاقة بين هذه القيم جاءت وفقاً لنسقها ، تهذيب النفس أولاً ثم تهذيب المجتمع [4] ، فالترتيب جاء منفرداً ، توبة وعبادة وسياحة وركوع وسجود ثم وصفهم مجتمعين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم ختم النسق بالقيم في حالة الإفراد والاجتماع بحفظهم لحدود الله [5] ، فالعلاقة بين هذه القيم جاءت في حالتي الإفراد والجمع ، كما إن فقدان أية قيمة من هذه القيم داخل النسق سوف تُحدث خللاً للنسق بأكمله ، وكذلك الحال فيما لو استُبدلت إحدى القيم بأخرى مرادفة لها ، كأن تُستبدل

([1]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 3 / 483 - 484 .
([2]) ينظر : من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 3 / 333 .
([3]) ينظر : التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 4 / 106 .
([4]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 3 /485 .
([5]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن :السيد محمد الطباطبائي ، 9 /396 .

قيمة الحمد بالشُكر ، وإن كانت القيمتان تحملان نفس المعنى ظاهراً ، إلا أن قيمة الحمد تختلف عن قيمة الشُكر في سياق الآية وفقاً للترتيب المذكور ، فقيمة الحمد أعم من الشُكر ، فالشُكر يكون على النعم الخاصة [1] ، وأيضاً لو اختل ترتيب القيم داخل النسق لحدث خللٍ للنسق بأكمله ، كأن تتقدم قيمة السياحة على قيمة التوبة والعبادة ، فهذا لا يناسب الترتيب الذي جاء عليه النسق القيمي ، فكيف بالسياحة إلى أماكن ذكر الله قبل التوبة إليه وعبادته ؟ ! ؛ فالترتيب هنا منطقي ومتدرج بحسب الأولوية ، إذ لا يمكن إحداث أي خللٍ فيه وإن حدث يختل النسق بالكامل ، إذ لا يمكن تصور تقديم قيمة هي بالأساس تعتمد في تحقيقها على سابقتها .

المطلب الثالث : النسق القيمي في المعاملات :

إن حياة الإنسان وعلاقاته مع الآخرين مبنية على المعاملات ، والقرآن الكريم قد بين حدود المعاملة في جميع جوانب حياة الإنسان ، كالجانب الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والقضائي والأخلاقي والعسكري ... وغيرها من الجوانب ، وإن هذه الجوانب تُمثل قيماً يحملها الفرد ، جاء بها القرآن الكريم وفق نسق سماوي مقصود يهدف إلى تنظيم حياة الفرد والمجتمع على حد سواء ، وإن هذه القيم وإن جاءت في بعض آيات القرآن الكريم متفرقة بحسب غرض الآية أو ما تقتضيه ، إلا أن هناك كثيراً من الشواهد القرآنية جاءت فيها القيم متسلسلة وفق نسق قيمي ، يشمل جميع جوانب حياة الإنسان ، من مثال ذلك :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ . وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الأنفال :60- 61] .

تنظم وتعالج هذه الآيات الجانب العسكري من حياة المسلمين ، إذ جاء في تفسيرها : (تدل الآيتان الكريمتان على قاعدتين مهمتين في باب الجهاد : 1- يلزم الإعداد العسكري الكامل بكل ألوانه من دون تخصيص بوقت لمواجهة الكفار وإرهاب قلوب

([1]) ينظر : التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، 1 /922 .

أعداء الله وأعدائكم . والمنفق لشيء في هذا السبيل الذي هو سبيل الله يوفى إليه بشكل كامل ومن دون ظلم . 2ـ متى ما جنح الكفار للسلم والصلح فاجنح بدورك لذلك دون خوف الغدر وكن متوكلاً على الله في ذلك ... فقتال الكفار لازم دائماً غايته إذا جنحوا للصلح بعد الشروع في القتال أو قُبيله فاجنح أنت لذلك أيضاً) [1] .

والقيم الواردة في هاتين الآيتين هي كما يلي :

1ـ قيمة التأهُب والاستعداد .

2ـ قيمة المراقبة .

3ـ قيمة الإنفاق .

4ـ قيمة السلم .

وللوقوف على ترتيب نسقها لابد أولاً من معرفة ما جاء في كتب التفسير من معانيها:

﴿ **وَأَعِدُّوا** ﴾ : (الاستعداد العسكري لمواجهة الأعداء) [2] .

﴿ **رِبَاطِ** ﴾: (بمعنى شد الشيء ، ويرد هذا الاستعمال كثيرا بمعنى ربط الحيوان في مكان ما لرعايته والمحافظة عليه ، وقد جاء هذا اللفظ هنا بما يناسب ذلك بمعنى الحفظ والمراقبة بصورة عامة و (المرابطة) تعني حفظ الحدود ، وتأتي كذلك بمعنى الرقابة على شيء آخر) [3] .

﴿ **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ** ﴾ : الإنفاق هنا عام يشمل الإنفاق بالنفس والمال [4] .

﴿ **جَنَحُوا** ﴾ : مالوا [5] ، ﴿ **اجْنَح**﴾ : (كما جنحوا) [6] .

([1]) دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام : الشيخ باقر الأيرواني ، ط3 ، 1428هـ ، دار الفقه للطباعة والنشر ـ إيران ، 1 / 239 - 240 .
([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 5 / 471 .
([3]) المصدر نفسه ، 5 / 471 .
([4]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 9 / 117 .
([5]) ينظر : المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان : ابن إدريس الحلي ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، ط1 ، 1409هـ ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم ـ إيران ، 1 / 362 .
([6]) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : الشيخ محمد الصادقي ، 12 / 179 .

﴿ **لِلسَّلْمِ** ﴾ : للصلح [1] .

يستفاد من هذه المعاني أن الاستعداد العسكري لا يشمل توفير الأسلحة وحسب، بل كل الإمكانات والطاقات البشرية وغير البشرية ﴿ **مَا اسْتَطَعْتُمْ** ﴾ مثل المراقبة وحفظ الحدود ، وكذلك الإنفاق بشتى أنواعه من مال ونفس ، إلا أنه رغم كل هذا إن كان هناك مجالٌ للصلح ، فالصلح أولى ، فالإسلام دين سلام لا دين قتال ، مع الحذر الشديد أثناء الصلح .

والقيم الواردة في هذه الآية الكريمة رُتبت ترتيباً إلهياً مقصوداً ، فقد جاءت قيمة التأهب والاستعداد العسكري أولاً ؛ وذلك لأهميتها ثم جاءت بعدها قيمة المراقبة وهي نوع من أنواع الاستعداد العسكري ، ثم جاءت قيمة الإنفاق بعدهما ؛ وذلك كون الاستعداد بشتى أنواعه بحاجه إلى الإنفاق من توفير المال اللازم لشراء الأسلحة ودفع مرتبات الجنود المرابطين على الحدود ، فضلاً عن الجهاد بالنفس فهو يعد من أنواع الإنفاق [2] ، ثم تأتي قيمة السلم بعدها ؛ وذلك كون السلم هو شعار الإسلام ، فإذا كان هناك مجالٌ للصلح كان أولى ، مع أن قيمة السلم من القيم المهمة إلا أنها تأخرت هنا وذلك بحسب المقام الذي وردت فيه ، فالذي يدفع العدو إلى الميل للسلم هو رؤيتهم للاستعدادات العسكرية لدى المسلمين مما جعل في قلوبهم الرهبة ، واضطرهم إلى الصلح . هذا من جهة الترتيب حسب الأولوية والأهمية ، أما من جهة التداخل والترابط بين هذه القيم فالعلاقة بينها وثيقة ، فكل قيمة مكملة لما بعدها وسبب لما قبلها ولا يمكن الفصل بينها ، فقيمة الاستعداد العسكري مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقيمة المراقبة ، فلا يمكن الفصل بين هاتين القيمتين ، إذ كيف يكون الاستعداد ما لم يكن هناك من يحفظ الحدود ويراقب تحركات العدو ، كما أن قيمة المراقبة لا تعطي نفعاً من دون قيمة الاستعداد ، فلماذا يكون هناك مرابطة وحفظ للحدود ومراقبة العدو إذا لم يكن الدافع هو التأهب والاستعداد لمواجهة العدو ؟ [3] ، كما أن قيمة الاستعداد والمراقبة لهما علاقة وثيقة بقيمة الإنفاق ؛ إذ الإنفاق يسهم في توفير كل مستلزمات

([1]) ينظر : جوامع الجامع : الشيخ الطبرسي، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، ط1 ، 1418هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران ، 2 / 34 .

([2]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 5 / 477 .

([3]) ينظر : الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : الشيخ محمد الصادقي ، 12 / 178 .

الاستعدادات العسكرية من سلاح وغيره من الأمور التي تساعد على تحقيق الهدف المنشود وهو إرهاب العدو ، أما قيمة السلم فلها علاقة وثيقة بالقيم الأخرى ، فالعدو بعد أن يرى المسلمين لما وصلوا إليه من استعدادات وجهوزية للقتال وأنفقوا في سبيل ذلك المال والأنفس وبذلوا كل ما كان باستطاعتهم لأجل تحقيق ذلك ، زاد رعبهم مما اضطرهم إلى الميل للسلم [1] .

كما أن العلاقة بين هذه القيم من ترتيب وتداخل وترابط وغيره ، يجعل من هذا النسق الذي جاءت عليه نسقاً منطقياً ، بحيث إذا اختلت هذه القيم أو أحداها اختل النسق بأكمله ، فلا يمكن تصور الاستعداد والجهوزية العسكرية ما لم يكن هناك إنفاق عام، فإذا فُقدت قيمة الإنفاق كان هناك قصوراً في الاستعداد ، ويسبب هذا القصور خللاً في المنظومة العسكرية ، بالتالي لا تحصل الفائدة المرجوة من الاستعداد ما لم يُسند بالإنفاق العام في شتى المجالات ، وكذلك الحال بالنسبة لقيمة السلم فإذا فُقدت أدى ذلك إلى خسائر في الأرواح والمعدات ، وإن الاستعداد الكامل للجانب العسكري قدر الاستطاعة بالإنفاق العام ، من شأنه أن يقوي شوكة المسلمين مما يزرع الرعب في قلوب الأعداء فيميلوا إلى الصلح ، وبهذا يتحقق الهدف المنشود من قيمة الاستعداد .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾ [النحل :126] .

تشير هذه الآية الكريمة إلى جانب مهم من حياة المسلمين ألا وهو القصاص في القتال ، ومراعاة العدل في العقوبة ، إذ تكون بمثلها وعدم التجاوز أكثر من ذلك ، إذ جاء في تفسيرها : (هذا هو العدل في القصاص لا زيادة في العقوبة إطلاقا ، ويسوغ النقصان ، بل العفو أقرب للتقوى ، وإليه أشار سبحانه بقوله ﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ وتجدر الإشارة إلى القصاص يسمى عقوبة على الذنب ، أما الاعتداء والابتداء فيسمى ذنبا وجريمة ، ولا يسمى عقوبة ، وجاء التعبير عنه بالعقوبة هنا لمجرد الجناس والمشاكلة في اللفظ) [2] .

([1]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 3 / 327 .
([2]) التفسير المبين : الشيخ محمد جواد مغنية ، ط2 ، 1983م ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، 363.

والقيم الواردة في هذه الآية تتلخص فيما يلي :

1- قيمة العدل في القصاص .

2- قيمة العفو .

3- قيمة الصبر .

ويمكن الوقوف على معاني هذه القيم وذلك بالرجوع إلى تفسير مفرداتها وهي كما يأتي :

﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ** ﴾ : (أي : أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة) [1] .

﴿ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ** ﴾ : (معناه : وإن أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافأة ، فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به ، ولا تزيدوا عليه) [2] ، و(هذا هو العدل في القصاص لا زيادة في العقوبة إطلاقاً) [3] .

﴿ **فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ** ﴾ : (أي بقدر ما تعدوا عليكم ، بلا زيادة ، فإن المظلوم قد يخرج عن الاعتدال ، فينتقم أكثر مما أهين) [4] ، و (المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه) [5] .

﴿ **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ** ﴾ : (عن المعاقبة ، وعفوتم عن جرمهم) [6]،﴿ **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ** ﴾: (إشارة إلى فضل العفو) [7]،(أي ولئن عفوتم لهو خير للعافين) [8] ،(هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك) [9] .

([1]) زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، 3 / 622 .
([2]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 6 / 211 .
([3]) التفسير المبين : الشيخ محمد جواد مغنية ، 363.
([4]) تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 3 / 279 .
([5]) التسهيل لعلوم التنزيل : الغرناطي الكلبي ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، بلا.ط ، بلا.ت ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت - لبنان ، 1 / 439 .
([6]) تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق : ابن عثيمين ، بلا.ط ، 2000م ، مؤسسة الرسالة ، 452 .
([7]) أحكام القرآن : ابن العربي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، بلا.ط ، بلا.ت ، دار الفكر - لبنان ، 3 / 176.
([8]) معالم التنزيل في تفسير القرآن : البغوي ، 3 / 91 .
([9]) التسهيل لعلوم التنزيل : الغرناطي الكلبي ، 1 / 439 .

﴿ **وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ** ﴾ : بمعنى الصبر [1] .

يستفاد من هذه المعاني الواردة في تفسير الآية الكريمة هو العدالة في القصاص ، وأن تكون العقوبة بالمثل دون زيادة ، كما يستفاد أيضاً الصبر عند العفو عن العقوبة وهو أفضل من القصاص ، والقيم في هذه الآية جاءت وفق نسق قيمي مقصود حسب الأولوية والأهمية ، إذ جاءت قيمة العدل في القصاص أولاً ؛ وذلك لكون العدل من القيم العليا والتي تدخل في جميع جوانب حياة الإنسان ، قال تعالى :﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ [النساء :58] .

وقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** ﴾ [النحل :90] ، وغيرها من الآيات الدالة على أهمية العدل ، كما أن العدل يحقق الأمن الاجتماعي وخاصة في مجال القصاص والقضاء .

أما قيمة العفو فقد جاءت بعد القصاص ، لا لأنها أقل أهمية وإنما جاءت بعدها ؛ وذلك كون العقاب يكون رادعاً لمن تسول له نفسه بالاعتداء على الآخرين سواء كان بالقتال أو بغيره ، والذي جاء هنا هو العدل بالمعاقبة والقصاص ، والعفو جاء بعدها كونه من القيم الأخلاقية ويبعث على التسامح وإشاعة السلم ، ومن مميزات النسق القيمي هو مراعاة الفروق الفردية ، ولما كان الناس مختلفين في قابلياتهم ، يمكن لقيمة العفو أن تتحرك وفقاً لذلك ، فمن له القابلية على العفو تتقدم لديه قيمة العفو على قيمة العدل في القصاص ، ويحصل الإنسان في هذا على (الكثير من النتائج الايجابية على مستوى صون كرامته والحصول على حقه ، مما قد لا يحصل عليه مع الرد بالمثل، وقد يفسح المجال لحل المشكلة بطريقة أخرى تفتح القلوب على المحبة وتهيء الساحة لمواقف اللقاء ، وتؤدي ـ في نهاية المطاف ـ إلى التقاء القلوب على الخير والحق والعدل) [2] .

([1]) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : بد الله بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي ، 3 / 245 .

([2]) تفسير من وحي القرآن : السيد محمد حسين فضل الله ، ط2 ، 1419هـ ـ 1998م ، دار الملاك ـ بيروت ـ لبنان ، 13 / 333 .

وقد تتقدم قيمة العدل في القصاص على قيمة العفو ؛ وذلك عندما يتعلق الأمر بصون كرامة المسلمين والدفاع عن الإسلام ، ولكي لا يتبادر إلى أذهان أعداء الإسلام بأن المسلمين جبناء وفي موقف ضعف فيكون القصاص هنا رادع ولكن مع تحقيق العدل فيه لأن دين الإسلام هو دين الإنسانية والعدل في كل شيء ، وفيما يخص قيمة الصبر فمرتبطة بقيمة العفو ، إذ جاءت بعدها وتعني الصبر عند العفو وعدم الأخذ بالقصاص .

هذا من جهة الترتيب أما من جهة التداخل والانسجام والترابط بين هذه القيم، فالعلاقة هنا وثيقة ، إذ لا يمكن لهذه القيم أن تنفك عن بعضها البعض ، فقيمة العدل في القصاص لها علاقة بقيمتي العفو والصبر، وذلك كون القرآن الكريم حينما أقر القصاص بالمثل كقاعدة للمسلمين فإنه يدعو إضافةً إلى ذلك إلى العفو والصبر ، فالمسلمون إذا كانوا قادرين على إيقاف العدوان ، فالعفو والصبر يكونان أكثر فائدة وأعمق أثراً [1] ، كما أن أي خلل يصيب أحد هذه القيم داخل النسق فأنه يؤدي إلى حدوث خلل في النسق بأكمله ، فمثلاً لو فُقدت قيمة العدل في القصاص ، لأقتص كل واحد بما يشفي غليله ، ولا يرضى بالمثل ولا حتى الأقل ، فالمظلوم (قد يخرج عن الاعتدال ، فينتقم أكثر مما أهين ، أرأيت من يكثر السباب لمن سبّه مرة ، أو من أشبهه) [2]، وبدوره يؤدي إلى الفوضى وانعدام الأمان وسلسلة من القتل والثارات التي لا يحمد عقباها ولا تنطفئ نيرانها ، كما لو اختل ترتيب هذا النسق ، فمثلاً لو تقدمت قيمة الصبر على قيمة العدل في القصاص ، لكانت الأولوية للصبر والتحمل وهذا بدوره يؤدي إلى ما يتسرب إلى أذهان العدو ، بأن من صبر وتحمل ما هو إلا ضعيف وجبان ، وهذا يشجع الأعداء على التمادي ولا شيء يردعهم ، بينما النسق الموجود داخل الآية جاء بترتيب من لدن خبير حكيم ، فقد قدم العدل في القصاص على العفو والصبر ؛ وذلك لأن مصلحة المسلمين تقتضي ذلك .

([1]) ينظر : في ظلال القرآن : سيد قطب ، 4 / 2202 .
([2]) تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 3 / 279 .

المبحث الثاني : النسق القيمي الأخلاقي .

وفيه يعرض القرآن الكريم القيم الأخلاقية وترتيبها حسب الأهمية تبعاً للموقف والمقام التي وردت فيه ، يعرض البحث الشواهد القرآنية التي ورد فيها وفقاً للمطالب الآتية :

المطلب الأول : النسق القيمي الفردي :

وفيه يعرض القرآن الكريم النسق الفردي للأخلاق من مثال ذلك :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ . وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ [لقمان : 18 - 19] .

ففي هذه الآية نسق قيمي أخلاقي جاء متمثلاً بالنهي ، فإذا ما تأملنا الآية نجد أن هناك قيماً أخلاقية أكدت عليها قصة لقمان الحكيم لولده ، وهذه القيم قد تمثلت بالنهي عن تصعير الخد للناس ، وعدم المشي مرحاً ، وعدم الاختيال والفخر .

ولكي نقف على القيم الأخلاقية المستوحاة من هذه الآية الكريمة كان لابد ـ ابتداءً ـ من معرفة معاني مفرداتها من خلال ما ورد في كتب التفاسير وكتب معاني المفردات القرآنية .

فمن معاني تصعير الخد هو : (التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم) [1] .

ولا تصعر خدك : الإعراض عن الناس ، هو أن يلوي عنقه مثل عنق الإبل تكبراً ، وهو داء يصيب الإبل ، فيلوي الإنسان عنقه إزدراءاً بالناس ولا داء به [2] ، (ولا تصعر خدك للناس) : (إمالته عن النّظر كبراً) [3] .

([1]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري ، 21 / 90.
([2]) معاني القرآن : النحاس ، تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني ، ط1 ، 1409هـ ، جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية ، 5 / 287 ـ 288 .
([3]) مفردات ألفاظ القرآن : الراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط2 ، 1427هـ ، مطبعة سليمان زادة ـ قم ـ إيران ، 484 .

وتصعير الخد : (بمعنى لوي الوجه أو العنق) [1] ، وورد أن التصعير : (إمالة الوجه أو العنق إلى جانب ، والخدّ : الشقّ المستطيل ، وكأنّ جانبي الأنف مجرى مستطيل لدمع العين ، وهو الظاهر في المرتبة الأولى قبال نظر الناظر) [2] .

ويُفهم من هذه المعاني أن تصعير الخد هو إمالة الوجه عن الناس تكبراً واحتقاراً .

وما جاء في معنى المشي مرحاً : (أي متكبراً متبذخاً) [3] .

والمشي مرحاً : (هو في غير شغل ولغير حاجة) [4] .

ومرحاً : (بطراً وزهواً) [5] .

فمن هذه المعاني نفهم أن المشي مرحاً هو التبطر والزهو .

وأما معنى المختال الفخور فهو (المختال : الذي يمشي متمايلاً منتفخاً بالكبر والزهو ، فخور : الذي يتفاخر بنفسه وقوته وماله) [6] .

والاختيال : (اختيار الخيل وهو حالة مخصوصة في الخارج أو في الذهن ، ومن الحالة المنعقدة : التكبّر والتبختر والعجب ، والفخر : دعوى أمر ممتاز لنفسه في قبال آخرين) [7] .

والخلاصة يُفهم من هذه المعاني أن الاختيال والفخر جاء بمعنى التكبر والعُجب .

ومعنى القصد في المشي : (أي يكون متوسطاً) [8] .

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ : (اعتدل وتوسط في مشيك أو تأنّ بدون اختيال) [9] .

والمُراد من هذه المعاني أن القصد في المشي يعني التوسط والاعتدال .

---

(1) التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ، ط2 ، 2000م ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان ، 4 / 245 .
(2) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، 11 / 69 .
(3) معاني القرآن : النحاس ، 4 / 56 .
(4) التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، 3 / 2027 .
(5) التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ، 4 / 245 .
(6) المصدر نفسه ، 4 / 245 .
(7) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، 11 / 69 .
(8) معاني القرآن : النحاس ، 5 / 288 .
(9) التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ، 4 / 245 .

ومعنى ﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ : (أي أنقص منه) [1] .

﴿ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾: (اخفض صوتك وخففه) [2] .

والمراد منها غض البصر أي التوسط فيه .

فالمعنى من هذه الآيات : (لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا ولا تمش في الأرض مشية من اشتد فرحه إن الله لا يحب كل من تأخذه الخيلاء - وهو التكبر بتخيل الفضيلة - ويكثر من الفخر . وقال بعضهم إن معنى : (لا تصعر خدك للناس) لا تلو عنقك لهم تذللا عند الحاجة وفيه أنه لا يلائمه ذيل الآية ، قوله تعالى : ﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك أن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ القصد في الشيء الاعتدال فيه والغض - على ما ذكره الراغب – النقصان من الطرف والصوت فغض الصوت النقص والقصر فيه ، والمعنى : وخذ بالاعتدال في مشيك وبالنقص والقصر في صوتك أن أنكر الأصوات لصوت الحمير لمبالغتها في رفعه) [3] .

يُستفاد من كل هذه المعاني إن النهي في هذه الآيات جاء عن :

1- تصعير الخد : التكبر والاحتقار .

2- المشي مرحاً : التبطر والزهو .

3- الاختيال والفخر : التكبر والعُجب .

وأمر في هذه الآيات بـ :

1- القصد في المشي : التوسط فيه .

2- غض الصوت : التوسط والاعتدال في شدته .

والحق أن الأخلاق المنهي عنها في الآية الشريفة يقابلها التواضع والقناعة واحترام الناس والوسطية والاعتدال ، وكل هذه القيم أخلاقية فردية جاءت بنسق متسلسل ، إذ

([1]) معاني القرآن : النحاس ، 5 / 289 .
([2]) التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ، 4 / 245 .
([3]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 16 / 219 .

قُدمت قيمة التواضع المتمثلة بالنهي عن التكبر والاحتقار على قيمة القناعة المتمثلة بالنهي عن التبطر والزهو ، وقيمة احترام الناس المتمثلة بعدم التكبر والعُجب على قيمة الوسطية والاعتدال المتمثلة بالنهي عن الإسراف في المشي دون حاجة أو غرض والنهي عن علو الصوت .

فقيمة التواضع تؤدي إلى القناعة واحترام الناس ، والأخير يؤدي إلى الوسطية والاعتدال ، إذ كان سبب تقديم النهي عن تصعير الخد على المشي مرحاً ؛ ذلك لما كان معنى تصعير الخد هو التكبر والاحتقار ، فهاتان الصفتان تنبعان من داخل الإنسان فيظهران على سلوكه الخارجي وهو المشي مرحاً والذي هو بمعنى التبطر والزهو ، كما إن تقديم المشي مرحاً على الاختيال والفخر ؛ ذلك لأن الأخير صفة من صفات المرح [1]، إذ يفسرها قوله تعالى: ﴿.. **إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان : 18] .

ثم أن التأني في المشي قد قُدم على غض الصوت ؛ وذلك لأن من كانت له حاجة عند الناس أول شيء يفعله هو المشي إليها ، فإن تعذر عليه ذلك نادى بصوته للحصول عليها ، فالوسطية في المشي تبعده عن التكبر والعُجب ، كما أن خفض الصوت والاعتدال في شدته يكون أوقر للمتكلم وأكثر تقبلاً في نفس السامع [2] ، وبهذا تكون القيم في هذه الآيات قد رُتبت حسب الأهمية والأولوية ، أما من جهة الترابط والتداخل بين القيم نجد أن كل قيمة في هذه الآيات لها علاقة وثيقة بالقيم الأخرى داخل النسق ، إذ إن كل واحدة من هذه القيم لها علاقة بالقيم السابقة واللاحقة ، فقيمة التواضع لها علاقة بقيمة القناعة والأخيرة لها علاقة بقيمة التواضع وقيمة احترام الناس ، والأخيرة لها علاقة بقيمتي القناعة والوسطية والاعتدال ؛ وذلك كون التواضع سببه القناعة وهي تؤدي إلى التواضع ، كما أن القناعة تؤدي إلى احترام الناس والأخير يؤدي إلى القناعة كما يؤدي إلى الوسطية والاعتدال ، والأخيرة تؤدي إلى احترام الناس .

([1]) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، 11 / 70 .
([2]) ينظر : التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، 3 / 2028 .

ولا يمكن تخيل فقدان أية قيمة من هذه القيم ؛ وذلك لكون فقدان أي منها يؤدي إلى خللٍ داخل النسق ؛ وذلك للترابط الوثيق بينها ، فلو فُقدت قيمة التواضع ، لا يمكن أن يتصور أن تكون هناك قناعة ولا احتراماً للناس ، فالمتواضع دائماً يكون محترماً للناس ، كما أنه لو فُقدت قيمة الوسطية والاعتدال لا يمكن أن يكون هناك احترامٌ للناس ، وبالتالي لا يكون هناك تواضع وهكذا .

فكل قيمة من هذه القيم لها موقعها الخاص بها كما أنها ترتبط وتتماسك وتنسجم مع باقي القيم الأخرى .

والحق فإن المتتبع لتلكم القيم المستلة من النهي عن أضدادها الوارد في الآية الشريفة يلمس أن النهي عن تصعير الخد تقدم على النهي عن المشي مرحاً بلحاظ ، أن تصعير الخد التكبر في أعلى وأشرف جزء من الإنسان وهو الوجه وهو يمثل ـ بذلك ـ الخطوات الأولى لتسرب التكبر لينتقل من هذا الجزء فيعم كل أجزاء الجسم حتى يصبح التكبر صفة عامة للشخص ، كما أن تقدم قيمة القصد في المشي على قيمة غض الصوت بلحاظ أن الاعتدال في المشي إنما صفة تعم سائر البدن ، ومن البديهي بحال أن التواضع بهذا النحو ينتج عنه تواضعاً في جزء البدن ، وهو الصوت ؛ لأن الجزء تابع للكل .

من هنا يتبين لنا بوضوح النسق القرآني الذي تضمن واحتوى تلكم القيم الأخلاقية ، فإنه جاء بقصديه وغرض وما أراده لقمان الحكيم من وصيته لولده ، هو أن هناك مرضاً يفتك بالمجتمع كالمرض النفسي ، وقد شبهه بالمرض الذي يصيب الإبل عندما تلوي أعناقها ، كما شبّه علو الصوت بصوت الحمير ، فالإنسان الذي يحمل هذه الصفات التي نهت عنها هذه الآيات هي صفات حيوانية من لوي العنق وعلو الصوت ، والله سبحانه وتعالى قد كرّم الإنسان وفضله على سائر مخلوقاته ، لذا نهاه عن التصرف كالحيوانات قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ..... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾ [الإسراء :70] ، ففي هذه الآيات نسق قيمي أخلاقي ، فلو سار عليه الفرد المسلم ، كان له أن يتخلص من آفات المرض النفسي الذي له أثر على المجتمع بأسره .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران :159] .

جاء في تفسيرها : (من أبرز صفات القائد ، أي قائد سعة الصدر والقدرة على تحمل الناس ، بما فيهم من سوء خلق ، وتناقض ، وجهل ، وانحراف . وسعة الصدر بدورها لا تأتي للقائد إلا إذا كان هادفاً يحمل في قلبه رسالة عظيمة يستهين من أجلها بالصعوبات التي يلاقيها من قبل الناس، ولذلك ربط القرآن بين لين الرسول ، وبين رحمة الله (المتمثلة في رسالته) ... والقائد يجب أن يربي نفسه على صفة الليونة ، حتى لا تفلت منه كلمة نابية فيجر قومه إلى شر مستطير ... ثم إن القيادة يجب أن تقوم برفع مستوى الناس ، وذلك عن طريق التشاور . ذلك أن التشاور يجعل الناس يتحسسون بمسؤولياتهم ، ويحاولون إصلاح أنفسهم بأنفسهم ... القائد يجب أن يكون صاحب قرار ، ولكن القرار يحتاج إلى قوة إرادية هائلة ، من أين يأتي بها القائد ؟ من التوكل . ذلك أن التوكل على الله (وليس على الناس) يجعل القائد سابقاً لأمته ، رائداً في مسيرتهم) [1] .

أن المتأمل في هذه الآية يلاحظ وجود نسق قيمي أخلاقي فردي ، يجب على كل من يتصدى لأمور الدعوة أو القيادة ، التحلي به والسير على وفقه ، وإن كانت هذه الآية خاصة بالرسول ﷺ ، إلا أنها تنطبق على كل من يتصدى لأمور الدعوة والقيادة على وجه الخصوص ؛ وذلك تأسياً بأخلاق الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب :21] .

والقيم في هذه الآية جاءت كما يلي :

1- الليونة في التعامل .

2- النهي عن الكلام الفظ .

3- النهي عن غلظة القلب .

([1]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 1 / 478 - 479 .

4- العفو .

5- الاستغفار .

6- الشورى .

7- التوكل على الله .

ويمكن الوقوف على معاني هذه القيم وذلك بالرجوع إلى تفسير مفرداتها كالتالي :

الليونة في التعامل : الرأفة [1] .

الفظ : (الخشونة والشراسة في الأخلاق) [2] .

غليظ القلب : (أي قسي القلب) [3] .

وهذه المعاني يقابلها من القيم : الرأفة ، الكلام الحسن ، الرحمة .

قد لا يوجد اختلاف بين هذه القيم من جهة المعنى ظاهراً ، إلا أنه يمكن أن يكون هنالك فارقٌ بينها ، وهو أن كل قيمة من هذه القيم جاءت سبباً لما قبلها ومتممةً لما بعدها ، فقيمة الرأفة سلوك يظهر في أفعال الإنسان وأقواله بالكلام الحسن ، والأخير له علاقة بالقلب ، فمن كان يرأف بالآخرين ويحتملهم ويرفق بهم بالكلام الحسن ، كان ذا قلب رحيم .

إن هذه القيم قد رُتبت في الآية الكريمة حسب الأولوية والأهمية ، فالقائد إذا كان يرفق ويحتمل الآخرين ويرأف بهم بالكلام الحسن ، كان ذا قلب رحيم ، ولكن قد يحدث العكس ، قد يكون خشن الكلام ولكنه طيب القلب [4] ، لذلك فإن ترتيب القيم في هذه الآية جاء بهذا النسق .

([1]) ينظر : تفسير السمرقندي : أبو الليث السمرقندي ، 1 / 285 .
([2]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، 7 / 7 .
([3]) المصدر نفسه ، 7 / 7 .
([4]) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ حسن المصطفوي ، 9 / 114 .

هذا من جهة الترتيب حسب الأولوية والأهمية ، أما من جهة الترابط والانسجام والاتساق بين هذه القيم فلا يحتاج مزيداً من الشرح ، فهي متداخلة تؤدي معنى واحداً وهو الرحمة بالآخرين ، فقيمة الرأفة سلوك يظهر من خلال العمل أو القول ، وقيمة الكلام الحسن قد تترجمه أفعال الإنسان ، فيظهر من خلال رأفته بالآخرين ، فقيمة الكلام الحسن الطيب سبباً للرحمة في القلب ، كما أن (غلظة القلب وقساوته سببٌ للفظاظة ، وقدمها لظهورها في بادئ الأمر ، وإنما أكد عليهما عزوجل لأنه يتبعهما كل صفة ذميمة) [1] .

أما فيما يخص قيمة العفو والاستغفار والشورى والتوكل على الله ، فهي قيم قد رُتبت حسب الأولوية والأهمية شأنها شأن غيرها من القيم السابقة ، فقيمة الاستغفار جاءت متممة لقيمة العفو ، فمن لم يعفُ ويصفح عن الآخرين لا يمكن له الاستغفار لهم ، وكذلك الشورى جاءت متممة للاستغفار فلا يمكن لمن يتصدى لأمور القيادة أن يستشير الآخرين من أتباعه وجماعته ما لم يكن قد عفا عنهم ، فهذه القيم مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطاً وثيقاً بحيث تكون أحداها متممة للأخرى ، كما أن اللين في المعاملة يعني (الصفات التالية : ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾) [2] ، وبهذا يتضح مدى ترابط هذه القيم بعضها ببعض .

وبعد هذه القيم تأتي قيمة التوكل على الله ، قد تكون متأخرة رتبةً في الآية الشريفة ، إلا أنها متقدمة من جهة المنزلة ، فقيمة التوكل على الله ، قيمة إيمانية تحمل صبغة أخلاقية تبين علاقة الإنسان بخالقه ، وقد بين البحث سابقاً أن القيم الإيمانية هي الحاكمة والقيم الإنسانية تابعة لها .

وعليه فإن تلكم القيم الواردة في الآية الشريفة لا يمكن لها أن تُثمر ما لم يسبقها توكل على الله بعد أن يعزم الإنسان عليها (يوصي القرآن الإنسان فيما يتعلق بالأعمال التي يريد القيام بها في المستقبل ، بأن عليه أن لا يعتمد على نفسه اعتماداً تاماً ، وأن لا يرى بأن القيام بذلك العمل قطعي ، بل عليه أن يعزم مع التوكل على الله ، وأن

([1]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، 7 / 7 .
([2]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 1 / 478

يسعى لتنفيذه بنحو جاد ، وعندها سيساعده الله على تحقيقه قال تعالى :﴿ .. فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾)[1] .

فالقيم الأخلاقية الفردية التي وردت في الآية الشريفة جاءت مرتبة حسب الأولوية والأهمية ضمن هذا النسق فضلاً عن التداخل والترابط الوثيق بينها ، بحيث لا يمكن الفصل بينها ولا يمكن استبدال قيمة مكان أخرى ، كما لا يمكن فقدان واحدة منها ما لم يحدث خللاً في نظام النسق ، فلو فُقدت الرحمة واحتل مكانها غلظة القلب لتولد نفور الآخرين وتفرقهم كما بينت الآية الشريفة بقوله تعالى : ﴿ **لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ ، كما لا يمكن للمتصدي بدور القيادة أن يمارس الشورى وهو لم يصفح ويعفو عن الآخرين فكيف يستشيرهم ؟ وهكذا بقية القيم .

المطلب الثاني : النسق القيمي الأسري :

وفيه يعرض القرآن الكريم النسق القيمي الأسري للأخلاق من مثال ذلك :

أولاً : قوله تعالى :﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ** ﴾ [لقمان :14] .

إن القرآن الكريم اهتم بالجانب الأُسري باعتبار إن الأُسرة هي نواة المجتمع ، وبناءها يعني بناء المجتمع من أساسه ، لذا فالنسق القيمي في القرآن يشمل الجانب الأُسري أيضاً ، فالنسق القيمي الأخلاقي في هذه الآية الكريمة جاء متمثلاً في بر الوالدين ـ فهما أساس الأسرة ـ وحق الأُم ـ وهي قلب الأُسرة النابض ـ والشكر لله مقترناً بشكر الوالدين ، جاء في تفسيرها : (ويدل ذلك على أن عقوق الوالدين من أعظم الذنوب أو هو أعظمها بعد الشرك بالله العظيم ، والاعتبار يهدى إلى ذلك فإن المجتمع الإنساني الذي لا يتم للإنسان دونه حياة ولا دين هو أمر وضعي اعتباري لا يحفظه في حدوثه وبقائه إلا حب النسل الذي يتكئ على رابطة الرحمة المتكونة في البيت القائمة بالوالدين من جانب وبالأولاد من جانب آخر ، والأولاد إنما يحتاجون إلى رحمتهما وإحسانهما في زمان تتوق أنفسهما إلى نحو الأولاد بحسب الطبع ،

([1]) الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم : محمد حسين فهيم نيا ، 227 .

وكفى به داعيا ومحرضا لهما إلى الإحسان إليهم بخلاف حاجتهم إلى رأفة الأولاد ورحمتهم فإنها بالطبع يصادف كبرهما ويوم عجزهما عن الاستقلال بالقيام بواجب حياتهما وشباب الأولاد وقوتهم على ما يعنيهم . وجفاء الأولاد للوالدين وعقوقهم لهما يوم حاجتهما إليهم ورجائهما منهم وانتشار ذلك بين النوع يؤدى بالمقابلة إلى بطلان عاطفة التوليد والتربية ، ويدعو ذلك من جهة إلى ترك التناسل وانقطاع النسل ، ومن جهة إلى كراهية تأسيس البيت والتكاهل في تشكيل المجتمع الصغير ، والاستنكاف عن حفظ سمة الأبوة والأمومة ، وينجر إلى تكون طبقة من الذرية الإنسانية لا قرابة بينهم ولا أثر من رابطة الرحم فيهم ، ويتلاشى عندئذ أجزاء المجتمع ، ويتشتت شملهم ، ويتفرق جمعهم ، ويفسد أمرهم فسادا لا يصلحه قانون جار ولا سنة دائرة ، ويرتحل عنهم سعادة الدنيا والآخرة) [1] .

والقيم الواردة في الآية الكريمة جاءت كما يأتي :

1- بر الوالدين .

2- حق الأُم .

3- الشكر لله .

4- الشكر للوالدين .

فمن جهة الترتيب جاءت قيمة بر الوالدين بعد توحيد الله عزوجل في الآية السابقة بقوله تعالى : ﴿... **لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان :13] ، وفي ذلك تأكيد على أهمية حقوق الوالدين والإحسان إليهما وعدم عقوقهما ، فالوالدان هما أساس البيت الأُسري ومن ثم يأتي الأولاد ، أما قيمة حق الأُم فقد ورد في الآية الكريمة بعد الأمر بحقوق الوالدين وخص الأُم بالذكر دون الأب ؛ وذلك تأكيداً لما تبذله من جهد وعناء بفترة الحمل والرضاعة [2] .

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 7 / 374 .
([2]) ينظر : الأخلاق في القرآن الكريم : الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ، 3 / 53 .

ومن ثم تأتي قيمة الشكر لله ، وهذه القيمة هي من القيم الإيمانية التي لها الأولوية في القيم ، إلا أنها جاءت بعد حق الوالدين ؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو من أوجد الوالدين ، ووجود الأبناء كان سببه وجود الوالدين ، فالمسبب الحقيقي لوجود الأبناء في هذا الكون هو الخالق الموجِد ، فالشكر له على هذه النعمة ، ومن ثم جاء الشكر للوالدين مقترناً بشكر الله سبحانه وتعالى ؛ (لأنه الخالق المنشئ وهما السبب في الإنشاء والتربية) [1] .

هذا من جهة الترتيب بين هذه القيم ، أما من جهة الترابط والتداخل والانسجام بين هذه القيم ، فنجد إن قيمة بر الوالدين لها صلة وثيقة بالإيمان بالله سبحانه وتعالى وتوحيده ، فلا يمكن تصور إنسان موحد مؤمن بالله يكون عاقاً لوالديه ؛ لكون عقوق الوالدين من الكبائر التي نهى عنها سبحانه وتعالى ، إذ أمر سبحانه وتعالى بطاعة الوالدين إلا فيما يخص الشرك به ، بقوله تعالى :﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا** ...﴾ [لقمان :15] ، وبهذا تكون إطاعة الوالدين في كل شيء ما عدا الشرك بالله ، يُفهم منها أن البر بالوالدين حتى لو كانا مشركين يجب الإحسان إليهما وطاعتهما فيما عدا الشرك بالله ؛ لكونهما سبب وجوده ولكونهما قاما بتربيته والسهر على راحته حتى سن البلوغ ، وقيمة بر الوالدين لها صلة وثيقة بقيمة حق الأُم ؛ إذ لا ينفكان بأي شكل من الأشكال ، فهما منسجمتان ومرتبطتان ارتباطاً وثيقاً ، فأحد الوالدين هو الأُم ؛وإنما أُفردت بالحق لما تبذله من مشقة في فترة الحمل والرضاعة ، إذ وصفه سبحانه وتعالى بالوهن بقوله :﴿ **وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ** ﴾ [لقمان :14] ، وقد أكدت الروايات على أن حق الأُم أكبر وأكثر أهمية من حق الأب ، (عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أباك) [2] ، وقيمة الشكر لله مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقيمة بر الوالدين وقيمة شكرهما ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الموْجِد للوالدين وهما سبب وجود الأبناء ، فشكره مرتبط بشكرهما وبرهما .

([1]) مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 8 / 81 .
([2]) الكافي : الشيخ الكليني ، 2 / 159 - 160 ، الحديث رقم 9 .

ولا يمكن الفصل بين هذه القيم؛ فلا يمكن تصور الإيمان بالله وتوحيده مع عقوق الوالدين ، ولا شكر لله سبحانه دون شكر الوالدين ، ولا يمكن فصل حق الأُم عن بر الوالدين؛ لأنها أحد الوالدين ولها الأحقية الكبرى في البر والإحسان ، فالفصل بين هذه القيم يُحدث خللاً في هذا النسق القيمي، فمن يبر بأحد الوالدين دون الأخر يكون عاقاً لأحدهما ، ومن ينكر حق الوالدين وعدم شكرهما، فلم يوفِ حق الله وشكره؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أمر بطاعة الوالدين وقرن شكره بشكرهما، (فمن وجهة نظر القرآن يفقد الشكر معناه إذا كان من دون طاعة الأوامر الإلهية) [1] .

وبهذا فالنسق القيمي الأخلاقي في هذه الآية يؤكد على بناء الأسرة من خلال حماية نواتها وأساسها ألا وهم الوالدين ، وأن يلتزم الأبناء بالقيم الأخلاقية تجاه الخالق الموجِد من خلال بر الوالدين وطاعتهما ، فالإيمان بالله سبحانه وتعالى يجب أن يُترجم إلى أفعال من خلال الطاعة والشكر ، فلا جدوى من الشكر دون طاعة .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿... **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ...﴾ [الأنعام :151] . إن من ضمن الوصايا التي تتضمنها هذه الآية الكريمة ، هي وصايا تخص الروابط الأُسرية ، جاءت متسلسلة وفق نسق قيمي مقصود ، الغرض منه بناء الأُسرة بناءاً أخلاقياً سليماً يؤدي إلى تماسك أفرادها ، كونها تُمثل نواة المجتمع ، إذ جاء في تفسيرها : (... أنها رابطة الأُسرة بأجيالها المتلاحقة ـ تقوم بعد الرابطة في الله ووحدة الاتجاه ـ ولقد علِم الله ـ سبحانه ـ أنه أرحم بالناس من الآباء والأبناء . فأوصى الأبناء بالآباء ، وأوصى الآباء بالأبناء وربط الوصية بمعرفة ألوهيته الواحدة والارتباط بربوبيته المتفردة . وقال لهم : أنه هو الذي يكفل لهم الرزق ، فلا يضيق بالتبعات تجاه الوالدين في كبرتهما ولا تجاه الأولاد في ضعفهم ، ولا يخاف الفقر والحاجة فالله يرزقهم جميعاً ... ولما وصاهم الله بالأُسرة وصاهم بالقاعدة التي تقوم

([1]) الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم : محمد حسين فهيم نيا ، 247 .

عليها وهي قاعدة النظافة والطهارة والعفة ... أنه لا بد من طهارة ونظافة وعفة لتقوم الأُسرة وليقوم المجتمع) [1] .

فالقيم الأُسرية الواردة في هذه الآية الكريمة هي كالتالي :

1- الإحسان بالوالدين .

2- النهي عن قتل الأولاد خوفاً من الفقر .

3- النهي من اقتراب الفواحش سراً وعلانية .

فقد جاءت هذه القيم مرتبة حسب الأهمية والأولوية، إذ بدأ بالإحسان إلى الوالدين ؛ وذلك كونهما أساس الأُسرة وعمادها ولكونهما سبب الوجود ، وهما أحد أهم نعم الله علينا ، فقيمة الإحسان بالوالدين هي قيمة البر بالوالدين ، وقد قرن سبحانه وتعالى بر الوالدين بتوحيده وعدم الشرك به ، فهذه القيمة من جهة المرتبة والأهمية تأتي بعد توحيد الله عزوجل مباشرة ؛ لذلك فهي لها الأولوية مقارنةً بالقيم التي تليها ، ثم يأتي بعدها النهي عن قتل الأولاد بما فيه من قطع للنسل خوفاً من الفقر ، أو أن يوازي الأولاد آبائهم في الثروة ، وبين سبحانه وتعالى أنه هو الرازق وقادر على رزقهم وأولادهم ، فالإحسان إلى الوالدين ثم الحفاظ على الأولاد حفظاً للنسل وترابط الأُسرة ومن ثم يأتي بعدها النهي من اقتراب الفواحش سواء كانت الفاحشة سراً أو علانية ؛ وذلك لأن الاقتراب من الفاحشة يساعد من الوقوع فيها (ثم ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ﴾ تأكيد للابتعاد عن الفواحش ألا تقترب إلى مقدماتها التي تجعلك تقترفها ، فالمعاصي حمى الله فمن حام حول الحمى أوشك أن يدخل فيها ، ففي مثل فاحشة الزنا يعني من قرّبها ما يقرّب إليها من مقدمات وملابسات كالتبرج والتهتك والاختلاط المثير والكلمات والإشارات والحركات ... وكل الإغراءات والتزيينات ... ، فإنها كلها مما يقرّب إلى فاحشة الزنا . وهكذا سائر الفواحش العقيدية والأخلاقية والعملية ، فردية وجماعية حيث القرب من مقدماتها يورد المقترّب في أصولها) [2] .

([1]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 3 / 1230 - 1231 .
([2]) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : الشيخ محمد الصادقي ، 10 / 245 .

هذا من جهة الترتيب، أما من جهة الترابط والتداخل بين هذه القيم ، فقد كانت الوصية بالإحسان إلى الوالدين لها علاقة وثيقة بالنهي عن قتل الأولاد خوفاً من الفقر ؛ وذلك لما وصى الأبناء بالآباء ذلك من القيم الأخلاقية العليا للأُسرة وهو واجب الأبناء تجاه الآباء في الكبر ؛ وذلك لما بذلوه من جهد السهر والتربية فضلاً عن كونهما سبب الوجود ، وتأتي بعدها الوصية الأخرى والتي تخص الآباء تجاه الأبناء وذلك بعدم قتلهم خشية الفقر ، فالقيمتان مرتبطتان بالحقوق والواجبات ، فحق الوالدين هو الإحسان إليهما ، وحق الأولاد هو الحياة التي كتبها الله لهم ، وأما الرزق فهو من الله وهو الرازق ، وقيمة الابتعاد عن الفواحش لها علاقة بالقيمتين السابقتين ؛ لأن بالحفاظ عليها يكون الحفاظ على كيان الأُسرة والروابط الأُسرية ، وبالتالي الحفاظ على المجتمع ، فالأُسرة المتكونة من الآباء والأبناء يجب أن تقوم على القيم والأخلاق الحميدة ، والابتعاد عن الفواحش بأنواعها ، ظاهرها وباطنها ، وهو ما يحافظ على كيان الأُسرة من التشتت والضياع (ولما وصاهم الله بالأُسرة ، وصاهم بالقاعدة التي تقوم عليها ، وهي قاعدة الطهارة والنظافة والعفة . فنهاهم عن الفواحش ظاهرها وخافيها .. فهو نهي مرتبط بالوصية السابقة عليها .. وبالوصية الأولى التي تقوم عليها كافة الوصايا) [1].

ولا يمكن لهذه القيم أن تُستبدل بقيمة أخرى أو أن تحتل واحدة مكان أخرى ما لم يحدث خللاً في النسق القيمي، وهذا من حكمته سبحانه وتعالى (وإذا أردنا إثبات ذلك إنما يكون فيما لو تبدّل الإحسان إلى العقوق ، وأثاره الوخيمة على الأفراد والمجتمع التي لا يمكن إنكارها من أحد ، فإنه يورث القسوة في القلوب وانتزاع العاطفة بين الأفراد .. وربما يؤدي إلى انتزاع حنان الأمومة والأبوة من الوالدين، وهو يدعو إلى ترك التناسل وانقطاع النسل وهذا يؤدي إلى فناء النظام الاجتماعي للإنسان، أو ينتهي إلى تأسيس نظام جديد يفتقد فيه مقومات الروابط فيها، فتنتفي القرابة وانهدام رابطة الرحم فيهم، فيتشتت شملهم ويتفرّق جمعهم ويفسد أمرهم) [2]، ولو فُقدت قيمة النهي عن اقتراب الفواحش ، لكان من السهل الوقوع فيها ، وبدوره يؤدي إلى هدم

([1]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 3 / 1230 - 1231 .
([2]) مواهب الرحمن في تفسير القرآن : السيد عبد الأعلى السبزواري ، 14 / 450 .

الأُسرة وتفككها ، وعليه فالقيم الأُسرية الواردة في هذه الآية تُكمل بعضها البعض ولها علاقة وثيقة ببعضها ، وقد رُتبت حسب الأولوية والأهمية لما فيه مصلحة الإنسان والأُسرة وبالتالي مصلحة المجتمع .

المطلب الثالث : النسق القيمي الاجتماعي :

وفيه يعرض القرآن الكريم النسق القيمي الاجتماعي للأخلاق ، ومن مثاله :

أولاً : قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات :12] .

في هذه الآية الكريمة بيّن القرآن الكريم بعض الأخلاق المنهي عنها ، من أجل بناء مجتمع آمن يمكن العيش فيه بسلام ، وفق نسق قيمي مقصود ، إذ جاء في تفسيرها (والغيبة تفسد أجزاء المجتمع واحداً بعد واحد فتسقطها عن صلاحية التأثير الصالح المرجو من الاجتماع وهو أن يخالط كل صاحبه ويمازجه في أمن وسلامة بأن يعرفه إنساناً عدلاً سوياً يأنس به ولا يكرهه ولا يستقذره ، وأما إذا عرفه بما يكرهه ويعيبه به انقطع عنه بمقدار ذلك وضعفت رابطة الاجتماع فهي كالآكلة التي تأكل جثمان من ابتلي بها عضواً بعد عضو حتى تنتهي إلى بطلان الحياة . والإنسان إنما يعقد المجتمع ليعيش فيه بهوية اجتماعية أعني بمنزلة اجتماعية صالحة لأن يخالطه ويمازج فيفيد ويستفاد منه ، وغيبته بذكر عيبه لغيره تسقطه عن هذه المنزلة وتبطل منه هذه الهوية ، وفيه تنقيص واحد من عدد المجتمع الصالح ولا يزال ينتقص بشيوع الغيبة حتى يأتي على آخره فيتبدل الصلاح فساداً ويذهب الأنس والأمن والاعتماد وينقلب الدواء داء) [1] .

فالأخلاق المنهي عنها في هذه الآية تتلخص فيما يلي :

1- اجتناب الظن .

2- النهي عن التجسس .

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 18 / 323 - 324 .

3- النهي عن الغيبة .

ولهذه الأخلاق المنهي عنها في هذه الآية أضداداً من القيم الحميدة ، إذ يقابلها من القيم حُسن الظن أو الثقة ، عدم التجسس أو احترام خصوصية الآخرين ، الذِكر الحَسِن للآخرين .

فالمفاهيم القيمية الواردة في الآية الكريمة جاءت مرتبة ومنسجمة مع بعضها البعض حسب الأولوية والأهمية، وفق نسق قيمي أخلاقي يهدف إلى تحقيق الأمن الاجتماعي لغرض العيش بسلام ، فجاءت قيمة حُسن الظن أو اجتناب الظن في المرتبة الأولى ، ثم جاء بعدها النهي عن التجسس ؛ إذ أن سوء الظن يؤدي إلى التجسس (فهو السبب في أن يتحرك الإنسان للكشف عن الناس وأمورهم الخفية) [1] ، فقد جاء الأخير ثانياً بحسب الأولوية والأهمية ومن ثم يأتي النهي عن الغيبة ثالثاً وفق النسق القيمي للآية الكريمة ؛ وذلك كون التجسس يؤدي إلى الغيبة .

وبهذا الترتيب وفق هذا النسق ، بأن يكون اجتناب الظن أولاً والنهي عن التجسس ثانياً والنهي عن الغيبة ثالثاً ، فهذه المفاهيم الأخلاقية الثلاثة ، جاءت مرتبة ترتيباً مقصوداً ، إذ جاء النهي عن الأول لعدم الوقوع في الثاني وهو التجسس ، وجاء النهي عن الثاني ؛ وذلك لعدم الوقوع في الثالث وهو الغيبة ، إذ إن سوء الظن يبعث إلى التجسس على الآخرين وعدم احترام خصوصياتهم ، والتجسس بدوره يبعث إلى كشف أسرار الآخرين مما يؤدي إلى الغيبة [2] .

هذا من جهة الترتيب حسب الأولوية والأهمية ، أما من جهة الترابط والانسجام والتداخل ، فهذه المفاهيم القيمية جاءت مترابطة ومتداخلة ، إذ إن كل واحدة منها تكمل الأخرى ، فيكون الترابط بينها وثيق كونها منسجمة مع بعضها البعض ، ولأن كل واحدة منها تكون مقدمة للأخرى فباجتناب الظن يكون الابتعاد عن التجسس ، إذ إن سوء الظن مقدمة للتجسس ، وبالابتعاد عن التجسس يكون الابتعاد عن الغيبة ، إذ إن التجسس مقدمة للغيبة ، وهو أحد أهم الأسباب التي تُوقع الإنسان فيها ، فالترابط

([1]) الأخلاق في القرآن : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، ط2 ، 1426هـ ، مطبعة سليمان زادة ـ قم ـ إيران ، 3 / 309 .

([2]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 16/ 550 .

بين هذه القيم وثيق لدرجة أنه لو فُقد أحدها لأختل النسق ولم يؤدِ دوره بالشكل الذي أراده الله سبحانه وتعالى ، وهو إقامة مجتمع آمن ينعم بالسكينة والطمأنينة ، فلو فُقدت قيمة النهي عن الغيبة ، لكان الوقوع فيها أسهل وأسرع ، وما يترتب عليها من آثار تفتك بالمجتمع من حقد وكراهية ، وكذلك لو تحرك ترتيب هذه القيم داخل النسق بحيث لو أصبحت قيمة الابتعاد عن الغيبة في المرتبة الأولى ، فلا تحصل أي فائدة من هذا الترتيب ، إذ أن هذا لا يمنع من الوقوع في سوء الظن والتجسس ؛ لأن الغيبة قد لا تكون مقدمة لسوء الظن وإنما سوء الظن والتجسس هما الباعثان إلى الغيبة ، وبالتالي لا تحصل الفائدة .

فالمراد من هذه الآية إنما يتحقق كما هي عليه من نسق قيمي ، فأمن المجتمع وسلامته لا يتحقق إلا باجتناب الظن ، لأن سوء الظن بالآخرين يُحرك نفس الإنسان إلى التجسس ، للحصول على كشف أسرار الناس من خلال الغيبة ، والغيبة مرض يفتك بالمجتمع ، إذ له آثار سلبية كثيرة ، فالمُستغاب قد تسقط قيمته بين الناس بسبب كلام باطل قد قيل بحقه أو بسبب كشف أسراره ، مما يؤدي إلى حقده على الآخرين فضلاً عن الآثار المترتبة عن هذا الحقد ، والذي قد يولد الاقتتال الذي قد يطول إلى أجيال متعاقبة ، وغيرها من الآثار الأخرى التي تؤدي إلى انعدام أمن المجتمع وسلامته [1] .

فسوء الظن والتجسس مُقدمات للغيبة ، فأثمها أكبر من سوء الظن والتجسس ، لذلك شبه سبحانه وتعالى المُستغيب بأكل لحم أخيه الميت ، وذلك بقوله : ﴿ **أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ** ﴾، وهذا التشبيه من أروع صور التشابيه ، لما فيه من حرمة الغيبة وتحذير الناس منها لما فيها من المساس بكرامة الآخرين ، والتي هي أهم ما يملك الإنسان بل (قد يضحي الإنسان بجسده في سبيل كرامته) [2] ، وعليه فالقيم في هذه الآية الكريمة جاءت وفق نسق قيمي أخلاقي اجتماعي مقصود له هدف وغاية .

([1]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 16/ 555 .
([2]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 9/ 341 .

ثانياً : قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل :90] .

يبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة الأسس والمبادئ العامة التي من شأنها إصلاح المجتمع ، إذ تضمنت قيماً أخلاقية تخص الفرد والمجتمع على حدٍ سواء ، جاء في تفسيرها : (ابتدأ سبحانه بهذه الأحكام الثلاثة التي هي بالترتيب أهم ما يقوم به صلب المجتمع الإنساني لما أن صلاح المجتمع العام أهم ما يبتغيه الإسلام في تعاليمه المصلحة فان أهم الأشياء عند الإنسان في نظر الطبيعة وان كان هو نفسه الفردية لكن سعادة الشخص مبنية على صلاح الظرف الاجتماعي الذي يعيش هو فيه وما أصعب أن يفلح فرد في مجتمع فاسد أحاط به الشقاء من كل جانب) [1] ، ولذلك (فإحياء الأصول الثلاثة (العدل ، والإحسان ، وإيتاء ذي القربى (، ومكافحة الانحرافات الثلاث (الفحشاء والمنكر ، والبغي) على صعيد العالم كفيل بأن يجعل الدنيا عامرة بالخير ، وهادئة من كل اضطراب ، وخالية من أي سوء وفساد) [2] .

والقيم الواردة في هذه الآية جاءت متسلسلة وفق نسق قيمي إلهي مقصود ، يهدف إلى تحقيق المبادئ الأساس لبناء المجتمع الإسلامي الصحيح ، وغايته تحقيق الصالح العام للمجتمع والعيش بسلام ، وهذه القيم جاءت كما يلي :

1- العدل .

2- الإحسان .

3- إيتاء ذي القربى .

4- النهي عن الفحشاء والمنكر .

5- النهي عن البغي .

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 12 / 330 .
([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 8/ 304 .

وللوقوف على نسقها القيمي لابد ابتداءً من الوقوف على معانيها ، فالعدل : هو المساواة [1]، وتجنب الإفراط بالعقائد والسلوك [2] ، الإحسان : (أن يقابل الخير بأكثر منه والشر بأقل منه) [3] ، والإحسان : (التنازل عن بعض الحقوق للآخرين) [4] ، ومعنى إيتاء ذي القربى : (إعطاء المال لذوي القرابة) [5] ، الفحشاء : (ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال) [6] ، والفحشاء : (إشارة إلى الذنوب الخفية) [7] ، والفحشاء : (تجاوز الحد الذي يتناسب مع الإسراف والتبذير) [8] ، المنكر : (ما أنكره العقل والفطرة والشرع ونهوا عنه) [9] ، والمنكر : (إشارة إلى الذنوب العلنية) [10] ، البغي : (شارة إلى كل تجاوز عن حق الإنسان ، وظلم الآخرين والاستعلاء عليهم) [11] .

من ملاحظة هذه المعاني الواردة في كتب التفاسير يُستفاد منها أن العدل هو المساواة في كل شيء دون إفراطٍ وتفريط ، والإحسان يراد به مساعدة الآخرين ، وذلك بالتنازل عن شيءٍ من الحقوق ، ويراد من إيتاء ذي القربى الإنفاق على المحتاجين من الأقرباء .

أما الفحشاء فيراد بها ما زاد عن الحد من الذنوب لدرجة الإسراف ، إذ يقال عن الرجل الغني إذا ازداد مالاً فاحش الثراء ، فالفحش هنا يعني الزيادة في الذنوب ، ويراد من المنكر كل ما هو منهي عنه من قبائح الأعمال ، والذي ينكره العقل ومرفوض من الفطرة والشرع ، أما البغي فيراد به الاستعلاء على الناس والتجاوز على حقوقهم ظلماً .

([1]) ينظر : الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : الشيخ محمد الصادقي ، 16/ 302 . تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 4 / 551 .
([2]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 4 / 551 .
([3]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 12 / 330 - 331 .
([4]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 4 / 363 .
([5]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 12 / 332 .
([6]) المصدر نفسه ، 12 / 333 .
([7]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، 8/ 303 .
([8]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 4 / 363 .
([9]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 4 / 552 .
([10]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، 8/ 303 .
([11]) المصدر نفسه ، 8/ 303 .

إن نسق القيم هنا جاء بترتيب حسب الأولوية والأهمية، إذ ابتدأ بقيمة العدل فهي (أولى المبادئ التي دعا إليها الأنبياء (عليهم السلام) في نظام التشريع) [1]، ولكون العدل (هو القانون الذي تدور حول محوره جميع أنظمة الوجود،وحتى السماوات والأرض فهي قائمة على أساس العدل بالعدل قامت السماوات والأرض) [2] ، وتأتي قيمة الإحسان ثانياً بعد قيمة العدل ؛ وذلك لكون الإحسان (يُلطف من حدة العدل الصارم الجازم ، ويدع الباب مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه إيثاراً لود القلوب وشفاءً لعلل الصدور) [3] ، وبعد الإحسان تأتي قيمة إيتاء ذي القربى ؛ لأنها تابعة للإحسان وأحد أفراده [4] .

أما العلاقة بين هذه القيم الثلاث فهي علاقة وثيقة ، إذ لا تنفك بينها ولا يمكن دراسة أحداها بعيداً عن الأخرى ، فكل واحدة من هذه القيم مرتبطة ومنسجمة مع غيرها ، فالضرورة تقتضي (وجود كل من العدل والإحسان جنباً إلى جنب ولولا ذلك لأصبحت القوانين جافة لا تألفها القلوب ، فالعدل هو المقدار الواجب ، أما الإحسان فهو المقدار المستحب) [5] ، لما كان المراد من العدل في الآية هو العدل الاجتماعي وهو معاملة كل فرد من المجتمع حسب استحقاقه وموضعه الذي يجب أن يوضع فيه [6] ، في مقابل هذا هناك في المجتمع فئات عاجزون عن العمل وليس بوسعهم تأدية دورهم في المجتمع ، ولا حتى توفير أبسط متطلبات حياتهم ، فبالعدل وحده لا يمكن شمول هذه الفئة من الناس وبالتالي حرمانهم ، فوجود الإحسان إلى جانب العدل ضرورة لسد النقص والعوز المادي لهؤلاء الأفراد [7] ، وإيتاء ذي القربى له علاقة وثيقة بالإحسان ويندرج ضمنه ويُعد من فروعه ، فالمجتمع يتكون من مجموعات صغيرة ، ولو إن كل مجموعة قدمت العون للمحتاجين والمتضررين من أقربائها لعم

([1]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 4 / 552 .
([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، 8/ 299 - 300 .
([3]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 4 / 2190 .
([4]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 12 / 333 .
([5]) تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 4 / 552 .
([6]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 12 / 331 .
([7]) ينظر : الأخلاق في القرآن الكريم : الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ، 3 / 38 - 39 .

هذا الإحسان جميع المحتاجين والمتضررين في المجتمع بأكمله ؛ وذلك لاهتمام ورعاية المتمكنين من الأقارب [1] .

من هنا يلاحظ الترابط الوثيق بين هذه القيم الثلاث داخل النسق ، ولو فُقدت واحدة منها لاختل النسق ، فلو اقتصرت الآية على الإحسان (فسوف تضعف دواعي النشاط والمساهمة في الحياة الاجتماعية ، فلو انتفع كل شخص من المجتمع بمقدار يزيد على حقه وفق درجة إفادته للآخرين وعمله للمجتمع لم يبقَ لديه دافع قوي للمساهمة والنشاط في الحياة الاجتماعية ، ولا يشعر بالحاجة إلى العمل والسعي ، بل سيقيم الكثير حياتهم على أساس من الرفاهية والراحة وينتفعون من جهود الآخرين ويختل النظام الاجتماعي ، كما إذا كان الاستناد على العدل فقط ، إذ سيبقى العاجزون عن العمل محرومين دائماً ويفقدون كل شيء) [2] .

وبعد هذه القيم الثلاث تأتي قيمة النهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وتقدمت قيم العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وذلك لأن تحقيقها يؤدي إلى تحقيق القيم الأخرى ، فبإقامة العدل والإحسان إلى الأقرباء المحتاجين يكون لزاماً ترك الفحشاء والمنكر وعدم التطاول والتعدي على الآخرين المتمثل بالبغي ، فلا يمكن ترك هذه الثلاث ما لم تُطبق القيم الثلاث الأولى ، أما ترتيب قيمة النهي عن الفحشاء والنهي عن المنكر والبغي جاء في النسق بهذا الترتيب ، إذ تقدم النهي عن الفحشاء على النهي عن المنكر ؛ وذلك كون الفحشاء في الذنوب المخفية والمنكر في الذنوب العلنية ، ومن البديهي والمعلوم أن من يتخلص من الذنوب السرية قطعاً لا يفعل العلنية ، فمن يتجاوز الحد بالإسراف في الذنوب سراً لا يمنعه هذا من ارتكاب قبائح الأعمال علناً ؛ لأن الإسراف في الذنوب يبعث إلى ارتكاب المنكرات ، ثم جاءت قيمة النهي عن البغي ، وذلك كونه أعلى درجة من الفحشاء والمنكر ، إذ به التعدي على حقوق الآخرين ، فالذي يترك الفحشاء ولا يفعل المنكرات لا يتعدى على حقوق الآخرين ، وإن وقوع الأعمال من فحشاء وعمل منكر وتطاول على الآخرين ظلماً بالبغي في أي مجتمع يؤدي إلى ظهور (الفصل الفاحش بين الأعمال المجتمعة فيه

([1]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، 8/ 302 .
([2]) الأخلاق في القرآن الكريم : الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي ، 3 / 39 - 40.

الصادرة من أهله فينقطع بعضها من بعض ويبطل الالتيام بينها ويفسد بذلك النظم وينحل المجتمع ... فالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي أمر بحسب المعنى باتحاد مجتمع تتعارف أجزاؤه وتتلاءم أعماله لا يستعلى بعضهم على بعض بغيا ولا يشاهد بعضهم من بعض إلا الجميل الذي يعرفونه لا فحشاء ولا منكرا وعند ذلك تستقر عليهم الرحمة والمحبة والألفة وترتكز فيهم القوة والشدة وتهجرهم السخطة والعداوة والنفرة وكل خصلة سيئة تؤدى إلى التفرق والتهلكة) [1] .

كما إن العلاقة بين هذه الثلاث المنهي عنها في الآية الكريمة علاقة وثيقة ، وفقدان واحدة منها يُحدث خللاً داخل النسق القيمي للآية ، مما يؤدي إلى خللٍ في نظام المجتمع ، فعلى سبيل المثال لو فُقدت قيمة النهي عن الفحشاء وهي فعل الذنوب في الخفاء وبقيت قيمة النهي عن المنكر والبغي ، يُفهم أن النهي عن فعل القبائح علناً وعدم التجاوز على الآخرين ولا يمنع من فعل الفحشاء سراً ، ومن المعلوم أن فعل الفحشاء سراً يبعث بمرور الوقت إلى فعل المنكرات ، وفعل المنكرات يؤدي إلى البغي .

وعليه فالنسق القيمي في هذه الآية جاء بترتيب منطقي مقصود يهدف إلى تحقيق الأسس والمبادئ العامة لبناء المجتمع .

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 12 / 333 .

المبحث الثالث : الآثار الايجابية والسلبية في حال التمسك بالنسق القيمي أو العزوف عنه .

بعد أن بين البحث ما هو المراد من النسق القيمي وما هي المعايير والضوابط التي استند إليها في استخراجه من القرآن الكريم ، وبين أهم خصائصه وفوائده ثم بين المستويات التي عالجها ، يتناول في هذا المبحث الآثار المترتبة في حال التمسك به أو العزوف عنه ، وذلك لكون هذا النسق مُلزم لصدوره من جهة عليا ، وهذه الآثار أما تكون إيجابية في حال التمسك بالنسق أو سلبية في حال التخلي عنه ، والآثار التكوينية التي يُحدثها النسق القيمي في حياة الإنسان ، تكون أما دنيوية أو آخروية ، يمكن توضيحها بالمطالب الآتية :

المطلب الأول : الآثار الإيجابية للتمسك بالنسق القيمي :

للتمسك بالنسق القيمي آثار إيجابية دنيوية وآخروية تعود على الإنسان ، فالفائدة المرجوة من هذا النسق لا تأتي ولا تحصل إلا في حال التمسك به ، والأثر التكويني المترتب في حال التمسك بالقيم في نسقها الذي جاءت عليه ، يكون بحسب ما تقتضيه الآية من مقام والسياق الذي وردت فيه ، والشواهد القرآنية في هذا كثيرة ، يقتصر المطلب على ذكر بعض الشواهد وفق الآتي :

أولاً : الآثار الدنيوية :

إن القيم الواردة في القرآن الكريم والتي جاءت مرتبة وفق نسق قيمي سماوي ، لها آثار تكوينية إيجابية في حال التمسك بهذا النسق القيمي ، ففي قوله تعالى : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ...**﴾ [النور :55] ، جاءت القيم وفق نسق إلهي مقصود الغرض منه هو استخلاف الإنسان المؤمن للأرض ، وعبادة الله وتوحيده ، إذ جاء في تفسيرها : (ذلك وعد الله للذين أمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يستخلفهم في الأرض ، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وان

يبدلهم من بعد خوفهم أمناً .. ذلك وعد الله ، ووعد الله حق ، ووعد الله واقع ، ولن يخلف الله وعده) [1] .

فالقيم الواردة في هذه الآية هي كالتالي :

1- قيمة الإيمان ، في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا** ﴾.

2- قيمة العمل الصالح ، في قوله تعالى : ﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ .

3- قيمة التوحيد ، في قوله تعالى :﴿ **يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾ .

إن هذه القيم الثلاث قد رُتبت حسب الأولوية والأهمية ، فقيمتا الإيمان والعمل الصالح يحققان قيمة التوحيد ، فالأثر الذي يتركه الإيمان والعمل والصالح هو استخلاف الأرض وتحقيق الأمن ، لكي يُعبد الله ولا يُشرك به شيئاً ، فالمجتمع الآمن يعبد الله ولا يعبد رب غيره [2] .

إن تحقيق قيمتي الإيمان والعمل الصالح ينتج عنه آثار :

1- الاستخلاف للأرض .

2- الأمن والسلام .

3- التمكين من نشر تعاليم الإسلام وتوحيد الله تعالى .

كل هذه الآثار هي وعد من الله تعالى لمن آمن وعمل صالحاً ، (فالوعد عام يشمل كل مؤمن عامل بالصالحات) [3] ، ولا يمكن الفصل بين الإيمان والعمل الصالح ، (فالإيمان بمثابة جذر شجرة والعمل الصالح ثمرتها . ووجود الثمر السليم دليل على سلامة الجذر . ووجود الجذر السليم يؤدي إلى نمو الثمر الطيب . من الممكن أن يصدر عمل صالح أحيانا عن أفراد ليس لهم إيمان ، ولكن ذلك لا يحدث باستمرار حتما . فالذي يضمن بقاء العمل الصالح هو الإيمان المتغلغل في أعماق وجود

([1]) في ظلال القرآن : سيد قطب ، 4 / 2528 .
([2]) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 15 / 153 .
([3]) تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 3 / 719 .

الإنسان ، الإيمان الذي يضع الإنسان دوما أمام مسؤولياته) [1] ، فالمؤمنون الذين أمنوا وعملوا الصالحات يبشرهم الله (بثلاث بشائر :

1 - استخلافهم وحكومتهم في الأرض .

2 - نشر تعاليم الحق بشكل جذري وفي كل مكان كما يستفاد من كلمة (تمكين) .

3 - انعدام جميع عوامل الخوف والاضطراب .

وينتج من كل هذا أن يعبد الله بكل حرية ، وتطبق تعاليمه ولا يشرك به ، ويتم نشر عقيدة التوحيد في كل مكان) [2] .

من هنا يتبين أن الإيمان والعمل الصالح هما شرطان أساسان في تحقيق الاستخلاف والأمن ، فهما بمثابة المفتاح الذي يوصل إلى الحكم واستحقاقه [3] ، لذا لا يمكن الفصل بينهما وإن أي خلل يصيب أحد هاتين القيمتين سوف يغير الأثر المترتب عنهما ، وذلك لعدم تحقق الشروط المطلوبة ، كما أن قيمة التوحيد وعدم الشرك بالله هي القيمة الأساس وسببٌ للاستخلاف ، إذ جاء في زبدة التفاسير : (كأنّ قائلا قال : ما لهم يستخلفون ويؤمنون ؟ فقال : ﴿ لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ حال من الواو في « يعبدونني » أي : غير مشركين) [4] .

والآيات التي ورد فيها ذكر الإيمان مرتبطاً بالعمل الصالح كثيرة ، وفي كل آية من هذه الآيات نجد أن ارتباط قيمة الإيمان بقيمة العمل الصالح لها أثر تكويني ناتج عن هذا الارتباط ، ففي قوله تعالى : ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً** ﴾ [النحل : 97] ، فالأثر التكويني الناتج من هذا الارتباط في هذه الآية هو الأجر المترتب عليه [5] ، إذ جاء في تفسيرها : (... أكدت الآية على ارتباط قيمة العمل الصالح بالإيمان بالله ، لأن هذا الارتباط بالله يخرج العمل عن بعده الذاتي الخاص بشخص معين ، ويجعل منه تجلياً عملياً لحقيقة ذاك الارتباط ، على أساس

([1]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 1 / 131 .
([2]) المصدر نفسه ، 11 / 149 .
([3]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 6 / 186 .
([4]) زبدة التفاسير : الملا فتح الله الكاشاني ، 4 / 531 .
([5]) ينظر : من وحي القرآن : السيد محمد حسين فضل الله ، 13 / 294 .

حاجة الحياة إليه ، لا على أساس حاجة العامل إلى نتائجه المادية ، حتى أن الإنسان قد يقوم بالعمل الصالح على خلاف رغبته الخاصة ، انطلاقاً من محبة الله للعمل ، لأن الإيمان يجعله يفضل ما يحبه الله على ما تحبه نفسه) [1] ، ويلاحظ في هذه الآية أن قيمة العمل الصالح قد تقدمت على قيمة الإيمان بالله ، وهذا لا يعني أن الإيمان بالله جاء متأخراً على العكس ، وإنما فيها إشارة إلى أن العمل الصالح ما هو إلا نتاج الإيمان بالله ، فالإيمان بالله هو عملٌ في القلب ، وهو واقعٌ متقدم على العمل الخارجي [2] .

يتبين من هنا أن الارتباط بين هاتين القيمتين لازم لحصول الأثر التكويني ، وأن الفصل بينهما لا ينتج ذلك الأثر ، ويبدو للبحث من خلال تفسير هاتين الآيتين ، وبحسب ترتيب السور في القرآن الكريم ، أن الحياة الطيبة التي وعد الله سبحانه وتعالى بها ، لها علاقة بالاستخلاف والأمن والتمكين الذي ورد في الآية السابقة ، ففي هذه الآية وهي بحسب ترتيب السور تسبق الآية [55 من سورة النور] ، إذ جاء في تفسير الأخيرة أن الأثر المترتب على الإيمان بالله والعمل الصالح هو استخلافهم للأرض وتمكينهم واستبدال خوفهم أمناً ، هذا إن كان الوعد عاماً لكل من أمن وعمل صالحاً [3]، إذ اختلف المفسرون في تحديد من هم الذين سيخلفون [4].

وقيمتا الإيمان بالله والعمل الصالح ، كما لهما أثر إيجابي دنيوي لهما أيضاً أثر إيجابي آخروي ، يتطرق إليه البحث لاحقاً .

ومن الآيات التي جاء الالتزام بنسقها القيمي بأثر إيجابي دنيوي قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ . تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .. وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الصف :10 - 13] ، إذ جاء في تفسيرها : (فبأنفسهم يؤمنون بالله ورسوله ثانياً ، ويفتدون بها في سبيل الله

([1]) من وحي القرآن : السيد محمد حسين فضل الله ، 13 / 293- 294 .
([2]) ينظر : الأخلاق الإسلامية في القرآن الكريم دراسة في الأسس والمفاهيم : محمد حسين فهيم نيا ، 173.
([3]) ينظر : تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 3 / 719 .
([4]) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 11 / 150 .

مجاهدين، وبأموالهم كذلك يجاهدون صرفاً لها في سبيل الله ولكي تصبح حياتهم المؤمنة كلها قنطرة وسبيلاً لله دون أن يكون لغير الله فيها نصيب) [1] .

فالقيم الواردة في هذه الآية هي :

1- قيمة الإيمان بالله ، في قوله تعالى : ﴿ **تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾.

2- قيمة الإيمان بالرسول، في قوله تعالى :﴿ **وَرَسُولِهِ** ﴾ .

3- قيمة الجهاد في سبيل الله ، في قوله تعالى : ﴿ **وَتُجَاهِدُونَ** ﴾ .

4- قيمة الجهاد بالأموال ، في قوله تعالى : ﴿ **بِأَمْوَالِكُمْ** ﴾ .

5- قيمة الجهاد بالنفس، في قوله تعالى : ﴿ **وَأَنْفُسِكُمْ** ﴾ .

فقد جاءت قيمة الإيمان بالله مقترنةً بقيمة الإيمان بالرسول ، كما اقترنت قيمة الجهاد بالمال مع قيمة الجهاد بالنفس في سبيل الله ، فالإيمان كلما كان أعمق نتج عنه أثر مهم ، والإيمان الكامل هو المطلوب هنا ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.. . تُؤْمِنُونَ ... وَتُجَاهِدُونَ ﴾ ، فقيمة الإيمان هنا متقدمة على قيمة العمل ﴿ تُؤْمِنُونَ ... وَتُجَاهِدُونَ ﴾، فقد جاء الترتيب في توجيه الأوامر منطقياً ، فقد بدء بالسهل ثم الصعب ﴿ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾، فقيمة العمل هنا مرهونة بالإخلاص﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ، فالأثر التكويني المترتب هنا من التمسك بهذا النسق القيمي هو الأمل بحصول مستقبل مشرق ﴿ نَصْرٌ ... فَتْحٌ ﴾ [2] ، ويشترط حصول هذا الأثر الدنيوي الذي هو بالالتزام (بثلاث شروط أساسية هي : الإيمان بالله ، والتسليم للقيادة ، الإلهية ، الجهاد بالمال والنفس من أجل الحق) [3] .

فالأثر هنا ما هو إلا نصرٌ دنيوي باعتباره صورة من صور الرحمة ، والتي تضمنت الانتصار على الأعداء [4] ، إذ جعل سبحانه وتعالى تحقيق هذا الأثر يخضع لجهاد

([1]) الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : الشيخ محمد الصادقي الطهراني ، 28 / 417 .
([2]) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 9/ 606- 607 .
([3]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 10 / 447 .
([4]) ينظر : تسنيم في تفسير القرآن : الشيخ عبد الله الجوادي الآملي ، تعريب : محمد حسين حكمت ، ط1 ، 2015م - 1436هـ ، مركز الإسراء للنشر - قم - إيران ، 11 / 42 .

المجاهدين ، ممن مدهم بقوته ورعاهم بلطفه ، وأفاض من رحمته عليهم ، فكان هذا الأثر التكويني ما هو إلا نتيجة لشدة ما عانوه [1] ، من تمسك بهذه القيم وفق ما جاءت به الآية من نسق قيمي ، (ويبدو أن الله قدم الجهاد بالمال على النفس لأن الإنسان يبدأ بالجهاد بالمال فيصعد درجات في الإيمان إلى أن يصل إلى الجهاد بالنفس ، كما أن الجهاد بالمال يهيء وسائل الجهاد بالنفس ، هل رأيت حرباً أو مقاومة إلا وسبقها الإعداد لهما بالسلاح والعتاد والزاد والإعلام ، وكلها لا تتحقق إلا بالمال ... وحيث يعتبر البعض الجهاد خسارة للأمة يؤكد القرآن أنه خيرٌ عظيم للمجتمع ، وأي خير أعظم من العزة والاستقلال ، والحرية وإقامة حكم الله وهي كلها من ثماره ونتائجه) [2] .

وعليه فالإخلال بهذا النسق أو التخلي عنه وعدم التمسك به يمنع حصول هذا الأثر .

ثانياً : الآثار الآخروية :

إن التمسك بالنسق القيمي مثلما يترك آثاراً دنيوية ، يترك أيضاً آثاراً إيجابية آخروية ، والشواهد القرآنية على ذلك كثيرة نذكر منها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [هود :23] .

في هذه الآية أثر آخروي إيجابي متمثل بدخول الجنة والخلود فيها ، ولكنه مشروطٌ بالإيمان والعمل الصالح والإخبات ، فقد جاء في تفسيرها : (... إن المؤمنين الذين وصفهم بأنهم يعملون الصالحات ويخبتون إلى ربهم ، فأخبر عنهم أنهم أصحاب الجنة اللازمون لها وأنهم مخلدون دائمون) [3] .

والقيم الواردة في الآية هي :

1ـ قيمة الإيمان بالله، في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا** ﴾ .

2ـ قيمة العمل الصالح ،في قوله تعالى : ﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ .

---

(1) ينظر : من وحي القرآن : السيد محمد حسين فضل الله ، 22/ 195.
(2) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 10 / 447 .
(3) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 5 / 467 .

3ـ قيمة الإخبات، في قوله تعالى :﴿ **وَأَخْبَتُوا** ﴾ .

وهذه القيم جاءت بترتيب حسب الأولوية والأهمية وإن التمسك بها على هذا النسق سيُخلّف آثاراً آخروية إيجابية ، وقبل البدء في كيفية حصول هذا الأثر ، لابد ابتداءاً من بيان معاني مفردات هذه القيم :

﴿ **الَّذِينَ آَمَنُوا** ﴾ : (بالله وبما ينزل الإيمان به) [1] .

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ : (إشارةً إلى جميع الأعمال الصالحة) [2] .

﴿ **وَأَخْبَتُوا** ﴾ : جاء في تفسير الأمثل : (كما ويحتمل شموله لجميع هذه المعاني ، إذ لا منافاة بينها :

1 - إن المؤمنين حقا خاضعون لله .

2 - إنهم مسلمون لأمر الله .

3 - إنهم مطمئنون بوعود الله .

وفي كل صورة إشارة إلى واحدة من أعلى الصفات الإنسانية في المؤمنين التي ينعكس أثرها على كامل حياتهم) [3] .

وجاء معنى الإخبات : الاستسلام (أي استسلموا إليه وخشعت قلوبهم له ، وشعروا ـ بعمق إيمانهم وصفاء وجدانهم ـ بأن الأمر كله له ، وإن طاعته فوق كل طاعة ، وإن هدف الإنسان هو تحقيق رضاه في كل شيء ، فكان جزاؤهم من الله سبحانه أن أقبل عليهم من رضوانه ، ودعاهم إلى جنته أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [4] ، وجاء في تفسير الميزان إن معنى الإخبات هو البصيرة : (وتقييده تعالى الإيمان

---

(1) تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 2 / 591 .
(2) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ، 17 / 209 .
(3) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 6 / 510 .
(4) من وحي القرآن : السيد محمد حسين فضل الله ، 12 / 48 .

والعمل الصالح بالإخبات إليه يدل على أن المراد بهم طائفة خاصة من المؤمنين وهم المطمئنون منهم إلى الله ممن هم على بصيرة من ربهم)[1] .

يستفاد من هذه المعاني أن المؤمنين بالله الذين عملوا الصالحات ، وهم مطمئنون خاضعون له، قلوبهم خاشعة وهؤلاء على بصيرة ، إذ تنعكس بصيرتهم على حياتهم بأكملها ، وبهذا يستحقون الجنة التي وعدهم الله .

فقيمة الإيمان بالله جاءت أولاً وذلك لأن لها الأولوية ، فهي من القيم الأساس والتي تستند إليها بقية القيم ، أما قيمة العمل الصالح فتأتي ثانياً لأن العمل الصالح لا يُقبل ما لم يسبقه إيمانٌ قويٌ بالله ، أما قيمة الإخبات فجاءت بعدهما وذلك (إشارةً إلى أن هذه الأعمال لا تنفع في الآخرة إلا مع الأعمال القلبية) [2] .

وإن هذه القيم تربطها علاقة وثيقة والتمسك بها وعدم التخلي عن أية واحدة منها أو الإخلال في نسقها سيكون له آثارٌ إيجابية ، وهذه الآثار تتمثل في دخول الجنة وبقائهم فيها إلى الأبد ، فهذه (الأوصاف الثلاثة وهي (الإيمان) و (العمل الصالح) و (التسليم والخضوع والإخبات إلى دعوة الحق) إنما هو بيان أمور واقعية ترتبط بعضها ببعض ، لأن العمل الصالح ثمرة من شجرة الإيمان ، فالإيمان الذي ليس فيه مثل هذه الثمرة إيمان ضعيف ولا قيمة له ولا يحسب له حساب ، وكذلك التسليم والانقياد والخضوع والاطمئنان لما وعد الله سبحانه ، كل ذلك من آثار الإيمان والعمل الصالح . . لأن الاعتقاد الصحيح والعمل النقي أساس وجود هذه الصفات والملكات العالية في المحتوى الداخلي للإنسان) [3] .

وهذه الآثار الآخروية هي نتيجةٌ لتمسكهم بهذا النسق من إيمان بالله وعملٍ صالح وإخبات ، ومن يحمل هذه القيم الثلاث يكون من أصحاب الجنة ومن الخالدين فيها ، وعليه فدخول الجنة والخلود فيها في هذه الآية الكريمة متوقف على التمسك بما جاءت به من نسق قيمي ، فالإيمان وحده دون عمل صالح لا يحقق هذا الأثر ، كما لا يتحقق الإيمان والعمل الصالح دون أن يرافق هذا العمل اطمئنانٌ وخشوعٌ وخضوعٌ

([1]) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 10 / 193 .
([2]) مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي ، 17 / 209 .
([3]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 6 / 510 .

لله والتسليم لأمره ، فالعمل الصالح إذا رافقه خشوع واطمئنان كان نقياً لا يخالطه عمل المحرمات (فإن من لم يترك الحرام لا يقال له إنه يعمل الصالحات ، وإن أتى بكل واجب) [1] .

وعليه فتحقيق هذا الأثر الذي هو دخول الجنة والخلود فيها متوقف على حصول هذه القيم الثلاث وفق نسقها دون أي خلل فيها .

المطلب الثاني : الآثار السلبية للعزوف عن النسق القيمي :

أن التخلي عن النسق القيمي والعزوف عن التمسك به في القرآن الكريم له آثار سلبية دنيوية وآخروية ، وهذه الآثار هي نتيجة الاختيار الخاطئ أو العصيان وارتكاب الذنوب والإصرار عليها وعدم التوبة منها والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى، وتنقسم إلى آثار دنيوية وأخرى آخروية .

أولاً : الآثار الدنيوية :

إن عدم التمسك بالنسق القيمي والتفريط في جزء من قيمه أو إحداث أي خلل فيه يؤدي هذا إلى حدوث أثر سلبي دنيوي يعود بالأذى على صاحبه ما لم ينتبه ويعود ويتمسك بالقيم وفق نسقها الذي جاء في القرآن الكريم ، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال :46] ، وفي هذه الآية الكريمة مجموعة من القيم جاءت وفق نسق وإن عدم الالتزام بهذا النسق يؤدي إلى آثار سلبية دنيوية ، إذ جاء في تفسيرها : (وأطيعوا الله ورسوله . ولا تنازعوا فتفشلوا لأن النزاع والفرقة أمام الأعداء يؤدي إلى الضعف وخور العزيمة ، ونتيجة هذا الضعف والفتور هي ذهاب هيبة المسلمين وقوتهم وعظمتهم وتذهب ريحكم) [2] .

([1]) تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 2 / 591 .
([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 5 / 450 - 451 .

والقيم الواردة في هذه الآية :

1ـ قيمة طاعة الله ، في قوله تعالى : ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾ .

2ـ قيمة طاعة الرسول، في قوله تعالى :﴿ **وَرَسُولَهُ** ﴾ .

3ـ قيمة الوحدة وعدم التنازع، في قوله تعالى :﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا** ﴾ .

4ـ قيمة الصبر، في قوله تعالى :﴿ **وَاصْبِرُوا** ﴾ .

وهذه القيم جاءت بترتيب حسب الأولوية والأهمية ، ومن خلال معاني مفرداتها يمكن إبراز الترتيب والترابط فيما بينها .

﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ** ﴾ : (فيما أمركم ، وَرَسُولَهُ : فيما بين لكم) [1] .

﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا** ﴾ : (لأن الاختلاف والنزاع يوجب الوهن والضعف) [2] .

﴿ **وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ : (معناه تذهب صولتكم وقوتكم) [3] ، و(المراد بالريح : الدولة والشوكة) [4] ، و(ذهاب الريح : إشارة لطيفة إلى زوال القوة والعظمة وعدم سير الأمور كما يرام ، وعدم تحقق المقصود) [5] .

﴿ **وَاصْبِرُوا** ﴾ : (وتثبتوا في الأمور إنه يحب من صبر على الشدائد) [6] .

يستفاد من هذه المعاني إن طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة الرسول ﷺ من القيم المتلازمة ، فالله سبحانه وتعالى هو الآمر والرسول ﷺ هو المبيّن لأوامر الله ، وإن قيمة الوحدة وعدم التفرقة والنزاع مرتبطة بقيمة الطاعة ، فمن يطيع الله ورسوله حق طاعتهم لا يمكن له أن يتنازع أو يختلف ، كما أن قيمة الصبر لها علاقة بقيمة الوحدة فمن يطيع الله ورسوله يصبر على النزاعات ويتجاوزها ويتجنب الخلاف والتفرقة .

---

(1) تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 2 / 340 .
(2) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحسيني ، 5 / 95 .
(3) البرهان في تفسير القرآن : السيد هاشم البحراني ، بلا.ط ، بلا.ت ، بلا.ب ، 2 / 723 .
(4) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحسيني ، 5 / 95 .
(5) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 5 / 451 .
(6) مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : السيد مير علي الحسيني ، 5 / 95 .

وعليه فالتمسك بهذه القيم وفق نسقها يُجنب النزاع والتفرقة ، فمن لم يطع الله ورسوله من السهل وقوعه في النزاعات ، وما يترتب عليها من آثار كالتفرقة والخلاف ، والذي بدوره يؤدي إلى آثار أخرى كذهاب هيبة المسلمين ودولتهم .

فهذه القيم الواردة في الآية الكريمة لها نسق قيمي إلهي مقصود وإن أي خلل يصيب القيم في هذا النسق سواء بفقدان قيمة من قيمه أو الإخلال في ترتيبها يسبب خللاً في النسق بأكمله ، وبدوره ينعكس سلباً على المسلمين ولا سيما في أمور الجهاد ، فترك هذا النسق وعدم التمسك به يُحدث آثاراً دنيوية سلبية ، فطاعة الله ورسوله تمنع التنازع ، فعدم طاعتهم أو الإخلال بهاتين القيمتين يؤدي إلى التنازع ، وبدوره (يوجب تبديد القوى المعنوية بالإضافة إلى تبديده وإضاعته للقوى المادية)[1] ، وطاعة الله والرسول وعدم التنازع وحدها لا تكفي بدون الصبر فقد (دعا سبحانه إلى الصبر وعلله بأن تركه وإيجاد النزاع يوجب الفشل وجرأة العدو) [2] . وعليه فالأثر السلبي المترتب على عدم التمسك بهذه القيم وفق ما جاءت بنسقها هو النزاع والتفرقة ، والتي بدورها تؤدي إلى أثرٍ سلبي آخر وهو ذهاب هيبة المسلمين ودولتهم وبدوره يؤدي أيضاً إلى أثر سلبي آخر وهو الذلة والهوان [3] .

ثانياً : الآثار الآخروية :

للعزوف عن النسق القيمي وعدم التمسك به أو الإخلال بقيمه ، آثارٌ سلبية آخروية ، ذكرها القرآن الكريم في كثير من آياته نذكر منها :

قوله تعالى : ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ . قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ . وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [هود :42 - 46] .

في هذه الآيات نسق قيمي لم يتمسك به المجرمون ، فكان الأثر المترتب على ذلك هو دخولهم النار [4] .

---

(1) تقريب القرآن إلى الأذهان : السيد محمد الشيرازي ، 2 / 340 .
(2) الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، 1 / 355 .
(3) ينظر : تفسير النور : الشيخ محسن قرائتي ، 3 / 312 .
(4) ينظر : التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ محمد المصطفوي ، 5 / 148 .

وللوقوف على نسقها القيمي لابد ابتداءاً من معرفة معاني مفرداتها :

﴿ **سَقَرَ** ﴾: (إن سقر علم للنار المعذب فيها الكفار والعصاة) [1] .

﴿ **لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** ﴾ : (لم نك نصلي ما أوجب علينا من الصلاة المفروضة على ما قررها الشرع) [2] ، (أي لم ننته في الدنيا عن الفحشاء والمنكر) [3] ، (لم نك من أتباع الأئمة الذين قال الله فيهم : (والسابقون السابقون)) [4] .

﴿ **وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** ﴾ : لم نخرج الزكاة [5] .

﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ** ﴾ : (كنا نؤيد ما يصدر ضد الحق في مجالس الباطل)[6] .

﴿ **وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾:(وهو يوم الجزاء الذي يقف فيه الناس جميعاً للحساب) [7] يستفاد من هذه المعاني أن المجرمين اعترفوا بارتكابهم أربع خطايا بعدم التزامهم بالقيم التي وردت في هذه الآيات وهي :

1- اعترافهم بعدم الصلاة .

2- عدم إيتاء الزكاة .

3- الخوض مع الخائضين .

4- تكذيبهم بالمعاد [8] .

وأما فيما يخص الصلاة فهناك من ذهب إلى أن المراد منها هو عدم اتّباع محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) [9] ، ومن خلال البحث في الروايات نجد إن معنى لم يك من المصلين أراد منها إتّباع محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم

---

(1) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : الشيخ محمد المصطفوي ، 5 / 148 .
(2) التبيان في تفسير القرآن : الشيخ الطوسي ، 10 / 171 .
(3) التفسير الكاشف : الشيخ محمد جواد مغنية ، 7 / 465 .
(4) التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، 2 / 1375 .
(5) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : الشيخ الطبرسي ، 10 / 187 .
(6) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 19 / 185 .
(7) من وحي القرآن : السيد محمد حسين فضل الله ، 23 / 226 .
(8) ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 19 / 185 - 186 .
(9) ينظر : التفسير الأصفى : الفيض الكاشاني ، 2 / 1375 .

أجمعين) ، فهم الخير الكثير والوفير وهم مصداق قوله ﷺ : (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض) [1] ، فلذلك ما نجده اليوم من انحراف فكري وعقدي سببه عدم اتّباع آل محمد (عليهم السلام) ؛ لأنهم قاعدة الهرم الأساس التي تبتني عليها القيم الأخرى ، فلذلك يميل الباحث إلى أن معناه أنه لم يك من أتباع آل محمد (عليهم السلام) .

ونتيجة لهذه الخطايا كان مثواهم نار جهنم وهي الأثر المترتب على عدم تمسكهم بهذه القيم ، والقيم الواردة في هذه الآية متمثلة في أضدادها وهي :

1- قيمة الصلاة ، في قوله تعالى : ﴿ **لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ** ﴾ .

2- قيمة الإنفاق، في قوله تعالى : ﴿ **وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ** ﴾ .

3- قيمة عدم الانجراف مع أهل الباطل، في قوله تعالى : ﴿ **وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ**﴾ .

4- قيمة الإيمان بالمعاد ، في قوله تعالى : ﴿ **وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ .

فهذه القيم مرتبطة فيما بينها ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن لها أن تنفك ، وإن فقدان واحدة منها يسبب خللاً في النسق بأكمله ، وهذا يؤدي إلى آثار سلبية آخروية وهذه القيم تمثل أركاناً أربعة (أي الصلاة والزكاة وترك مجالس أهل الباطل ، والإيمان بالقيامة لها الأثر البالغ في تربية وهداية الإنسان ، وبهذا لا يمكن أن يكون الجحيم مكانا للمصلين الواقعيين ، والمؤتين الزكاة ، والتاركين الباطل والمؤمنين بالقيامة . بالطبع فإن الصلاة هي عبادة الله ، ولكنها لا تنفع إذا لم يمتلك الإنسان الإيمان به تعالى ، ولهذا فإن أداءها رمز للإيمان والاعتقاد بالله والتسليم لأوامره) [2] ، فالعلاقة بين هذه القيم مطلوبة للحفاظ على وحدة النسق لتجنب الأثر السلبي المترتب على عدم التمسك به ، فمثلاً قيمة المعاد وإن جاءت متأخرة في هذه الآيات إلا أنها هي القاعدة الأساس التي تبتني عليها بقية العبادات ؛ وذلك لأن (إنكار المعاد ويوم الحساب

([1]) عيون أخبار الرضا : الشيخ الصدوق ، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي ، بلا.ط ، 1984م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان ، 2 / 68 ، الحديث رقم 259 .

([2]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 19 / 186 .

والجزاء يزلزل جميع القيم الإلهية والأخلاقية ، ويشجع الإنسان على ارتكاب المحارم ، ويرفع كل مانع هذا الطريق ، خصوصا إذا استمر إلى آخر العمر) [1] ، فمن يؤمن بيوم المعاد من الطبيعي تجده يحافظ على الصلاة ويؤتي الزكاة ولا يخالط أهل الباطل ، لذلك نجد أن القرآن الكريم قدر ربط بين (العاقبة (سلوك سقر) وبين الأسباب (الآيات من 43 - 48) لبيان أن عذاب سقر ليس إلا سلوكيات وأخلاق تتجسد في الآخرة) [2] .

من الواضح جداً أن هناك هرمية في التكامل الإنساني :

1- البناء الذاتي متمثلاً بالصلاة .

2- بناء مجتمعي متمثل في إطعام المسكين ، وهذا من أخطر ما يتعرض له المجتمع .

وعليه إذا ما تم العزوف عن هذه القيم المتماسكة وفق نسقها يكون الأثر السلبي الآخروي هو دخول النار .

([1]) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم شيرازي ، 19 / 186 .
([2]) من هدى القرآن : السيد محمد تقي المدرسي ، 11 / 370 .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين .

بعد هذا المشوار الطويل من البحث في كتب التفسير والرحلة الجميلة مع القرآن الكريم ، أثمر البحث عن نتائج أذكرها كالآتي :

1- توصل البحث إلى أن تعريف النسق القيمي في القرآن الكريم هو عبارة عن مجموعة من القيم المرتبة ترتيباً مقصوداً وفقاً لأولويتها في نظام هرمي يُطلق عليه السلم القيمي ، وهذه القيم تربطها علاقة وثيقة فيما بينها وتتضمن في كل منها مجموعة من القيم الفرعية ، بينها حركة ديناميكية تبادلية تُنظم حياة الفرد وأن أي خلل يصيب أحد هذه القيم داخل النظام يؤدي إلى خلل هذا النسق بالكامل .

2- كشف البحث على أن القيم في القرآن الكريم نوعان : إمضائية وهي القيم التي كانت سائدة عند العرب ومصدرها الرسالات السماوية السابقة ، وقيم تأسيسية أسس لها القرآن الكريم .

3- توصل البحث إلى أن المصدر الرئيس للقيم هو القرآن الكريم والسنة المطهرة والعقل والفطرة ، وأما بقية المصادر فهي ثانوية لأنها تستمد القيم من مصدرها الرئيس ثم تنقلها .

4- كشف البحث عن طريقتين للقرآن الكريم في عرض القيم وغرسها، الأولى : هي عرض القيم عن طريق بثها في الآيات القرآنية لغرض غرسها وإرسائها ، والثانية : هي ترتيب القيم وفق نسق سماوي إلهي مقصود .

5- كشف البحث عن أهم شخصية في التاريخ ثارت من أجل التمسك بالنسق القيمي ألا وهي شخصية الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) .

6- توصل البحث إلى أن للنسق القيمي في القرآن الكريم معايير وخصائص وفوائد تميزه عن القيم فيما لو جاءت منفردة .

7- توصل البحث إلى أن القيم في القرآن الكريم تُصنف إلى قيم إنسانية وأخرى إيمانية ، والقيم الإيمانية هي القيم الأساس التي تُبنى عليها القيم الأخرى .

8- كشف البحث على أن القيم في القرآن الكريم لم تُحصر بعدد معين ، ولم يجزم أي من العلماء أو الدارسين بأن لها عدداً معيناً ، وهذا يدل على أن القرآن الكريم متجدد القيم ، والقرآن الكريم زاخر بالقيم وصالح لكل زمان ، فكل عصر وزمان يجد ما يناسبه من القيم في القرآن الكريم ، وهذا من معجزاته التي لا تنتهي .

9- توصل البحث إلى عدم الفصل بين القيم الإنسانية والقيم الإيمانية ؛ لأن الفصل بينهما يُفقد التوازن ، لذلك فالتمسك بالنسق القيمي القرآني يكون ملزماً في كل مكان وزمان .

10- كشف البحث عن أهم أساليب القرآن الكريم في عرض القيم وتعزيزها ، كما كشف عن تداخل هذه الأساليب فيما بينها ، وينتج عن هذا التداخل دلالات وإشارات بليغة يوصلها القرآن الكريم في آياته ليستشف منها أن موضوع القيم من الركائز الأساس التي أراد أن يوصلها للفرد والمجتمع .

11- توصل البحث إلى أن القدوة أعمق وأقوى من الأسوة ، إذ إن الأمر بالاقتداء في القرآن خاص بالأنبياء ، والأمر بالتآسي خاص بالمكلفين .

12- توصل البحث إلى أن النسق القيمي في القرآن الكريم يشمل جميع المستويات ، المستوى العقدي والمستوى التشريعي والمستوى الأخلاقي .

13- توصل البحث إلى أن التمسك بالنسق القيمي في القرآن الكريم له آثارٌ إيجابية دنيوية وآخروية ، كما أن العزوف عنه يترك آثاراً سلبية دنيوية وآخروية أيضاً .

التوصيات

1- يوصي الباحث بإعطاء القرآن الكريم حقه من القراءة والتدبر في آياته المباركة ، واستخراج كنوزه التي لا تنتهي ، والسير على نهجه ، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ويعالج جميع جوانب الإنسان الحياتية .

2- كما يوصي الباحث أهل الاختصاص بالاهتمام بالنسق القيمي القرآني والبحث فيه بشكل أشمل وأوسع ، ليكون أكثر نفعاً ويستفيد منه أكثر عدد من الناس .

3- أن ما يمر به الإنسان من مشكلات تواجهه في حياته هي سوء اختياراته الخاطئة، والتي شكلت لديه نسقاً قيمياً مختلاً وغير سليم ، لذلك يوصي الباحث بالرجوع إلى القرآن الكريم ، والتحلي بالنسق القيمي القرآني الذي أراده الله لنا ، عندها يمكن لجميع المشكلات أن تذوب وتختفي .

4- كما يوصي أيضاً باستعادة حق القرآن الكريم من خلال التطبيق لكل ما جاء فيه ، ومنها النسق القيمي ، فللقرآن الكريم حقٌ على المسلم المعاصر ، وذلك في تفعيل مكانته في جميع الجوانب الحياتية للإنسان وعدم تعطيل تعاليمه ، إذ ليس من اللائق لنا كمسلمين أن نُعطّل تعاليم القرآن الكريم وجعل دوره يقتصر على التبرك وافتتاح المراسيم والمناسبات ، بل يجب علينا الامتثال له بالتدبر والتطبيق .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

1. الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي (ت:911هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، بلا.ط ، 1974م .
2. أحكام القرآن : محمد بن عبد الله (ابن العربي)(ت: 543هـ) ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الفكر ـ لبنان، بلا.ط ، بلا.ت.
3. الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم : محمد حسين فهيم نيا ، تعريب : الشيخ محمد نبيل جمعة العاملي ، مؤسسة الخلق العظيم ـ العتبة الحسينية المقدسة ـ العراق، ط1 ، 1440هـ ـ 2019م.
4. الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية : كريمة دوز ، دار الكاتب ـ الإسماعيلية ـ مصر، ط1 ، 2016م .
5. الأخلاق في القرآن : ناصر مكارم شيرازي ، مطبعة سليمان زادة ـ قم ـ إيران، ط2 ، 1426هـ .
6. الأخلاق في القرآن الكريم : محمد تقي مصباح اليزدي(ت: 1442هـ) ، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان، بلا .ط ، 2004م.
7. أساس البلاغة : محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق : محمود باسل ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 1998م.
8. أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني(ت:471هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2001م.

9. أصول البحث : عبد الهادي الفضلي(ت:1434هـ) ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم – إيران، بلا.ط ، 1990م .
10. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع :عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان، ط25 ، 2007م.
11. أصول الدعوة : عبد الكريم زيدان(ت:1435هـ) ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان، ط9 ، 2002م .
12. الأصول العامة للفقه المقارن : محمد تقي الحكيم (ت: 1423هـ)، دار الفقه ـ قم ـ إيران، ط1 ، 1431هـ.
13. أصول العقائد وأحكام التقليد والبلوغ : محمد تقي المدرسي ، انتشارات محبان الحسين (ع) ـ قم ـ إيران، ط3 ، 1428هـ .
14. أصول المعارف الإنسانية : محمد تقي مصباح اليزدي(ت:1442هـ) ، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2001م ـ 1422هـ.
15. اقتصادنا : محمد باقر الصدر(ت:1400هـ) ، تحقيق : مكتب الإعلام الإسلامي - فرع خراسان ، مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران، ط2 ، 1425هـ.
16. إكمال النقصان من تفسير منتخب التبيان (موسوعة أبن إدريس الحلي) : ابن إدريس الحلي (ت:598هـ) ، تحقيق وتقديم السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان ، مكتبة الروضة الحيدري ـ النجف ـ العراق، ط1 ، 2008م .
17. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : ناصر مكارم الشيرازي ، بلا.ب، بلا.ط ، بلا.ت.

18. أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : عبد الله بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت:685هـ)، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت – لبنان، ط1 ، 1998م.

19. بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي (ت:1111هـ)، تحقيق : السيد إبراهيم الميانجي ، محمد الباقر البهبودي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، ط3 ، 1983م.

20. بداية المعرفة منهجية جديدة في علم الكلام:حسن مكي العاملي (ت:1324هـ) ، مكتبة دار المجتبى ـ النجف الأشرف ، العراق، بلا.ط ، 2009م .

21. البرهان في تفسير القرآن : هاشم البحراني(ت:1107هـ) ، بلا.ب، بلا.ط ، بلا.ت.

22. البرهان في علوم القرآن : أبو عبد الله بدر الدين الزركشي (ت:794هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، 1957م.

23. التبيان في تفسير القرآن : أبو جعفر محمد الطوسي(ت:460هـ) ، تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي ، مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران، ط1 ، 1409هـ.

24. التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور (ت: 1393هـ)، الدار التونسية ـ تونس بلا.ط ، 1984م.

25. التحقيق في كلمات القرآن الكريم : حسن المصطفوي(ت:1426هـ) ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران، ط1 ، 1417هـ.

26. تسنيم في تفسير القرآن : عبد الله الجوادي الآملي ، تعريب : محمد حسين حكمت ، مركز الإسراء للنشر ـ قم ـ إيران، ط1 ، 2015م ـ 1436هـ .

27. التسهيل لعلوم التنزيل : ابن جزي الغرناطي الكلبي(ت: 740هـ)، تحقيق : عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت ـ لبنان ، بلا.ط ، بلا.ت .

28. التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده : محمد تقي المدرسي ، منشورات المدرسي ـ طهران ـ إيران، ط2 ، 1413هـ .

29. التصوير الفني في القرآن : سيد قطب (ت: 1385هـ)، دار الشروق ـ القاهرة ـ مصر، ط17 ، 2004م.

30. تفسير ابن عربي : محي الدين ابن عربي(ت: 638هـ) ، ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2001م.

31. التفسير الأصفى : محمد محسن الفيض الكاشاني(ت: 1091هـ) ، تحقيق : مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ـ إيران، ط1 ، 1376ش.

32. تفسير الآلوسي : محمود شهاب الدين الآلوسي (ت:1270هـ) ، بلا.ب، بلا.ط ، بلا.ت.

33. تفسير البحر المحيط : أبي حيان الأندلسي (ت: 1344هـ)، تحقيق : مجموعة محققين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2001م .

34. تفسير الجلالين : جلال الدين المحلي(ت: 864هـ)، تقديم ومراجعة : مروان سوار ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، بلا.ط ، بلا.ت.

35. التفسير الحديث : محمد عزة دروزة ، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت ـ لبنان، ط2 ، 2000م.

36. تفسير السلمي : محمد بن الحسين السلمي(ت: 412هـ) ، تحقيق : سيد عمران ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2001م.

37. تفسير السمرقندي : أبو الليث السمرقندي(ت: 393هـ) ، تحقيق : محمود مطرجي ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان، بلا.ط ، بلا.ت.

38. تفسير السمعاني : منصور بن محمد السمعاني(ت:489هـ) ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن – الرياض ـ السعودية، ط1 ، 1997م.

39. التفسير الصافي : محمد محسن الفيض الكاشاني(ت: 1091هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ، مكتبة الصدر – طهران ـ إيران، ط2 ، 1416هـ.

40. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) : إسماعيل بن عمر ابن كثير(ت:774هـ) ، تحقيق : يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، بلا.ط ، 1992م.

41. تفسير القرآن الكريم : مصطفى الخميني(ت:1397هـ) ، مؤسسة العروج ـ إيران ، ط1 ، 1418م .

42. التفسير الكاشف : محمد جواد مغنية(ت: 1400هـ)، دار العلم للملايين - بيروت – لبنان، ط3 ، 1981م.

43. التفسير المبين : محمد جواد مغنية (ت:1400هـ)، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط2 ، 1983م.

44. تفسير المنار : محمد رشيد رضا (ت:1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر، بلا.ط ، 1990م.

45. تفسير النور : محسن قرائتي ، دار المؤرخ العربي ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2014م.

46. التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي(ت: 1436هـ) ، دار الفكر ـ دمشق ـ سوريا، ط2 ، 2006م .

47. التفسير الوسيط للقرآن الكريم : محمد سيد طنطاوي(ت: 1431هـ) ، دار النهضة ـ القاهرة ـ مصر، ط1 ، 1997م .

48. تقريب القرآن للأذهان : محمد الشيرازي، دار العلوم ـ بيروت ـ لبنان، ط1، 2003م .

49. تيسير الكريم الرحمن في كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي(ت: 1371هـ) ، تحقيق : ابن عثيمين ، مؤسسة الرسالة، بلا.ط ، 2000م .

50. جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير الطبري(ت: 310هـ) ، تقديم : الشيخ خليل الميس ، دار الفكر- بيروت – لبنان، بلا.ط ، 1995م.

51. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : محمد بن احمد القرطبي(ت:671هـ)، تصحيح : أبو إسحاق إبراهيم أطفيش ، دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان، بلا.ط ، 1985م.

52. جوامع الجامع : الفضل بن الحسن الطبرسي(ت: 548هـ)، تحقيق : مؤسسة النشر الإسلامي ، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ إيران، ط1 ، 1418هـ.

53. الحاكمية في الإسلام : محمد مهدي الموسوي ، مجمع انديشة إسلامي ـ قم ـ إيران، ط1 ، 1425هـ .

54. حقيقة الدين : محمد باقر السيستاني ، دار الكتب والوثائق ـ بغداد ـ العراق، ط1 ، 1432هـ .

55. الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي(ت: 911هـ) ، دار المعرفة ـ بيروت – لبنان، بلا.ط ، بلا.ت.

56. دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام : باقر الأيرواني ، دار الفقه للطباعة والنشر ـ إيران، ط3 ، 1428هـ.

57. دروس في علوم القرآن : حسين جواد آراسته ، مطبعة باقري ـ إيران، ط1 ، 1425هـ.

58. دستور الأخلاق في القرآن : محمد عبد الله دراز ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان، ط10 ، 1418هـ ـ 1998م.

59. دلائل الإمامة : محمد بن جرير الطبري ، مؤسسة البعثة ـ قم ـ إيران، ط1 ، 1413هـ.

60. دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني : عامر السعد ، شركة الغدير للطباعة والنشر المحدودة ـ البصرة ـ العراق، بلا.ط ، 2015م.

61. دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني(ت: 471هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، بلا.ط ، بلا.ت.

62. رؤية معاصرة في علوم القرآن الكريم : احمد يأسوف ، دار المكتبي ـ دمشق ـ سوريا، ط1 ، 2016م ـ 1437هـ.

63. زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن الحسن ابن الجوزي(ت: 597هـ)، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن ، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 1987م.

64. زبدة التفاسير : فتح الله الكاشاني(ت: 988هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم – إيران، ط1 ، 1423هـ.

65. شرح أصول الكافي : محمد صالح المازندراني(ت: 1086هـ) ، تحقيق : مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2000م .

66. الصحاح : الجوهري(ت: 453هـ) ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان، ط4 ، 1407هـ ـ 1987م.

67. صحيح القصص النبوي : عمر سليمان عبد الله الأشقر(ت: 1433هـ) ، دار النفائس ـ عمان ـ الأردن، ط7 ، 2007م.

68. الطابور الخامس أسلوب القيادة الإدارية بالتجسس والقضاء عليه : أحمد جابر حسنين ، المجموعة العربية للتدريب والنشر ـ القاهرة ـ مصر، ط1 ، 2013م .

69. علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية : احمد زايد ، ميليفيد ـ ألمانيا الغربية، ط2 ، 1983م.

70. علوم القرآن : محمد باقر الحكيم(ت: 1424هـ) ، مجمع الفكر الإسلامي ـ قم ـ إيران، ط3 ، 1417هـ.

71. عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب : عبد الله عزام ، مركز شهيد عزام الإعلامي ـ بيشاور ـ باكستان، ط1 ، بلا . ت .

72. العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت: 174هـ) ، تحقيق : مهدي المخزومي ، مؤسسة دار الهجرة، ط2 ، 1410هـ.

73. عيون أخبار الرضا : محمد بن علي الصدوق(ت: 381هـ) ، تصحيح وتعليق وتقديم : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت – لبنان، بلا.ط ، 1984م.

74. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة : محمد الصادقي(ت: 1432هـ) ، دار الأميرة، بلا.ط ، بلا.ت.

75. فقه المصالح والمفاسد : فاضل الصفار ، دار العلوم ـ لبنان، ط1 ، 2008م ، 1429هـ.

76. فلسفة الصدر دراسات في المدرسة الفكرية للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر : محمد عبد اللاوي ، مؤسسة العارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان، ط2 ، 2001م ـ 1422هـ .

77. في ظلال القرآن : سيد قطب(ت: 1386هـ) ، دار الشروق ـ القاهرة ـ مصر، ط17 ، 1412هـ .

78. في ظلال نهج البلاغة : محمد جواد مغنية(ت: 1400هـ) ، منشورات كلمة الحق ـ إيران، ط1 ، 1427هـ.

79. القاموس المحيط : مجد الدين الفيروز آبادي(ت:817هـ) ،تحقيق : مكتب تحقيق التراث في المؤسسة ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان، ط8 ، 2005م.

80. القصص القرآني : محمد باقر الحكيم(ت:1424هـ) ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ـ النجف الأشرف ـ العراق، ط3 ، 2008م.

81. الكافي : محمد بن يعقوب الكليني(ت:329هـ) ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية – طهران ـ إيران، ط4 ، 1365ش.

82. الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) : احمد بن محمد الثعلبي(ت: 427هـ)، تحقيق : أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ، ط1 ، 2002م.

83. كنز الدقائق وبحر الغرائب : محمد بن محمد رضا المشهدي(ت: 1125هـ) ، تحقيق : حسين درگاهي ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ إيران، ط1 ، 1991م .

84. كنز العمال : علاء الدين علي المتقي الهندي(ت: 975هـ) ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت – لبنان، بلا.ط ، 1989م .

85. الكنى والألقاب : عباس القمي(ت: 1359هـ)، مكتبة الصدر ـ طهران ـ إيران، بلا.ط ، بلا.ت.

86. لسان العرب : محمد بن مكرم ابن منظور(ت: 711هـ) ، منشورات أدب الحوزة ـ قم ـ إيران، بلا. ط ، 1405هـ .

87. لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 1991م .

88. مباحث في التفسير الموضوعي : مصطفى مسلم(ت: 1442هـ) ، دار القلم ـ دمشق ـ سوريا، ط3 ، 2005م .

89. مباحث في علوم القرآن : مناع القطان(ت: 1420هـ) ، مكتبة المعارف ـ مصر، ط3 ، 2000م .

90. متشابه القرآن ومختلفه : محمد بن علي ابن شهر آشوب(ت: 588هـ) ، مكتبة المصطفوي ـ طهران ـ إيران، بلا.ط ، 1328ش.

91. مجمع البيان في تفسير القرآن : الفضل بن الحسن الطبرسي(ت:548هـ) ، تحقيق وتعليق : لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت – لبنان، ط1 ، 1995م.

92. محمد تقي المدرسي سيرة ومسيرة : هيئة قائم آل محمد ، بغداد ـ العراق، ط1 ، 2009م.

93. مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي(ت: 666هـ) ، تحقيق : ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان، ط1 ، 1994م.

94. مسند أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل(ت: 241هـ) ، دار صادر ـ بيروت – لبنان، بلا.ط ، بلا.ت.

95. مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه : جعفر السبحاني ، دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان، بلا.ط ، بلا.ت.

96. معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) : الحسين بن مسعود البغوي(ت: 510هـ) ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان، بلا.ط ، بلا.ت .

97. معالم الحضارة القرآنية : عقيل الحيدري ، منشورات الاجتهاد ـ قم ـ إيران، ط1 ، 2008م .

98. معاني القرآن : احمد بن محمد النحاس (ت:338هـ) ، تحقيق : الشيخ محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية، ط1 ، 1409هـ.

99. معجم التعريفات : علي بن محمد الجرجاني(ت: 816هـ) ، تحقيق : محمد المنشاوي ، دار الفضيلة ـ القاهرة ـ مصر، بلا.ط ، 2004م .

100. المعجم الفلسفي : جميل صليبا(ت: 1395هـ) ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان ،بلا.ط ، بلا.ت .

101. المعجم الفلسفي : مراد وهبة ، دار قباء الحديثة ـ القاهرة ـ مصر، ط5 ، 2007م .

102. معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : أحمد زكي بدوي ، مكتبة لبنان ـ بيروت ـ لبنان، بلا.ط ، بلا.ت.

103. معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكريا(ت: 395هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الإعلام الإسلامي ـ قم ـ إيران، بلا .ط ، 1404هـ.

104. المغرب في ترتيب المعرب : ناصر الدين المطرزي(ت: 610هـ) ، تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ـ حلب ـ سوريا، ط1 ، 1979م .

105. مفاتيح الغيب : فخر الدين الرازي(ت: 606هـ) ، بلا.ب، ط3 ، بلا.ت.

106. مفاهيم القرآن : جعفر السبحاني ، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2010م.

107. مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني(ت:502هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، مطبعة سليمان زادة ـ قم ـ إيران، ط2 ، 1427هـ .

108. مقارنة الأديان الإسلام : احمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ـ مصر، ط4 ، 1973 م .

109. مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر : مير علي الحائري، مطبعة الحيدري ـ طهران ـ إيران، بلا.ط ، 1337ش.

110. من هدى القرآن : محمد تقي المدرسي ، دار القارئ ـ بيروت ـ لبنان، ط2 ، 2008م.

111. من وحي القرآن : محمد حسين فضل الله ، دار الملاك ـ بيروت ـ لبنان، ط2 ، 1419هـ ـ 1998م .

112. المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان : ابن إدريس الحلي(ت: 598هـ) ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة – قم ـ إيران، ط1 ، 1409هـ .

113. المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : محمد القاسم الجلماسي ، تحقيق : علال الغازي ، مكتبة المعارف ـ الرباط ـ المغرب، ط1 ، 1980م.

114. منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران : فتحي حسن ملكاوي ، مكتب التوزيع في العالم العربي ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2013م ـ 1434هـ .

115. المنهجية في البحوث والدراسات الأدبية : محمد البدوي ، دار المعارف ـ سوسة ـ تونس، ط1 ، 1998م.

116. مواهب الرحمن في تفسير القرآن : عبد الأعلى السبزواري(ت: 1414هـ) ، مطبعة نكين ـ قم ـ إيران، ط5 ، 2010م .

117. موسوعة لالاند الفلسفية : أندريه لالاند، تعريب : أحمد خليل ، دار عويدات ـ بيروت ـ لبنان ، ط2 ، 2001م.

118. موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ : صالح بن عبد الله، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملوح وآخرون ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ـ جدة ـ السعودية، ط1 ، 1998م ـ 1418 هـ.

119. الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي(ت: 1402هـ) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم ـ إيران، بلا.ط ، بلا.ت.

120. نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق ـ القاهرة ـ مصر ، ط1 ، 2001م.

121. نحو رؤية فلسفية تربوية للقيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة : علاء صاحب عباس ، دار غيداء ـ الأردن، ط1 ، 2010م ـ 1431هـ .

122. النسق الشعري وبنياته منطلقات التأسيس المعرفي والتوظيف المنهجي ، مركز الكتاب الأكاديمي ـ عمان ـ الأردن ، ط1 ، 2018م.

123. النسق القرآني ومشروع الإنسان قراءة قيمية راشدة : جاسم سلطان ، مركز الوجدان الحضاري ـ بيروت ـ لبنان، ط1 ، 2018م.

124. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين البقاعي(ت: 885هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ،بلا.ط ، 1984م.

125. نهج البلاغة : خطب الإمام علي عليه السلام ، تحقيق : شرح : الشيخ محمد عبده ، دار الذخائر - قم – إيران ، ط1 ، 1412هـ.

126. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي) : علي بن احمد الواحدي النيسابوري(ت: 468هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم - بيروت - لبنان، ط1 ، 1415هـ .

الرسائل والاطاريح :

127. أساليب القرآن الكريم في التربية الأخلاقية منهاج التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في الضفة الغربية فلسطين نموذجاً : محمد أحمد محمود ، أطروحة دكتوراه ، أكاديمية الدراسات الإسلامية - جامعة مالايا - كوالالمبور ، 2017م .

128. الأمثال القرآنية دراسة لغوية : عيد جمال الدين ، رسالة ماجستير ، جامعة آل البيت - كلية الآداب والعلوم ، 2004م - 2005م.

129. التناسق الموضوعي في سورة الصافات : حنان عبد اللطيف الخطابي ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة - السعودية ، 1435هـ - 2014م .

130. القيم التربوية في قصص سورة الكهف دراسة تحليلية مقاصدية : معروف سعاد ، رسالة ماجستير ، 2014م ، جامعة أبي بكر بالقايد - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - الجزائر.

131. القيم الخلقية المستنبطة من قصص النساء في القرآن الكريم (ودور الأسرة في غرسها في نفوس الفتيات) : كوثر بنت محمد رضا الحسيني الشريف ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ـ كلية التربية بمكة المكرمة ، 2004 م.

132. القيم في القصص القرآني الكريم : عبد الله محمد أحمد ، أطروحة دكتوراه ، 1988م ، جامعة طنطا ـ كلية التربية ـ قسم أصول الدين .

133. مباحث علم المعاني في تفسير (من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي : خالد عبد النبي عيدان ، رسالة ماجستير ، 2017م ، جامعة كربلاء ـ كلية العلوم الإسلامية .

134. واقع القيم لدى المراهقين في المؤسسة دراسة ميدانية بثانوية بوحنه مسعود ـ فرجيوه : سهام صوكو ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، 2008 - 2009م .

المجلات والدوريات :

135. أساليب التدريس والتقويم والقيم الأخلاقية في سورة يوسف : بكر سميح المواجدة ، مجلة البلقاء للبحوث والدراسات ، المجلد 17 ، العدد 2 ، 2014م ، جامعة عمان الأهلية ـ الدراسات العليا .

136. الأغراض التربوية والسلوكية في القصة القرآنية : حيدر تقي فضيل وسارة عبد الله هدايت ، مجلة لاراك للفلسفة واللسانيات والعلوم الإنسانية ، العدد 34 ، 2019م.

137. الانعكاسات التربوية للقيم الاجتماعية في القرآن الكريم على طلبة الجامعة الإسلامية بغزة : فؤاد علي العاجز ، محمود عبد المجيد عساف ، بحث مقدم إلى المؤتمر

العلمي الأول القرآن الكريم ودوره في معالجة قضايا الأمة ـ مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية ـ كلية أصول الدين ـ الجامعة الإسلامية ـ غزة ، 2008م .

138. البناء القيمي للشخصية كما ورد في القرآن الكريم : عبد الحميد الهاشمي وعبد السلام فاروق ، 1400هـ ، بحث مقدم لندوة خبراء أسس التربية الإسلامية ـ مكة المكرمة ـ السعودية .

139. الرؤية القرآنية لدعوات الرسل وشمولية الرسالة : عبد الرحمن حللي ، مجلة التفاهم ، العدد 50 ، 2015م ، مسقط ـ عمان .

140. القيم الاجتماعية ، مقاربة نفسية ـ اجتماعية : الجموعي مومن بكوش ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ـ جامعة الوادي ـ الجزائر ، العدد 8 ، 2014.

141. القيم الإسلامية في التعليم وأثارها على المجتمع : محمد أمين الحق ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ـ شيتاغونغ ، العدد 9 ، 2012م .

142. القيم التربوية في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي الشريف : قاسم محمد محمود خزعل ، جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات ، العدد 25 ، أيلول 2011م .

143. القيم التربوية في قصص القرآن الكريم (سورتي مريم والصافات) : وداد دشون حامد قدام وآخرون ، بحث بكالوريوس ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ـ كلية التربية ، 2015م.

144. نسق القيم وسمات الشخصية كعوامل للعمل التطوعي : السعيد عبد الصالحين دردرة ، مجلة المنهج العلمي والسلوك ، العدد الخامس ، 2006م .

145. وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دراستها : رشيد الحمداوي ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد الثالث ، جمادي الآخرة ، 1428هـ .

بحث حول القيم التربوية من وجهة نظر الفلسفة الإسلامية : حاتم جاسم عزيز السعدي، http://imamhussain-lib.blogspot.com/2014/04/blog-post_9.html.

تربية الإنسان في منهج القرآن : عبد الحليم محمد حسين ، شبكة الألوكة ـ قسم الكتب ، https://www.alukah.net/library/0/124386/ .

Extract

The research indicates that man has a value system formed through his experiences in life, and this system needs to be re-adjusted and directed, since man, according to his own limitations, is not able to organize for himself a comprehensive and comprehensive program for his life, in addition to his lack of knowledge of the secrets and details of his life, and the Holy Qur'an has ensured that The hypothesis of the message stems from the fact that the Holy Qur'an is a miraculous heavenly book, and its presentation of the values and their coordination cannot be imagined devoid of the goal and purpose. And they have a close relationship with each other, as they are inseparable from each other, and the loss of any valuable verse of these values or their taking their place from the arrangement leads to a defect within the entire system, so the intended purpose of arranging these values according to the divine order that God Almighty wanted is not achieved. In turn, it negatively affects the life of the individual and society alike

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Univer sity of Kerbala

Faculty of Islamic Sciences

The value system in the Noble Qur'an, an interpretive study

A letter submitted by the student

Anwar Abass Fadil

Council of The college of Islamic Sciences at the University of Kerbala Which is part of the requirements for a masters degree in sharia and Islamic sciences

Supervised by

Prof. Dr Drgham Karim Kazem Al- moussawi

2021 A.H 1443A. D